قصـــة

جريمة قتل بهولندا

Un Crime en Hollande
Par
Geooges Simenon

ترجمها عن الفرنسية

محمد على صادق

وزير مصر المفوض بهولندا
سابقاً

حقوق الطبع محفوظة

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقاً)
(صبحى وشركاه)

مطبعة لجنة البيان العربي
٩ شارع مصطفى باشا الأسكندرية . تلفون ٥٥٥٥

S. E. Mohamed Aly Sadek

Ancien

Ministre Plenipotentiaire d'Egypte.

Grote Kruis Orde Van Oranje Nassau.

مقدمة

وقفت الباخرة التى أقلتنى فى طريق عودتى للوطن العزيز أثر انتهاء مهمتى بهولندا كوزير مصر المفوض بأحدى الموانىء الشمالية بأوروبا بضعة أيام فانتهزت الفرصة للبحث بالمكتبات العامة بها عما يمكن أن أتسلى بقراءته أثناء رحلتى . ووقعت بأحداها على هذا الكتاب وكان عنوان الكتاب كافياً ليؤثر فى نفسى تأثيراً عميقاً فلم أتردد عن شرائه متلهفاً على قراءته لأننى كنت أستبعد جرائم القتل بهولندا بمختلف البواعث والدوافع اليها من قائمة الجرائم التى تقع بهولندا . ومن ناحية أخرى كنت مشغوفاً بحب الوقوف على ما يكون مؤلف القصة الفرنسى قد كتبه عن الأحوال الاجتماعية بهولندا منذ نيف وعشرين سنة لأن القصة نشرت بباريس سنة ١٩٣١ لكى أقارن ذلك بما لمسته شخصياً بها أخيراً مدة قيامى بمهمتى كممثل مصر السياسى بهولندا زهاء ثلاث سنوات تقريباً .

ولقد خرجت من قراءة هذه القصة مقتنعاً كل الاقتناع بأن الأسس المتينة الاجتماعية التي تسود هولندا لازالت هى بعينها لم يبدلها مر السنين ولم يغيرها كر الأعوام.

فالنظافة لدى الناس بهولندا ليست فقط من الإيمان دون

تطبيق عمـــلى بل هى أمر طبيعى متغلغل فى نفوسهم وتراهم يندفعون فى سبيل العمل بهذه السليقة برغبة ملحة حتى أن السلطات الادارية لم تجد محيصاً من القيام بكل ما فى وسعها لتحقيق هذه الأمنية الطيبة التى تختلج فى صدور سائر أفراد الشعب علما منها بأن النظافة أمضى سلاح لمنع انتشار الأمراض والأوبئة .

وأذكر فى هذا الباب مثلا رائعاً وقفت عليه بأحدى الصحف المحلية الهولندية عام ١٩٥١ . فقد حدث بأحدى القرى إن وجد مجلس القرية نفسه أمام ضائقة مالية فى ميزانيته مما عمد معه لأن يسعى بضروب شتى للحد من مصروفاته العامة وكان أن قرر بصفة مؤقتة مع إعلانه شدة أسفه منع ربات البيوت بالقرية من غسيل عتبات مداخل بيوتهن المطلة على أفاريز شوارع القرية إلا مرة واحدة فى الأسبوع وذلك قصدا فى النفقات التى يتحمل عبئها المجلس سنوياً فى سبيل إصلاح بلاط الأفاريز وصيانتها من التهدم والتفكك بسبب قيام ربات البيوت بغسيل العتبات مرتين فى اليوم على الأقل ! .

والروابط العائلية تسيطر عليها بهولندا روح العمل على تقويتها بكافة الوسائل المعنوية وأهمها عدم الاستهتار والتهتك ويتحاشى القوم هناك كشف السيئات والتشهير بالزلات وينأون بأنفسهم عن الدخول فيما لا يعنيهم والخوض فيما لا ينفعهم ويلتزمون جادة الهدوء والسكينة فى معاملاتهم ويراعون دائماً خفض الصوت فى كلامهم ولعلهم أكثر البشر علماً بأن أنكر الأصوات لصوت الحمير !

ويحرص كبار الناس مقاماً أن يزجوا بأنفسهم فيما قد يتيح لصغارهم مثلا سيئاً فى القرى على الأخص لا تغشى علية القوم ومن فى حكمهم المقاهى والمشارب العامة لتناول أقداح الخمر أو الشاى أو القهوة مثلا بل تنحصر اجتماعات هذه الطبقة من الناس فى بيوت بعضهم البعض ولا يشعر أحد أن فى ذلك ما يقصد به الكبر والاستكبار أو ما يرمى إلى خلق طبقة لتعلو بأنوف أصحابها على سائر الطبقات بل أن الناس هناك جميعاً يفهمون جيداً أنهم متساوون فى الحقوق والواجبات طبقاً لأحكام القانون الذى لا سلطان فيه لأحد إلا وفقاً لنصوصه التى اكتسبت احترام الناس وطاعتهم لأنها مستمدة من رضاء الشعب ولا تستند الحكومة فى أوامرها إلا لما نص عليه القانون ولا طاعة لها فى معصية للقانون بل إن شئت فيمكن أن يقال بأن المبادىء الثلاثة المشهورة التى طلعت بها الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر على النظم فى أوروبا يفهمها الناس بهولندا على حقيقتها أكثر من غيرهم أو أنهم يعملون بروحها ولا يتقيدون بألفاظها .

فالمساواة عندهم لا تعنى هدم الطبقات من الوجهة الإجتماعية ، إذ من المسلم به أن مبدع الكون جل شأنه جعل الناس بعضهم فوق بعض طبقات بما ميز بينهم بالعلم والتقوى فلن يستوى الأعمى والبصير ولن تستوى الظلمات والنور كما لا تعنى المساواة فى نظرهم أن يسوى فى الرزق بين المجد العامل والكسول المتخاذل ولا غرو فالتفاضل فى الرزق سنة أبدية مرجعها إلى الغرائز والأصول الطبيعية وأصبحت وظيفة المشرع فى هولندا

تهدف لا لهدم مبدأ التفاضل الذى تنادى به طبيعة الأمور ولكن لتقريب البون الشاسع فى الأجور بوضع موازين الكسب فى نصابها الصحيح لجميع الطبقات العاملة فى المصانع وغيرها من وجوه الإنتاج المختلفة مع تسهيل الفرص لجميع أفراد الشعب ليرقوا السلم فى كفاحهم للوصول إلى المستوى الذى يؤهله لهم استعدادهم الطبيعي وذلك بمختلف الطرق والأساليب كجعل التعليم فى مراحله الأولى مجانا للجميع بحيث يبدأ الكل فى سبيل السعى للرزق وهم متساوون فى المزايا شأن المتبارين فى مسابقات العدائين يبدأون جميعاً عند خط واحد ولكنهم يتفاضلون أثناء عدوهم فيسبق بعضهم بعضا وهكذا شأن الإنسان فى ميدان الحياة الدنيا من مشى فى مناكبها أكل من رزقه ومن تقاعس فلا يلومن إلا نفسه وما ربك بظلام للعبيد .

والآخاء لا يعنى عندهم أن تتآخى الرذيلة والفضيلة وأن يصبح الخبيث فى صف واحد مع الطيب أو أن يرقى السفلة والأوغاد سلم المناصب ليدوسوا بأقدامهم أهل العلم والفضل بل الآخاء يفهمونه على أن يشد الناس أزر بعضهم بعضا فى الملمات وأن يتآزروا فى دفع المكروه وأن يعملوا على أن يأخذ الضعيف حقه عن القوى وأن تسود المحبة بينهم والسلام وأن تزول من بينهم عوامل البغض والخصام وأن يكون الناس سواسية فى أمور حياتهم فلا استعلاء ولا استكبار ولا ميزة لمخلوق على آخر لمجرد مولده من نطفة بورك فيها نفاة وأحرقت البخور من أجلها إيهاماً لتكون فى أعلى عليين وغيرها من نطف البشر فى أسفل السافلين !

وأما الحرية فلا يعرفون فيها معنى الفوضى وإنما يعلمون منها أن الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً فلا رق ولا استعباد ولا ظلم ولا استبداد ولا حكم لأحد فيما إلا فيما بينه القانون الذى يحمى الحريات ويقيم الحدود وينشر النظام فى البلاد وينظم العلاقات بين الأفراد .

وعندى أن فيما يتبعه الناس بهولندا من التحفظ فى شئونهم الاجتماعية والتزام التكتم حول ما يقع من الزلات فى بيئاتهم العائلية هو من باب العمل بتلك الحكمة المأثورة « وإذا بليتم فاستتروا » وهم يهدفون بذلك لا لتشجيع الرذيلة سراً وخفية ولكن تجنباً لسوء العواقب بالكشف عن الفضيحة وجعلها مضغة فى الأفواه ومن الناس من يقول بأن التستر يؤدى إلى المزيد من المنكر ومن الناس من يقول بأن النشر هو العامل على الوصول إلى هذه النتيجة ومهما يكن فالأمر مرجعه عندى أولا وآخراً إلى يقظة الشعور وسمو الروح فى النفوس وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم .

ولقد عصفت الحوادث الدامية والاحتلال الألمانى لهولندا خلال الحرب العالمية الأخيرة بكثير من النظم العائلية الهولندية التى أصبحت فى نظر بعض الكتاب والأدباء العصريين نظما بالية عتيقة لا تتفق والتطور الحديث وقد كانت المدن وعواصم الكبرى فى هولندا معامل تجارب لادخال كثير من التقاليد الحديثة فى النظم العائلية الهولندية ولكن المنصف لا يسعه على كل حال إلا أن يسلم بأن ما غيرته الحرب العالمية الثانية فى الأوضاع

والعادات الاجتماعية فى بلاد كثيرة لا يكاد يقارن بما حصل فى هولندا إذ بالرغم من الهزات العنيفة التى طغت على بلاد غرب أوروبا جميعها من احتلال نازى وما صحبه من محاولات لتطبيق النظريات الاشتراكية الهتلرية فى كافة المرافق المعيشية إلى امتزاج كلى ردحاً غير قصير بجيوش مختلفة الجنسيات يغلب فيها الجنس الأمريكى وما أحضره معه من روح ديمقراطية مناصرة للرأسمالية التى تخضع غالباً لسلطان المالية اليهودية الأمريكيه — نعم بالرغم من كل هذا فإن الوسط الهولندى استطاع مع ذلك أن يحتفظ بكثير من تقاليده فلا يزال الأمر عند أهل هولندا تسيطر عليه روح القومية المتسمة بطابع الدولية ولا تزال العادات العائلية عندهم كما كانت مبنية على الاتزان والتمسك بالعروة الوثقى ولو أنها أضحت مصطبغة الآن بلون خفيف يضفى عليها روحا عصرية دون أن يغير هذا اللون شيئاً من الأسس الاجتماعية المتأصلة فى النفوس التى لا زالت تحيط التقاليد العائلية بسياج متين من الاحترام المقرون بمراعات التمسك بالفضائل والتحرز من الابتذال بترك ما يقتضيه واجب الاحتشام فى الملبس والاعتدال فى المأكل والمشرب وعدم محاولة إيقاظ الشهوات فى النفوس بالاعلان عنها فى خفة وعدم مبالاة والصحف الهولندية وهى مرآة صحيحة لما يختلج بنفوس الشعب الهولندى من أمانى ورغبات تراعى دائماً هذا الشعور القوى وتجدها تنحو نحوا يدل على ما يسود هولندا من طابع الاتزان فلا تنشر مثلا أسماء المتهمين كاملة وتكتفى فى الحوادث الجنائية بالاشارة إليهم

بحروف أبجدية من أوائل أسمائهم طالما لم يخرج الامر فيهم من دائرة الاتهام إلى الحكم النهائى كما تراعى دائماً الاختصار فى نشر أخبار الجرائم التى تقع وذلك لمنع الفتنة فى النفوس التى ثبت بالتجربة أن بعضها يتأثر لمجرد متابعة قراءة الروايات البوليسية أو مشاهدة الافلام السينمائية التى تمثل فيها بعض الحوادث التى يرتكبها اللصوص وقطاع الطرق

وتتأى الصحف بنفسها عن وضع صفحاتها لخدمة أغراض شخصية كما تربأ بنفسها عن نشر الاخبار التى لا زالت فى طور الاشاعات ولم تتبلور فيها الحقيقة بشكل تطمأن إليه النفس وذلك حرصاً منها على عدم بلبلة الافكار وإشاعة الذعر فى النفوس الامر الذى يتعارض فى الواقع والواجبات الأولية للمهنة الصحفية التى أصبحت من المهن المعترف بها كدعامة من الدعامات التى تؤثر فى الكيان الاجتماعى .

ومن المظاهر الأخرى التى لم تتغير بظروف وملابسات الحرب العالمية الثانية بهوانذا استمرار تشدد أولو الأمر فى مراعاة الاحتفاظ بهيبة هيئات الدفاع الوطنى من ضباط الجيش والطيران والبحرية وما يجب لهم من الاحترام الأمر الذى ألزم هذه الطبقة من المجتمع أن تحرص دائماً ليسلك أفرادها فى حياتهم الخاصة الخاصة مسلكا يضيق من حريتهم الشخصية حتى لا تسقط عن هامتهم تلك الهيبة ويزول عن أشخاصهم ذلك الاحترام الذى عبرت به عن إعجاب صحيح قلوب الشعب ولهذا قلما ترى ضابطاً عسكرياً بملابسه الرسمية يرتاد إحدى المقاهى أو المراقص العامة مهما كانت درجتها من

الوجاهة والسمعة الطيبة وشمل هذا الوضع إلى حد ما طبقات معينة من موظفى الدولة المدنيين كقضاة المحاكم ومديرى الإدارات ورؤسائها فقد يكون تواجد احدهم بإحدى المقاهى البريئة سبباً فى توجيه اللوم إليه من جهته الرئيسية وقد حدا ذلك إلى الإكثار من تأسيس النوادى على مختلف أنواعها فى جميع المدن الهولندية كبيرة أو صغيرة لتكون مرتاداً لأفراد هذه الطبقات التى بيدها مفاتيح الآلة الحكومية .

ومن المفيد أن أشير هنا إلى أن المذاهب الأباحيه التى أخذ يفشو أمرها ببعض البلاد كمذهب الوجودية Existentialisme ومذهب العراة Nudisme لا وجود لها قط بهولندا بل لا تذكر على الألسن ولا أعتقد أن ذلك يرجع كله بسبب تمسك الناس هناك بتعاليم الكنيسة لأن روح العصر الحديث التى أخذت تهب منذ القرن العشرين بالبلاد الأوربية وتطور الحياة الاجتماعية بهولندا أثر إدخال الصناعات الميكانيكية بها على نطاق واسع قد تضاءلت إمامه سلطة الكنيسة ولم يصبح التعليم الدينى فى هولندا وحده هو الوازع للنفوس التى أخذت تتحرر إلى حد ما من الطرق والأوضاع التى توجبها الكنيسة وتسير فى طريق آخر مما يعبر عنه بالتفكير الحر -Libre Penseur- والواقع أن المرجع فى كل ذلك هو أولا وآخراً لما يتمسك به الناس هناك من الحرص على تقاليدهم العائلية وعدم الخروج عما رسمته يد الدهر فى لوحة تاريخهم من الصور البديعة التى تشيد بآدابهم وأخلاقهم والحكومة من جانبها لا تألوا جهداً فى بذل المستطاع لتشييد

صرح الأخلاق القويمة والعلاقات الاجتماعية الطيبة ونشرها بين سائر طبقات الشعب ولم تجعل هذا الواجب وقفاً على رجال الدين وحدهم بل قامت بوضع الأسس الاجتماعية الحديثة فى كافة المرافق المعيشية سعياً وراء دعم الأخلاق بين الأفراد لأن رفع المستوى الأدبى والخلقى فى الأمة هو بمثابة حصولها على ما يعود عليها بأعظم الفوائد المادية فتبقى دائماً قوية فتية وقديماً قال الشاعر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وأعود بعد ذلك للتكلم عن ترجمتى لهذه القصة فأقول بأننى اضطررت فى غير موضع للتحلل من الترتيب الذى اتبعه مؤلف القصة دون أن يمس ذلك فى الترجمة جوهر الأصل ودون أن يغير شيئاً من الأراء التى بسطها المؤلف خلال السطور التى دبجها يراعه بكل براعة وعذرى فى ذلك ما اقتضاه السياق عند نقل هذه الآراء إلى اللغة العربية لما هو معلوم من الفارق بين الأسلوب القصصى الفرنسى وبين الأسلوب القصصى العربى .

ويهمنى هنا أن أثبت إننى توخيت تسمية بعض المسميات الأعجمية بأسمائها كالأصل عند نقلها للعربية وقصدت من وراء ذلك أن لا نقف لغتنا العربية جامدة فى حدود السلف إزاء السيل الجارف من المسميات الكثير من المخترعات الحديثة إذ كان ولا يزال محل اعتراضى ما ذهب إليه بعض النحويين من ضرورة إلباس هذه المسميات الأعجميه الحديثة ثوبا عربياً قشيبا حتى ولم يكن هذا الثوب ليدل عليها فلست أفهم لماذا لا نستعمل

كلمة « الساندويتش » بل يطلب منا أن نقول « شاطر ومشطور وطازج بينهما » مع أن أصل هذه الكلمة فى اللغة الإنكليزية ترجع إلى ما اعتاده أحد الإنكليز المدعو «ساندويتش» من اقتصاره وجبات طعامه على شطائر من الخبز مدهونة بالزبدة ومحشوة بشيء من الجبنة أو اللحم المقدد ! بل لست أفهم لماذا يراد بنا أن نقول لآلة التليفون السرة مما يستتبع معه أن نسمى مصلحة التليفونات بمصلحة السرات ! ! ولست أرى فيما توخيته خروجا على سنة السلف الصالح فقد أن اتصل العرب فى صدر الإسلام بالمدنيتين القديمتين الإغريقية والرومانية وعملوا على نشر ما ينفع الناس من علومهما وجدوا أنه من الخير كل الخير أن تزدان لغتهم العربية التى كانوا يريدون بها أن تكون لغة أهل الأرض قاطبة بما لم يكن معروفا فيها من قبل فنقلوا حرفياً بعض أسماء العلوم والمعارف بعد تعريبهما فمن ذلك الجغرافيا والكيمياء والفلسفة وهذه الأخيرة كلمة مركبة من أصلين فى اللغة الإغريقية وهما كلمة Philo ومعناها الحب وكلمة Sophi ومعناها الحكمة فالفيلسوف هو الرجل المحب للحكمة وقد اشتقت من ذلك كلمة الصوفية التى أطلقت على مذهب من المذاهب الإسلامية البحتة المعروفة والتى كان لها شأن بمصر فى تاريخها الحديث ولا يزال أثره باقياً للآن يدل عليه المجلس الصوفى وأصحاب الصوفية .

ومن الطريف أن أذكر فى هذا الباب ما وقفت عليه من أن بعض الأسماء لكثير من ألوان الطعام غير العربية أصلا وجدت فى زمن الدولة العباسية

مكاناً رحباً فى اللغة العربية فالفالوذج مثلا هو نوع من الحلوى الفارسية وقد عربت الكلمة حسب نطقها بالفارسية لا أكثر ولا أقل .

وعجل القول عندى أنه من الخير أن نعمل بتلك الحكمة القائلة « خطأ مشهور خير من صواب مهجور » .

تحريراً فى ١٥ فبراير سنة ١٩٥٣
غرة جمادى الثانى سنة ١٣٧٢

محمد على صادق

وزير مصر المفوض بهولندا
سابقا

الفصل الأول

البنت الفلاحة وتربية الأبقار

فى يوم من شهر مايو غادر ضابط البوليس الفرنسى « ميجريه » فرنسا قاصداً بلدة دلفزايل بهولندا . ودلفزايل ثغر بحرى صغير يطل على بحر الشمال بهولندا وكان يقصد برحلته هذه أن يقوم بكشف غوامض حادثة قتل حصلت بها وكل ما وقف على تفصيلاتها عند سفره يتلخص فى أن أحد أساتذة المدرسة البحرية بهولندا المدعو « بوبنجا » كان قد استضاف الأستاذ « جان ديكلوس » أستاذ العلوم الجنائية بجامعة نانسى الفرنسية ليلقى محاضرة علمية اجتماعية بدلفزايل التى كان يقيم بها وقد وُجد الأستاذ الهولندى مقتولا فى المساء بعد انتهاء المحاضرة وانصراف المدعوين ومع أن رجال الضبطية القضائية الهولندية لم يوجهوا الاتهام صراحة إلى الأستاذ جان ديكلوس إلا أنه صدر التنبيه عليه منهم بعدم مغادرته البلدة وبقائه تحت التحفظ رهن تصرف السلطات الهولندية مما دعى الحال معه لأن تطلب إدارة جامعة نانسى الفرنسية من أدارة التحقيقات القضائية الفرنسية لترسل مندوباً عنها ليقوم بالوقوف على تفصيلات الموضوع وموافاتها

بتقرير مستوف عن التحقيق فى الحادثة لمعرفة مدى صحة الاتهام الذى يحوم حول الأستاذ جان ديكاوس سالف الذكر .

ويتبين مما تقدم ذكره أن مهمة الضابط ميجريه كانت من الوجهة الدولية ذات صبغة غير رسمية Officieuse ولذلك لم ير محلا لأن يخطر رسمياً سلطات البوليس الهولندى المختصة عندوصوله البلدة ؛ بل اكتفى منذ البداية بالاتصال مباشرة بالأستاذ جان ديكاوس الذى كتب له تفصيلات الحادثة وحصل منه بالبريد على قائمة باسماء الشخصيات التى كانت ذات صلة بها وبيانها كما يأتى :—

١ — كونراد بوبنجا — القتيل وعمره ٤٢ سنة وكان ضابطاً بالبحرية الهولندية ثم عين أستاذاً مدرساً بالمدرسة البحريه بدلفزايل متزوج ولم ينجب أولاداً ويجيد التكلم باللغات الألمانية والفرنسية والإنكليزية

٢ — اليزابث بوبنجا — زوجة القتيل وكريمة مدير أحدى المدارس الثانوية بأمستردام وعلى جانب كبير من الثقافة الفرنسية .

٣ — آنى فانئست — شقيقه زوجة القتيل آنسة عمرها ٢٥ سنة حاصلة على شهادة الدكتوراه فى العلوم القانونية وتفهم الفرنسية وإن كانت لا تتكلمها بطلاقة وتعيش مع أختها كضيفة من وقت لآخر .

٤ — آل فيناند — عائلة تجاور فى السكن عائلة الفقيد مكونة من الأب كارل فيناند وهو مدرس الرياضة بالمدرسة البحرية بدلفزايل ومن زوجته الهولندية ولديهما الصغيرين ولا يعرف أحد منهم التكلم بالفرنسية

٥ — بيتشى ايفين — آنسة لم تتجاوز الثمانية عشر ربيعاً تجيد التكلم باللغة الفرنسية وسبق لها زيارة باريس مدة قصيرة وأبوها من المزارعين الهولنديين المتخصصين فى تربية الأبقار الهولندية ذات الشهرة العالمية بمزرعته القريبة من دلفزايل ويمتد نشاطه إلى البلاد الخارجية عن طريق التجارة فى هذه الأبقار التى يقوم بتصدير فصائل منهـــا إلى أمريكا الجنوبية واستراليا .

ولم يكن لحديثه مع الأستاذ جان ديكاوس عند مقابلته ما يزيل عن نفسه ما انتابها من غمة لما نزل من القطار بتلك البلدة الصغيرة « دلفزايل » لأن رد الفعل فى نفسه كان شديداً إذ بعد ما غادر أمستردام وما رآه فيهـا من فخامة البانى وضخامة مبانيها وسار به القطار فى طريق بسطت حوله على مسافات طويلة حقول الزهور الهولندية البديعة من إيصـال النرجس والتوليب Tnlipes ثم اخترق مدة غير قصيرة من الزمن غابات مقاطعة « درنت » الهولندية الرائعة بما كان يتخللها من ترع وقنوات تنساب وسط الأشجار الخضراء كاللجين يسيل على بساط من الحرير السندسى وجد نفسه أمام بلدة لم يكن ما مر به ليتفق مع ما رآه بها إذ لم يكن يتصور أن توجد فى هولندا التى كانت فى طريق سفره كحديقة غنـاء بلدة تكاد تتسم بطابع بعض البلاد النائية التى توجـــد فى أقصى الشمال بأوروبا .

والواقع أن بلدة دلفزايل وأن كانت ميناء صغيرة إلا أن شوارعها

كانت مكسوة بطوب القرميدالأحمر الذى صار رصه بأتقان يبز رص أرض المطبخ أو الحمام بالرخام ومبانى البيوت القائمه على شوارع البلدة تشابه بعضها البعض فكلها مبنية بالطوب الأحمر وواجهتها مزخرفة بمختلف الأخشاب المصقولة صقلا لطيفاً والملونة بألوان جذابة وتكاد تكون كلها بارتفاع واحد ويحيط بالبلدة خليج صغير يتصل ببحر الشمال ومقام فى مجراه عدة بوابات من الحديد يصير غلقها إذا ارتفع منسوب المياه وفتحها إذا انخفض حسب مد البحر وجزره ويصب بالقرب من البلدة نهر « الأمس » فى بحر الشمال ويقوم عند مصبه رصيف الميناء المقامة عليه بعض الرافعات الميكانيكية ويتفرع من نهر « الأمس » كثير من الترع والقنوات التى كان يسبح فيها العديد من القوارب المختلفة الأصناف والأحجام ولم تلبث تلك النعمة التى قامت بنفس الضابط ميجريه لأول وهلة عند نزوله من القطار إن أخذت تزول مع الوقت وأخذ الأثر الذى تركته دلفزايل فى نفسه يعتاد عليه إذ كان هذا الأثر لديه مزيج من الغبطة والاستهتار لأنه رأى دلفزايل كأنها إحدى اللعب والتى يراها الإنسان فى صندوق من الورق المقوى لدى تجار اللعب والتى تعد لتسلية الأطفال حيث يخرجونها من الصندوق ليعيدوا بنائها ورصها بيتاً بيتاً وشارعاً شارعاً .

وتوجه الضابط ميجريه لمقهى صغير واقع أمام محطة السكة الحديدية عقب نزوله من القطار حيث رحب به ناظر المحطة شأنه مع كل زائر أجنبي

ينزل البلدة ولما دخل الضابط المقهى جلس على الكرسى محاذراً السقوط لأن أرض غرفة المقهى المصنوعة من الخشب المصقول كانت تلمع لمعانا يدل على شدة تنظيفها مما شعر معه الضابط وكأنه موجوداً بأحدى قاعات الاستقبال الفخمة ببيوت الطبقة الموسرة وتحتوى المقهى على منضدة طويلة تتوسطها وقد رفعت عليها أعمدة رفيعة من النحاس على شكل رفوف وضعت عليها بعض المجلات والجرائد اليومية لقراءة الزبائن وبادر صاحب المقهى لاستقبال الضابط الذى سأله إن كان يجيد الفرنسيه وفهم من عدم الرد عليه أنه لا يستطيع التحدث إليه بهذه اللغة واكتفى بأن أفهمه بالإشارة أن يعطيه قدحا من البيرة وبينما كان يرتشف شرابه أخرج من جيبه قائمة الأسماء التى كان قد حصل عليها من الأستاذ جان ديكلوس وأخذ يتفرس فيها بأمعان واسترعى انتباهه الاسم الأخير فقال بصوت عالٍ « ليفين » فسمعه أحد الزبائن الجالسين بالقرب منه فتقدم هذا إليه يدعوه ليدله على محل إقامة صاحب هذا الإسم وظهرت الحيرة على وجه الضابط لأنه لم يكن قد احتاط قبل سفره فيستبدل جزءاً من نقوده الفرنسية بأخرى هولندية وذلك لما أراد دفع ثمن شرابه قبل القيام بالذهاب مع الزبون الذى تطوع ليرشده عن محل إقامة المزارع ليفين ولكن صاحب المقهى قد أدرك بفطنته الأمر فحضر إليه يطمأنه بالهولندية بما فهم منه أنه لا مانع من عدم قيامه بالدفع اليوم ويمكنه أن يدفع الثمن فى اليوم التالى الأمر الذى كان وقعه فى نفس الضابط لطيفاً أكد ما استشعر

به منذ دخوله المقهى بأن كيانها يختلف عن المقاهى الفرنسية إذ رأى فى معاملة صاحب المقهى نوعا من العلاقات التى تسود بين العائلات التى يعرف بعضها البعض .

وخرج الضابط بصحبة الزبون الهولندى ميمما شطر البلدة فمر فى طريقه بأحد المخازن المحتوية على مختلف الآلات والأدوات البحرية من سلاسل ومراسى قديمة . ثم وقع نظره بعدئذ على حانوت صغير لبيع الشيكولاته والحلوى التى كانت معروضة بشكل أنيق يبهج الناظرين ثم دلف بعدئذ مع مرشده بعيداً عن مبانى المدينة إلى حيث يقع فى طرف منها فضاء واسع تأتى بعده الغيطان والأراضى الزراعية ووجد على مسافة غير بعيدة فى وسطها منزلا كبيراً قد غطيت أسقفه العليا بالطوب القرميد اللامع وأشار إليه رفيقه بيده إلى هذا المنزل قائلا بالهولندية بما فهم منه أن هذا المنزل هو منزل المزارع ليفين وعلى ذلك انصرف هذا الرفيق بعد أن حيا الضابط مودعاً بتلك العبارة الهولندية التقليدية «داج مايهير Dag Mijne Heer» ومعناها « نهارك سعيد يا سيدى » .

ووقف الضابط ميجريه هنيهة وحده وهو يفكر ثم تابع سيره صوب هذا المنزل دون أن يتمكن لجهله اللغة الهولندية من الرد على مرشده الذى تطوع من تلقاء نفسه ليؤدى إليه هذه الخدمة التى طلبها عفواً .

ورأى الضابط عدداً لا يحصى من الأبقار الرائعة ترعى فيما حولها من الغيطان التى كانت محوطة فى عدة جهات بأسوار مصنوعة من الخشب

والمدهونة باللون الأبيض الزاهى، ويتخلل هذه الفيطان عدة قنوات قد زرع على جانبيها شجر مختلف النوع والحجم من البلوط والزان ولم يكن ليدور فى خلد الضابط ميجريه أن يجد نفسه أمام مزرعة مبنية على أحدث طراز ويجرى العمل فيها طبقاً للأساليب الحديثة لأنه اعتاد مشاهدة تلك المزارع القديمة المكونة من بيت يكاد يكون لقدمه وتهدمه كالكوخ ومن اسطبل للمواشى تهتكت جدرانه وتناثرت حولها الأتربة وروث وفضلات مؤونتها والواقع أن منزل المزارع ليفين يعتبر من المنازل الريفية الهولندية الأنيقة تحيط به حديقة منسقة تنسيقا بديعاً ويواجه المنزل جدول متفرع من القناة الرئيسية وقد كان راسياً فيه قبالة بوابة المنزل قارب أنيق وقد صنعت بوابة المنزل من الحديد المشغول بأشكال هندسية لطيفة وكان مسنداً إلى جوار البوابة دراجة معدة لركوب السيدات صنعت من معدن النيكل اللامع

ولما لم تجدى محاولته للدخول نفعا إذ لم يحضر أحد إليه ليمكنه من ذلك اتجه من تلقاء نفسه صوب اسطبل المواشى المجاور للمنزل حيث سمع رعاء الأبقار وأصواتها تدوى . وكان الاسطبل مبنياً بشكل هندسى روعى فيه تقسيم مرابط الأبقار بحيث تفصل بينهـــا حواجز كما رصفت أرض الاسطبل جميعها بالطوب القرميد ومهدت فى الأرض قنوات بطول مرابط الأبقار لتصريف ما تبوله كما بنيت بكل مربط قاعدة لوضع كلأ المواشى ويجرى توزيع المؤونة بطريقة آليـة داخل صناديق مخصصة لهذا الغرض

وثبتت فى الحائط وراء مربط كل بقرة آلة صغيرة مخصصة لرفع ذيل البقرة أثناء حلبها لوقاية اللبن من التلوث بأية شائبة أثناء إدراره وتجرى عملية الأدرار بطريقة ميكانيكية أيضاً لا بالأيدي .

ولما دخل الضابط ميجريه الاسطبل وجد جميع الأبقـــار به واقفة فى مرابطها عدا واحدة كانت راقدة على جنبها وشاهد بجوارها الآنسة «بيتشى ليفين» وهى منحنية على البقرة تفحصها وكانت الآنسة متدثرة بدثار أبيض من القماش يعلو صدرها ولبست فى قدميها حـذاء ذو رقبة طويلة أسود اللون مصنوعاً من المطاط شبيه بما يلبسه راكب الخيل « طوزلك » وهذا الحذاء يلبس فوق الحذاء العادى للوقاية من الماء والوحل لا سيما عند هطول الأمطار [1] . ورفعت الآنسة رأسها لما وجدت الضابط مقبلا نحوها فراعه جمال وجهها المستدير وسألته الآنسة وعلى شفتيها ابتسامة بريئة جذابة قائلة : —

— يخيل لى أنك فرنسى الجنسية !

— نعم هذا صحيح .

— هل تريد مقابلة والدى ؟

— كلا أريد التحدث إليك شخصياً .

---

(١) يستعمل مثل هذا الحذاء بدون رقبة طويلة فى دخول المساجد ويعرف باسمه التركى « اليتك »

— آه . أرجوك إذاً معذرة فقد ذهب والدى إلى مدينة جرونتج منذ الصباح وان يعود قبل المساء والخادمان بالمنزل يقومان الآن بتفريغ شحنة من الفحم الحجرى من إحدى المراكب لوضعها بمخازن المنزل والخادمة ذهبت لشراء بعض الحاجيات المنزلية من السوق ولقد اضطررت لترك المنزل ودلفت كما ترانى للاسطبل لأقوم بما يلزم لولادة هذه البقرة

— لقد حضرت هنا لأتحدث إليك بشأن حادثة قتل كونراد بوبنجا.

فاضطربت الآنسة بيتشى شيئاً ما وفى هذه اللحظة قامت البقرة الراقدة ووقفت على أرجلها فازعة بضعة دقائق ثم عادت للارتماء على جنبيها تأن وتصيح من الألم .

— حاذر قليلا يا سيدى فالبقرة على وشك الوضع ولعلك تساعدنى فيما أقوم به الآن لولادتها .

فلم يتردد الضابط ميجريه لحظة لتلبية هذا الرجاء وهو يسخر فى نفسه من الأقدار التى جعلته يبدأ تحقيقاته القضائية بأخراج عجل حديث الولادة من بطن أمه بمساعدة آنسة جميلة دلته حركاتها على ممارستها للألعاب الرياضية !

ولما وضعت البقرة عجلها الصغير الذى بادر منذ خروجه إلى الدنيا بالتقام ثدى أمه راضعاً لبنها إنصرف الضابط ورفقته الآنسة إلى مغسل نظيف كائن بركن من الأسطبل حيث تصب الماء الرائق فيه حنفية

نحاسية بريقها يدل على الاستمرار فى جلوها وتنظيفها وأخذ الضابط يغسل يديه إلى المرفق ووقفت إلى جانبه الآنسة تداعبه بكلامها قائلة :—

— أظن أن هذه هى المرة الأولى فى حياتك تمارس هذه العملية ؟

— نعم يا آنستى وإن شئت لهذه المناسبة يسرنى أن أناديك يا معلمتى.

فضحكت الآنسة مسرورة وقالت للضابط :—

— إن شئت أن نتكلم سوياً فى الموضوع الذى من أجله حضرت لزيارتى فأرجو أن تنتقل معى لنأخذ الشاى سوياً بغرفتى فى المنزل .

وحملق فيها الضابط ملياً بعد أن خلعت دثارها الأبيض الخارجى إذ راعه فيها سنها الصبى الذى يكاد يبلغ الثامنة عشر ربيعاً كما راعه فيها جسم وردى اللون غض الأهاب إذ بدت من ثنايا ملابسها بعض أجزائه التى اكتسبت لونا يميل إلى السمرة من تأثير الجو المشمس فى المزارع والغيطان مما يثير الغريزة فى الإنسان ثم ما لبث الضابط أن استجمع نفسه وسار معها صوب المنزل حيث أجلسته برهة قليلة فى ردهة الاستقبال التى بدت فى عينه من الطراز الذى يوجد فى بيوت الطبقات الموسرة وقد استرعى نظره بصفة خاصة زجاج الشبابيك الملون بألوان زاهيه ومتسق بأشكال لطيفه وشاهد بالغرفه مكتبة تحوى عدد غير قليل من الكتب معظمها يتعلق بشئون المواشى وأصول تربيتها والعلوم البيطرية ورأى الضابط من بينها بعض المؤلفات فى الأدب الفرنسى وقد ازدانت جدران

الغرفة بكثير من الجوائز (الميداليات والدبلومات) التى فازت بها الأبقار التى يقوم بتربيتها المزارع ليفين فى مختلف المعارض الدولية — وعادت الآنسة بيتشى بعد غيبة قصيرة تدعوه ليأخذ جلسته معها فى مخدعها الخاص بها وقد وجده الضابط مؤثثاً على نمط يغلب فيه الذوق الباريسى فقد استعيض عن السرير بأيوان بديع قد فرش بأريكة وثيرة غطيت بقماش من الحرير السميك ذو لون أزرق بهيج ووضعت فى رف يعلوه دمية بديعة الشكل قالت الآنسة بيتشى أنها قد اشترتها من باريس وبعد هنيهة اعتدل الضابط فى جلسته وسأل الآنسة قائلا : —

— هل لى أن أسمع منك تفصيلياً ما حدث هنا فى الإسبوع الماضى ؟

—سأسرد لك كل ما تريد الوقوف عليه أثناء تناولنا الشاى سوياً— ولقد غطى وجه الآنسة وقتئذ لون قرمزى داكن أثر اضطراب فى نبضات قلبها ولكنها تمالكت روعها وجلست فى مواجهة الضابط تصب الشاى له فى الفنجان من أبريق مصنوع من الصينى بشكل لطيف بعد أن رفعت عنه غطاء من القماش المبطن يستعمل لحفظ حرارة الماء داخل الإبريق وبعد أن أحضرت ليكون تحت يدها قاموساً للغتين الهولندية والفرنسية للأستعانة به عندما يكون قد غاب عنها شىء من الكلمات باللغة الفرنسية بدأت الحديث مع الضابط قائلة : —

— هل تقابلت مع آل بوبنجا !

— كلا فقد نزلت من القطار منذ ساعة فقط ولم أفعل شيئا يذكر سوى مساعدتك فى ولادة البقرة .

— لقد كان الفقيد كونراد رجلا طيباً وجذابا وقد بدأ حياته بوظيفة ملازم ثان ثم أول بالبحرية الهولندية وتمكن بذلك من الطواف ببلاد عديدة ولما نال رتبة ضابط تزوج ورغب بسبب ذلك فى الاستقرار نهائياً هناحيث التحق بوظيفة مدرس بالمدرسة البحرية بدافزايل وكان يملك يختا بحريا ولكن زوجته تخاف ركوب البحر فاضطر لبيعه مكتفيا بقارب صغير كالذى أملكه وهو الذى رأيته راسيا قبالة بوابة المنزل بالقناة وكان الفقيد مثابراً على تأدية عمله بكل جهد حتى أنه لم ير بأساً لأن يقوم باعطاء دروس خاصة ليلية علاوة على أعمال وظيفته بالمدرسة .

— وكيف كانت أخلاق الفقيد ؟

— دونك هنا صورة للفقيد كونراد — ولم تشأ الآنسه أن تجيب بشىء على هذا السؤال مكتفية باحضار صورة الفقيد وقدمتها للضابط الفرنسى قائلة : —

— أن الفقيد يبدو فى الصورة أكبر سنا إذ أنه لم يتجاوز الأربعين عاما وأما زوجته فتكبره بخمس سنوات ولا تتفق معه فى المشرب والنظر إلى الأمور ولو أن الناس هنا يتبعون المذهب البروتستانتى إلا أن السيدة بونجا تفوق الكل فى تعصبها الأعمى والتمسك بقواعد هذا المذهب العتيقة .

وقد انصرفت بكلياتها فى هذا السبيل حتى أنهـا تشغل الآن كرسى الرياسة للكثير من الجمعيات الخيرية والدينية ولاأريد أن يتطرق إلى ذهنك أننى أمقتها ولكن لا شك اننى أشعر بعدم وجود حب وتقدير متبادل بيننا لما يفصل بينى وبينها على الأقل من الفوارق الاجتماعية فهى كريمة أحد أساتذة المعاهد التعليمية وأما أنا فلست إلا بنت أحد الفلاحين !

وأبدأ بسرد ماحصل فى الأسبوع الماضى بأن أشير أولاً إلى أن سكان بلدة دلفزايل بالرغم من صغرها وعدم أهميتها إذا قورنت ببعض المدن والعواصم الكبيرة بهولندا يحبون الوقوف على كل مايدور حولهم فى أفق العلوم والمعارف ولذلك تراهم فى شدة التبطة كلما أتيحت لهم الفرصة لعقد حلقات الاستماع إلى المحاضرات العلمية ما بين الفينه والأخرى وفى الأسبوع الماضى جاء الأستاذ جان ديكلوس العالم الأستاذ بجامعة نانسى الفرنسية والمتخصص فى العلوم الجنائية والنفسانية فضلا عن أنه من مشاهير رجال المحاماة كما تعلم ذلك طبعاً جيداً — وهنـا بدت على وجه الآنسة علامات التعجب أن يكون الأستاذ ديكلوس فى حكم النكرات الغير معروفة لدى الضابط الفرنسى — وكان حضور الأستاذ المذكور بناء على دعوة من الفقيد بوبنجا ليلقى محاضرة فى المسئولية الجنائية ولما كانت السيدة بوبنجا هى رئيسة للجمعية التى تباشر تنظيم عقد مثل هذه المحاضرات العلمية فكان من الطبيعى بعد انتهاء الأستاذ ديكلوس من محاضرته أن تقوم السيدة المذكورة بإظهار حفاوتها به وكان أن عقد فى حوالى الساعة العاشرة بمنزل الفقيد اجتماع متواضع مكون من الأستاذ ديكلوس ومنى

والفقيد وحرمه وآل فينانذ ويقع منزل الفقيد على قناة « الأمستردیب » وهى نفس القنـــاة التى تمر قبالة منزلنا كما رأيت ذلك والمسافة بين المنزلين تقدر بنحو كيلو متراً واحداً وكان الفقيد فى ذلك الاجتماع تبدو عليه علامات المرح لأنه بادر بإدارة آلة الراديو الموجودة بغرفة الاستقبال حيث كان ممن ذكرتهم من الحضور يتجاذبون أطراف الحديث ونسيت أن أذكر أن الآنسة «آنى» أخت السيدة بوبنجا كانت أيضا حاضرة وهى آنسة ذات ثقافة عالية وحصلت على الشهادة التى تؤهلها لممارسة المحاماة ومابدأت آلة الراديو تذيع نغمات موسيقية حتى بادر الفقيد يرفع السجادة الموضوعة على أرض الغرفة المكسوة بالخشب اللامع واضعاً المنضدة التى كانت بوسط الغرفة إلى ناحية لكى يفسح المجال لمن يقوم بالرقص من الحاضرين وفعلا دعانى الفقيد للرقص معه وكنا نتناول بين الفينة والاخرى بعض الشهيات ونشرب كؤوساً مترعة من النبيذ وظل الحـال كذلك إلى ما يقرب من منتصف الليل حيث قام آل فينانذ منصرفين إلى منزلهم وعلى ذلك تأهبت للخروج أيضاً فصحبنى الفقيد عند خروجى من منزله بل وقام يرافقنى وأنا على دراجتى وهو ممتطياً دراجته حتى وصلت منزلى وكان أبى بانتظارى ولم أعلم بالحـادثة إلا فى صباح اليوم التالى وتالله ما كنت أتخيل أن أكون السبب فيما وقع لكونراد الفقيد لأن خروجه معى بدراجته وعودته بها ثم اضطراره لوضعها بالتالى فى المحل المخصص للدراجات بمنزله هو الذى مكن القاتل من رميه بالرصاص أثناء قيامه بذلك ولقد مات بعد إصابته بنصف ساعة دون أن يتفوه بكلمة واحدة — فألف رحمة عليك يا كونراد ! — لقد

كنت رجلا ينبض قلبك بكل معانى الرجولة الحية ! .

وانحدرت من مقلتى الآنسة بيتشى دمعة على خديها اللذين كانا بلون الورد القرمزى فكأنها قطرة الندى إذ تنحدر فى البكور على ثمار التفاح التى تتدلى من غصون الشجر وشارك الضابط الآنسة في شعورها الطيب بأن لبث صامتاً بضعة دقائق ثم قال لها :

— وهل هذا كل ما حصل ؟

— أى نعم ولقد حضر رجال الشرطة القضائية من المركز العام بمدينة جرونتج وباشروا التحقيقات الأولية وفهمت من سير هذه التحقيقات أن الأستاذ جان ديكلوس قد قيل عنه بأنه رؤى ليلة الحادثة عقب إطلاق الرصاص نازلا درجات السلم مابين الطابقين بمنزل الفقيد وفى يده المسدس الذى استعمل فى الجريمة .

— وإذن فالأستاذ جان ديكلوس قد أصبح فى حكم المقبوض عليه .

— تقريباً لأن البوليس أمره بعدم مغادرة دلفزايل .

— يلوح لى من حديثك أنه وقت وقوع الحادثة لم يكن بالمنزل سوى عقيلة القتيل وأختها والأستاذ جان ديكلوس .

— نعم . وفى هذه الليلة قبل وقوع الحادثة كان مع هؤلاء آل فيتاند.

— وأنت طبعاً .

— نعم « وكور» أيضاً .

— من هو « كور » هذا ؟

— هذا مختصر لأسم كور نيليوس وهو شاب يافع ملتحق كطالب بالمدرسة البحرية بدلفزايل وكان يتردد على منزل الفقيد فى المساء حيث يتلقى دروسه الخصوصية من الفقيد .

— ومتى غادر المذكور المنزل تلك الليلة .

— فى نفس الوقت الذى غادرت فيه مع الفقيد المنزل ولكنه اتجه إلى ناحيـة مضادة للطريق الذى سلكته لأنه لا بد له من العودة إلى السفينة المدرسية الراسية بقناة « الأمس » حيث يبيت فيها كباقى الطلبة .

ودخل فى هذه اللحظة المزارع ليغين والد الآنسة التى رأت والدها من نافذة مخدعها وهو ينزل من سيارته التى حضر بها وقد عم عند دخوله المنزل فوراً شطر مخدع ابنته حيث رأى الضابط الفرنسى جالساً يتناول الشاى ولأنه لا يتكلم اللغة الفرنسية اقتصر الأمر بينه وبين الضابط على مجرد التحية ولكنه التفت نحو إبنته وتكلم معها طويلا باللغة الهولندية وفهم منها طبعا ما كان من ولادة البقرة وحضور الضابط أثناء ذلك ومساعدته لها فى عملية الولادة لأنه لم ينته من كلامه مع ابنته حتى انصرف من الغرفة متجها نحو اسطبل المواشى ولم يسع الضابط الفرنسى إلا أن يتساءل من الآنسة عما إذا كان أبوها قد ذكر لها تفصيلات جديدة فى الحادثة وقال لها :—

— هل ذكر لك والدك إن كان البوليس الهولندى قد ألقى القبض على الأستاذ جان ديكلوس ؟

— كلا لم يتم بعد هذا الاجراء وكل ماهنالك أن البوليس أمر الأستاذ ديكلوس بأن يبقى تحت التحفظ داخل الفندق الذى كان نازلا فيه واسمه فندق « فان هشلث » .

— وأين الآن جثة القتيل ؟

— لقد أرسلت المشرحة التابعة لمركز جرونتج عاصمة المقاطعة التى تتبعها بلدة دلفزايل وهى مدينة كبيرة يبلغ تعداد سكانها نحوا من المائة ألف نسمة وتبعد عن البلدة هنا نحوا من ثلاثين كيلوا مترا وبها جامعة مشهورة وقد ألقى بها أول أمس الأستاذ جان ديكلوس محاضرته — ألا ترى معى كم تكتب الأقدار فى حياة المرء من صفحات متناقضة ؟

— هل كانت من عادة الفقيد أن يصطحبك دائما لمنزلك عندما تكون فى زيارة لعائلته بمنزله ؟

— نعم فى جميع المرات التى يكون فيها موجوداً بالمنزل .

— ألم يكن فى ذلك ما يثير الغيرة فى صدر زوجته ؟ — ألقى الضابط هذا السؤال من غير تكلف أو تردد لأنه يرى أمام ناظريه فتاة جميلة ذات جسم غض يزين الصدر فيه نهدان بارزان بشكل خلاب — وأجابته الفتاة وهى تضحك بملء شدقيها :—

— ليس فى ذلك بهولندا ما يدعو للريبة أو الغيرة ونسيت أن أقول بأنه فى بعض الأحيان كان يصحبنى فى عودتى للمنزل الطالب كورنيليوس

— ألم يقع هذا الطالب اليافع فى شبكة حبك ؟

وبقى هذا السؤال من غير رد لأن الآنسة تحاشت أن تنفى أو تثبت شيئا مما سأل فيه الضابط واكتفت بأن تثاءبت وهى تبدى آهة مصطنعة وانتصبت واقفه على قدميها واتجهت للنافذة وأطلت برأسها منها إذ رأت والدها المزارع ليفين ممسكا بكلتا يديه المجل الحديث الولادة ملقيا به على الحشيش الأخضر بالفيط. وكان أن ازداد الضابط جرأة فاقترب منها هامساً :—

— ألم يكن الفقيد ينتهز الفرصة فى كل مساء ليطبع على جبينك الوضاح أو خدك الجميل قبلة ؟

— نعم .

— وهل كان الطالب كور نيليوس يفعل ذلك أيضا ؟

وقبل أن تجيب على هذا السؤال استدارت الآنسة ببتسى للضابط كأنما فى الأمر ما يدعو لشىء من الرسميات وقالت :

— نعم ولماذا تسأل عن ذلك ؟

فلم يستطع الضابط الفرنسى الرد بدوره وأما الآنسة فقد ألقت عليه نظرة ذات مغزى وهى تقول فى نفسها يلوح لى ياحضرة الضابط بأنك تريد

أيضا أن تقبلنى ثم ما لبثت أن سمعت والدها ينادبها فهرولت منصرفة من غرفتها وهى تقول للضابط : —

— أرجوك معذرة فمن المهم جداً أن أذهب فوراً لمكتب العمدة لتسجيل ميلاد هذا المجل محافظة على نسبه فهل أنت ذاهب صوب وسط البلدة ؟

فأومأ الضابط بالإيجاب وسار برفقتها خارج المنزل وكانت تسير إلى جنبه ممسكة بدراجتها التى اعتلتها وأخذت تديرها ببطء فبرز للناظر مقدار الانسجام فى نخذيها اللذين كأنهما لأمرأة مكتملة الأنوثة وقالت : —

— ألا ترى معى جمال الطبيعة هنا ؟ مسكين يا كونراد لقد أصبحت فى عداد من لا ينظر ! سيبدأ باكر موسم السباحة ولقد كنت يا كونراد لا يفوتك يوم دون أن تمضى ساعة فى الماء تسبح وتلعب وأنت تستحم ! فيا لسخرية الأقدار ! ولم ينطق الضابط الفرنسى ببنت شفه بل ظل سالكا طريقه مطأطأ الرأس ناظرا بعينه إلى الأرض مفكرا متدبرا :

الفصل الثانى

القاول صاحب الطاسكيت

ومضى الضابط الفرنسى وهو يسير بجانب الآنسة بيتشى يفحص ما حوله باعتناء زائد إذ أراد أن يطبع فى مخيلته صورة ما يراه على الطبيعة ليسهل عليه أن يتذكر الأماكن التى قد يأتى عنها السياق فى التحقيق الذى سيجريه وأول ما استرعى نظره أن تبين له أن قناة «امستروديب» التى يقع على ضفتها كل من منزلى آل ليفين وآل بوبنجا ترعة ضيقة كثيرة الأنتواء ولهذا لم تعد صالحة للملاحة للسفن ذات الحمولة الكبيرة التى أصبحت تلجأ فى أسفارها إلى ترعة أخرى حفرت فيما بعد وتعرف باسم ترعة «الأمس» التى تتصل بالميناء مباشرة وبقيت ترعة «امستروديب» طريقاً مائياً محليا فقط ويسير على ضفتيها المظللة بالأشجار خط السكة الحديد المعد لنقل خشب الأشجار المهيأ للتصدير وتقع على هذه القناة بعض المزب والدساكر . ويقع بالقرب من الميناء على مسافة يسيرة من منزل آل بوبنجا مخزن ومصنع لبناء وأصلاح السفن الصغيرة والقوارب ويجد الإنسان على بعد ثلاثين مترا تقريباً منزل آل بوبنجا وفى اتجاه مزرعة آل ليفين يقع منزل آل فيناند وبجواره يوجد منزل تجرى فيه عملية البناء وبعده بمسافة قليلة تقع

أرض فضاء يقوم فى نهايتها مصنع القوارب سالف الذكر الذى تحوطه فعلا الأرض الفضاء من كل جانب ويمكن لمن يكون واقفاً بقربه أن يرى بسهولة نوافذ منزل آل بوبنجا وتقوم منارة الميناء فى اتجاه مقابل لهذه الأرض الفضاء ثم التفت الضابط الفرنسى للآنسة سائلا : —

— هل تنار منارة الميناء ليلا باستمرار وتعمل كل ليلة على إرسال ضوئها الدائرى ؟

— نعم .

— إذن مما لا شك فيه أن هذا الجزء من الطريق ما بين منزل أبيك ومنزل آل بوبنجا يقع حتما تحت الأضواء المنبعثة من المنارة مما يكشف ستر المحبين ويفوت عليهم كل فرصة مناسبة .

فتضاحكت الانسة بيتشى عند سماعها هذا الكلام ثم اعتذرت من الضابط لتمضى فى سبيلها وحدها بحجة أنها تريد أن تعرج على منزل آل بوبنجا فى طريقها متخذة فى ذلك درباً جانبياً وإن كانت فى الحقيقة فعلت ذلك حتى لا يراها الناس وهى تسير مع الضابط الفرنسى بمفردها .

ومضى الضابط يمشى فى طريقه صوب وسط البلدة ومر على منزل آل بوبنجا بعد أن ترك الانسة بيتشى بقليل وقد ألقى على هذا المنزل نظرة خاطفة فوجده يتوسط حديقة صغيرة تقع إلى يسارها الأرض الفضاء ثم وصل الضابط فى سيره إلى قرب البوابات المقامة على قناة «الأمستردیب» ورأى راسياً بالقرب من هذه البوابات عددا لا يحصى من السفن والقوارب

ووجد نفسه عندما اقترب من المرسى بنـــاء الفندق المسمى بفندق « فان هسلث » .

وما دخل الضابط الفرنسى الفندق الذى تنبعث من الردهة التى تتوسطه رائحة قوية تختلط فيها روائح البيرة والجنيفر — الكحول الوطنى الهولندى — والدهان الذى يستعمل لتلميع الخشب الذى يكسو أرض هـذه الردهـة حتى وجد نفسه وجها لوجه أمام الأستاذ جان ديكلوس الذى بدأ الكلام معه قائلا :—

— هل انت يا سيدى مبعوث أدارة التحقيقات الجنائية الفرنسية ؟

— نعم ولا شك عندى فى أنك الأستاذ جان ديكلوس .

وألقى الضابط نظرة فاحصة على الأستاذ فوجده نحيفاً ذو قامة فارعة وأما عيناه فتتألقان فى وجهه تعلوهما نظارة من المحار المطبوخ الملون بالسواد وشعر رأسه كث ولونه يميل إلى الصفرة وعلى غـير ما كان يتوقعه رأى الضابط أن الأستاذ المذكور لا يكاد يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمـره ودلته غريزته على أن هذا الأستاذ لا يمـكن أن يـكون فرنسياً قحاً ولذلك سأله فى هذا الشأن وأجاب الأستاذ عن هذه النقطة قائلا :—

— إننى سويسرى المولد وقد درست بمعاهد العلم الفرنسية بمونتبليـه وباريس واكتسبت الجنسية الفرنسية وأشغل الآن كرسى العلوم الاجتماعية بجامعة نانسى الفرنسية .

— وهل سيدى الأستاذ بروتستانتى المذهب ؟

— وما يجعلك تظن غير ذلك ؟

ولقد رمى الضابط بهذه الأسئلة إلى سبر غور شخصية الأستاذ فأمكنه أن يكون عنه فكرة تدور حول صورة رجل العلم الذى وهب نفسه للدراسة والعلوم وما يلابس مثل هذه الشخصية من البعد عن المرونة والميل إلى الصلابة فى الرأى كما كشف فيه هوايته إلى الشئون الدولية والأنغماس فى شهوة القاء المحاضرات العلمية وحضور مختلف المؤتمرات والأتصال بالأوساط العلمية الأجنبية وما إلى ذلك من تبادل المراسلات معها من وقت لآخر ويضاف إلى ذلك ما لا حظه الضابط على الأستاذ المذكور من عدم استقرار وهدوء نفس مما يدل على وجود هزة فى جهازه العصبى . ومن ثم قام الضابط بالجلوس إلى جوار الأستاذ بردهة الفندق حول منضدة كانت عليها زجاجة مياه معدنية وكوبة ماء وبعض الكتب وعاود سؤاله قائلا : —

— لم يسعدنى الحظ برؤية رجل الشرطة الهولندى المكلف بمراقبتك هنا .

— لم يكن هناك داع لذلك إذ أعطيت لدائرة الشرطة الهولندية عهداً وكلمة شرف بأن لا أبرح الفندق هنا مع مافى ذلك من منغصة شديدة لى إذ أننى مدعو لإلقاء محاضرات علمية فى أيمدن وهامبورج وبرمن .

ودخلت عليهما أثناء ذلك سيدة طويلة القامة شقراء مكتنزة فقدمها الأستاذ ديكلوس للضابط بوصفها صاحبة الفندق وقام بأحاطتها علماً بما كان من التجائه للسلطات الفرنسية التى بعثت بالضابط الفرنسى ميجريه الذى نال شرف التعرف إليها فى تلك اللحظة وذلك لكى يساعد أولى الأمر بدلفزايل فى كشف الستار عن الجريمة التى وقعت بها أخيراً .

وما انصرفت السيدة صاحبة الفندق لتدبر شئونها حتى طلب الضابط ميجريه كأساً من الكحول الوطنى الهولندى وصار يرتشف منه رويداً رويداً وهو يستمع إلى الأستاذ جان ديكلوس بادئاً الكلام معه بقوله :

— أرجو سيدى الأستاذ أن يذكر لى تفصيلات ما حدث .

— هاهو أولا رسم عن الأماكن التى سأتعرض لها فى حديثى فتجد فيه تفصيل الطابق الأول بمنزل آل بوبنجا أذ ترى مرسوماً باب الدخول حيث يدلف منه الإنسان إلى ردهة الاستقبال وهى غرفة متوسطة الأتساع لها باب يدخل منه الإنسان إلى قاعة الطعام إلى اليمين وفى قبالة ذلك باب آخر يوصل إلى المطبخ الذى يقع فى الجهة القبلية منه ما يشبه بحظيرة كان يضع فيها الفقيد الدراجات وقاربه ؟

— وهل كان تواجدكم تلك الليلة فى غرفة الاستقبال ؟

— نعم وأتذكر أن السيدة بوبنجا وكذلك أختها السيدة آنى خرجتا من الردهة أثناء تواجدنا بها مرتين صوب المطبخ لأحضار الشاى

للحاضرين لأن الخادمة كانت قد آوت إلى فراشها . ثم إليك بعد ذلك رسم عن الطابق الثانى من المنزل فترى أن غرفة الحمام تقع فى الجهة القبلية فوق المطبخ وفى الجهة المقابلة لذلك ثلاث غرف أولها مخدع نوم آل بوبنجا والثانية غرفة صغيرة مستعملة كمكتب للفقيد وبها أريكة عريضة تستعملها مؤقتاً الانسة « آنى » لنومها من آن لاخر عند زيارتها لأختها والثالثة هى التى أعيرت لى مدة الضيافة التى كنت سأابث فيها بالمنزل .

— هل يمكنك أن تحدد لى بالضبط المكان أو الأمكنة التى يمكن أن يكون الجانى قد أطلق منها الرصاص ؟

— يمكن أن يكون ذلك من غرفتى أولا ثم من الحمام ثانياً ثم احتمال آخر فى الدور الأول أيضاً من غرفة الطعام .

— أذكرلى كيف بدأت محاضراتك وكيف انتهيت منها .

— إليك رسم عن قاعة المحاضرة بالفندق هنا وهى غرفة منسقة معدة لذلك أو للحفلات والولائم التى تقام بالفندق وقد وضعت فى جانب منها قبالة الكرامى التى كانت مصفوفة منصة زينت بالزهور وأكاليل الورد وهى التى ألقيت منها محاضرتى وبعد الانتهاء من المحاضرة خرج الجميع فى الطريق المحاذى لقناه « الأمستردیب » .

— هل لك إن تصف لى بالضبط ترتيب سيركم فى تلك الساعة ؟

— لقد كنت فى المقدمة بصحبة السيدة بوبنجا وهى سيدة ذات

ثقافة عالية وبلى ذلك الفقيد بوبنجا وكان يغازل الآنسة بيتشى التى لا هم لها فى الحياة سوى المرح والضحك ولهذا فتأكد أنها لم تفقه كلمة واحدة من محاضرتى ويأتى بعد ذلك آل فيناند وفى المؤخرة كانت تسير الآنسة آنى بصحبة تلميذ الفقيد وهو شاب يافع ضعيف البنية .

— وهل بهذا الترتيب وصلتم جميعاً لمنزل آل بوبنجا ؟

— نعم وأظن أنك قد سمعت بأن محاضرتى كانت تدور حول المسئولية الجنائية ومن المتناقضات إنه أثناء اجتماعنا بالمنزل بينما كانت الآنسة آنى التى أتمت دراستها القانونية تناقشنى فيما جاء بمحاضرتى بما انساق إليه الكلام فى الدور الذى يقوم به المحامى فى التحقيقات الجنائية وما تدور عليه أعمال دوائر التحقيقات القضائية من استعمال الأساليب العلمية والتحاليل الكيماوية ومضاهاة البصمات واستخراج النتائج بمواجهة الشهود والمتهمين ومقارنة أقوالهم بعضهم ببعض وبينما كنت أشرح للآنسة المذكورة نظريتى فى أن الجريمة التى لا يلقى مرتكبها جزاءه أصبحت فى حكم المستحيلات مشيرا إلى المراجع العلمية التى يمكن أن تطالعها فى هذا الصدد وأهمها مؤلفات العالم النمساوى جروش — كان الفقيد بوبنجا فى واد آخر غير الذى كنت فيه مع الآنسة آنى لأنه كان منصرفاً بكل أسف إلى إدارة آلة الراديو وسماع الموسيقى من محطة باريس — وهنا لم يتمالك الضابط ميجريه من أن تنفرج شفتيه عن ابتسامة خفيفة إشفاقاً على الأستاذ العالم النحرير — ولما بدأت آلة الراديو تسمع بعض أنغام موسيقى الرقص « الجازباند » أحضر الفقيد زجاجة من

النبيذ الفرنسى ، كم كانت دهشته حين قدم لى منها كأساً فاعتذرت عن تناوله لأنه اعتقد أن ذلك لا يمكن أن يفعله فرنسى ثم أخذ الفقيد فى مراقصة البنت الفلاحة بيتشى التى شاركته فى تناول كؤوس النبيذ وكان كل منهما كثير المرح والسرور حتى إن الفقيد كان يردد أمامى فى حماقة أثناء الرقص قوله « هكذا كما يفعلون فى باريس »

— يلوح لى أنك لم تكن تستلطف الفقيد ؟

— لقد كان الفقيد شاباً كثير اللحم والشحم قليل الأعتبار لما يجب أن يهتم به الناس وأعود لأستأنف كلامى عن السهرة التى قضيناها بمنزل الفقيد فأقول بأن الابن الصغير لآل فيناند أخذ يبكى لرغبته على ما يلوح لى فى أن يأوى لفراشه وينام ولهذا إضطر أبوه وأمه للأنصراف وعندئذ استعدت الآنسة بيتشى للخروج وسرعان ما بادر الفقيد لمرافقتها لمنزلها فصعدت للطابق الثانى وآويت لغرفتى التى كانت قد أعدت لى وصعدت معى السيدة بوبنجا حيث لبثت أيضاً بغرفتها وبينما كنت أقوم بترتيب بعض الأشياء بغرفتى سمعت صوت طلق نارى وكان الصوت عالياً بحيث خيل إلى أنه صادر من غرفتى فخرجت من باب الغرفة المواجه لغرفة الحمام فوجدت باب غرفة الحمام موارباً فدخلت غرفة الحمام وأطللت برأسى من النافذة فرأيت جسما ملقى على أرض الحديقة بجوار الحظيرة التى توضع بها الدراجات .

— هل كان الحمام فى تلك اللحظة مضاءاً ؟

— كلا وقد وقعت يدى عندما كنت أطل من النافذة على مسدس كان

موضوعاً على حافة النافذة من الداخل فأخذته دون وعى فى يدى وأسرعت بالنزول إلى الطابق الأرضى وعند وصولى لرأس السلم وجدت السيدة بوبنجا تبدأ بالنزول أيضاً وعلى وجهها علامات الهلع والفزع وما وصلت معها لباب المطبخ بالطابق الأرضى حتى لحقت بنا الأنسة آنى أختها وكان الأضطراب بادياً عليها لأنها وهى السيدة المحتشمة نسيت أنها كانت معنا ولم يكن على جسمها سوى قميص النوم وخرجنا من باب المطبخ المطل على الحديقة فوجدنا الفقيد بوبنجا ملقى على ظهره وقد جحظت عيناه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وما أن اقتربت منه بغية رفعه حتى فاضت روحه وجمدت عروقه وتبين لى أن الرصاصة قد اخترقت قلبه ثم صار إخطار البوليس تليفونياً كما صار استدعاء آل فينامد للمساعدة فى هذه اللمة ولقد طلب منى البوليس الهولندى شرح الكيفية التى أصبح بها المسدس فى يدى لأننى كما ذكرت قد رأتنى السيدة بوبنجا وأنا خارج من غرفة الحمام والمسدس بيدى وقد ثبت أنه هو المسدس الذى أطلقت منه الرصاصة على الفقيد ولكن لم أستطع أن أزيد البوليس الهولندى بياناً عما ذكرته الآن لك .

— هل هذا كل ما تعرفه ؟

— نعم وفاتنى أن أقول أنه لما سألنى البوليس الهولندى عن المسدس لأول مرة سهى عن بالى بسبب الاضطراب الذى كان محيطاً بنا جميعاً عقب الحادثة أن أقول بأننى وجدته على حافة شباك غرفة الحمام وكان هذا السهو

سبباً فى اشتباههم فى شخصى ولم تذكرت الأمر واعترفت به إليهم طلبوا إلى أن أبقى تحت تصرفهم .

— أظن قد مضى على هذا الأمر ستة أيام حتى الآن ؟

— نعم وكنت فى خلال هذه المدة أحاول إيجاد الحل لهذا الطلسم على غير جدوى .

— وهل لم يضع البوليس الهولندى يده على دليل مادى حتى الآن ؟

— دعنى أقول لك بصفة خاصة بأن الآنسة آنى تقوم من جانبها ببعض المباحث وتحضر عندى بالفندق من وقت لآخر وتحيطنى علماً بما وقفت عليه فمن ذلك إنها أخبرتنى بأنه قد وجد بحوض الاستحمام بالحمام قبعة بشكل الكاسكيت ولم تظهر إلا بعد أن رفع الغطاء الموضوع على هذا الحوض وهذا الغطاء مصنوع من الخشب ويستعمل كمضدة لكى اللابس والكاسكيت لم تكن لأحد بالمنزل ولم يعرف صاحبها للآن كما وجد البوليس عقبا لنوع من السيجار ماركة « مانيلا » مما لا يدخنه الفقيد أو آل فينانك وذلك بالممر الموصل بين باب الدخول وردهة الاستقبال التى كان بها اجتماعنا ليلة الحادثة وقد أثار هذا الاكتشاف كثيراً من الغرابة لأن هذا الممر كانت الخادمة قامت بتنظيفه بالمكنسة بعد أن تناولنا العشاء مع آل بوبنجا قبل قيامى بإلقاء المحاضرة بالفندق .

— وهل صار الإذن لك بالخروج من الفندق والتجول بالبلدة ؟

— نعم ولكنى لم أشأ أن استعمل هـــذا الحق لأن الفقيد كان محبوباً جداً من تلاميذه بالمدرسة البحرية وهم كثيرو التجول بالبطحة وخشيت أن أسىء إليهم بظهورى باستمرار فى طريقهم .

— وما الذى يمكنك أن تستنتجه من جميع ما اكتشفه البوليس الهولندى ؟

— لا شىء وأننى لأشكرك على تجشمك التعب للحضور من فرنسا إلى هنا وكم كان بودى لو كانت إدارة التحقيقات الجنـــائية الفرنسية أرسلت لى مبعوثاً غيرك يكون ملماً باللغة الهولندية فيساعد ذلك كثيراً تأديته مأموريته ولكن على كل حال لا أظن أنه سيصعب عليك كثيراً التدخل لدى السلطات الهولندية عند ما يدعو الأمر لذلك بأن حاولت هذه السلطات اتخاذ إجراءات ضدى لا تراها متفقة مع العدالة .

وكان الضابط ميجريه يستمع إلى هذا الكلام وهو يحك أرنبة أنفه والتفت للأستاذ ديكلوس قائلا : —

— هل أنت متزوج ياسيدى الأستاذ وهل لك سابقة معرفة بأسرة بوبنجا ؟

— أننى أعزب وأما آل بوبنجا فلم تسبق لى معرفة بهم ولكن شهرتى كما تعلم قد كان فيها الكفاية ليتعرفوا بى .

— هذا كلام مضبوط وطبيعى جداً !

وبهذه العبارة الساخرة ختم الضابط ميجريه مناقشته لأول مرة مع الأستاذ ديكلوس وأنصرف خارجاً من الفندق ميمماً شطر دار الشرطة حيث كان رئيسها بانتظاره على أحر من الجمر لأنه استغرب تباطىء زميله الفرنسي فى الحضور إليه إذ سبق إلى علمه عن طريق ناظر المحطة نزوله منذ ساعات طويلة من القطار الذى حضر به إلى دلفزايل وكان رئيس الشرطة بدرجة مفتش بالبوليس الهولندى وقد ندبته سلطات البوليس الرئيسية بمدينة جرونتج للقيام بما يلزم لكشف غوامض هذه الجريمة وجمع الأدلة فيها .

وكان مركز البوليس بدلفزايل فى دار أنيقة نظيفة يدل كل ما فيها على مراعاة أولى الأمر فيها لقواعد الترتيب والتنسيق والنظافة التامة وبعد تبادل التحيات والتعارف بين الضابط الفرنسى والمفتش الهولندى سأل الأول الثانى قائلا :—

— بما أنكم تجرون التحقيق فى الحادثة منذ ستة أيام فأتعشم أن تكونوا قد راعيتم مسألة ضبط المواقيت ؟

— ما الذى تعنيه بالمواقيت ؟

— أعنى بذلك كم من الزمن تحددونه ما بين ذهاب القتيل بصحبة الانسة بيتشى لما خرجت معه من المنزل فى تلك الليلة وبين عودته بالتالى حيث لاقى حتفه وكم كانت الساعة بالضبط لما وصلت الآنسة بيتشى إلى منزلها وأظن أن والدها الذى كان بمنزله فى ذلك الوقت استطاع أن يحدد

لكم ذلك . ثم فى أى ساعة من الوقت بالضبط عاد الطالب كورنيليوس لسفينته الدرسية وأعتقد أن العسكرى البحار المكلف بالنوبة فى تلك الليلة يستطيع أيضاً تحديد ذلك .

ونزل هذا الكلام على قلب مفتش البوليس الهولندى كالسهم البارد فلم يستطع رداً عليه وحاول ستر جهله أو إهماله هذا الاجراء المهم فى التحقيقات بأن أدار الحديث لناحية أخرى من الموضوع فأخرج قبعة « كاسكيت » من درج مكتبه وقال :-

— لقد أمكننا معرفة صاحب هذه القبعة التى وجدت بحوض الاستحمام بمنزل القتيل وهى لرجل هندى من دلفزايل مشهور باسم « المقاول » ومع أنى لم أصدر الأمر بعد بحبسه إلا أننى أمرت بوضعه تحت المراقبة وباستمرار التحريات المتخذة فى شأنه لا سيما وأن هذا الرجل ذو مركز ممتاز بالناحية هنا فهو مالك للجزيرة الصغيرة التى تقع فى مصب نهر « الأمس » وتسمى « فيركوم » وهى جزيرة رملية قاحلة ولكنه شيد بها مبان واسطبلات ويقوم فيها مع عائلته بتربية الأبقار والمواشى وذلك كله طبعاً بمساعدة وزارة الزراعة الهولندية التى أمدته بكثير من القروض المالية الزراعية المخصصة لمثل هذه الأغراض الإنشائية والإنتاجية وكان أن صدر الأمر بتعيينه عمدة لهذه الجزيرة بعد أن نجح فى استعمارها وهو فوق ذلك يملك سفينة تدار بمحركات ميكانيكية « ديزل » ويستعملها فى التنقل ما بين جزيرته وبين دلفزايل وهو وإن كان قد جاوز الستين من عمره إلا أنه

بصحة جيدة وقوة جسمانية خارقة كالصخرة وله ثلاثة أولاد فى سن الشباب وأصبحوا مثله يحترفون ما يمكن أن أعبر عنه بالقرصنة البحرية مثل أبيهم — وهنا تملـــل مفتش البوليس الهولندى واقترب من أذن الضـابط الفرنسى وهمهم متابعاً حديثه — نعم ليس من المألوف هنا إن كل ما يعرف يقال وعائلة المقاول المذكور إذا قلت إنها تعيش على نوع من القرصنة البحرية فذلك لأن بلدة ولفزايل ميناء لاستيراد مختلف أنواع الأخشاب من فنلندا ومن ريغا والسفن التى تنقل هذه الأخشاب تضع بعض حمولتهـا على ظهرها مربوطا بالسلاسل فإذا اشـتدت الأنواء وهو أمر عادى فى تلك المنطقة الشمالية كان من المصرح به لقباطنتها أن يخففوا حمولة السفن بإلقاء ما يرونه من كميات الخشب فى البحر لإنقاذ السفن من الغرق ولما كان المقاول سالف الذكر تربطه علاقة وثيقة بمعظم هؤلاء القباطنة الأجانب فأنه بالاتفاق معهم يقوم بتصدير كميات الأخشاب التى يلقونها من سفنهم بالبحر عمداً تحت ستار اشـتداد الأنواء بسفنهم ويقتسم معهم ثمن ما يصير بيعه بمعرفته من أطنان الأخشاب التى يلقونها والتى تعتبر فى حكم القانون البحرى ملـكه لقيامه بانتشالها من البحر .

ويهمنى أن ألفت نظرك إلى أمر حيرنى حقاً فأنه وإن كان مقطوعاً به أن هذه السكاسكيت هى ملك المقـاول المذكور إلا أنه من المقطوع به أيضاً أنه لا يدخن سوى التبغ فى الغليون ولا يدخن قط السيجار ولهذا أعتقد أنه ربما كان معه شريك آخر هو صاحب عقب السيجار الذى وجد

بالمر الموصل لردهة الاستقبال بمنزل القتيل فما رأيك فى هذا الاستنتاج ؟

— وهل هذا هو كل ما أمكنكم الوقوف عليه حتى الآن ؟

— نعم وربما أضيف إلى ما قلته أن القتيل بوبنجا كان قدصدر الأمر بتعيينه قنصلا نمساويا بفنلندا وذلك قبل قتله بنحو أسبوعين — وهنا ظهرت على وجه مفتش البوليس الهولندى الأشقر النحيف أمارات الظفر لشعوره بأنه استطاع أن يحتل مركز الشخصية المهمة لما وجد ضابط البوليس الفرنسى مطرق الرأس لا ينطق بكلمة ولا يبدو أية حركة سوى ملء غليونه بالتبغ — ولكن هذا الزهولم يلبث أن بدده ضابط البوليس الفرنسى لما عاود السؤال قائلا : —

— وأين كان قارب القتيل ليلة الحادثة ؟

— كان هنا بد لفزايل قريباً من البوابات على القناة

وكان الضابط الفرنسى منشغلا بملء غليونه بالتبغ وهو يذرع غرفة مكتب مفتش البوليس الهولندى جيئة وذهاباً ثم التفت فجأة إلى هذا الأخير وحدق فيه بعينيه برهة غير قليلة من الزمن قائلا له :

— ألم تقف على شيء آخر غير ما ذكرته ؟

وعلت حمرة خفيفة وجه مفتش البوليس الهولندى الذى أجاب بدهشة : —

— أنى أعلم أنك قد قطعت شوطاً بعيداً فى تحرياتك التى قمت بها

منذ حضورك لدلفزايل قبل أن ترانى وهذا يمكننى أن أسميه طبعاً بالطريقة الفرنسية فى القيام بما أنت مكلف به والواقع إننى سمعت أخيراً شهـــادة بعضهم ولـكننى لم أستطع حتى الآن تقدير الأهمية لهـــذا الـكلام فقد حضرت السيدة بوبنجا فى اليوم الرابع بعد الحادثة وأخبرتنى أنها كانت مترددة فى الحضور للأدلاء بما ذكرته لى فيما بعد حتى وافق قسيس البـلدة على ذلك لما استشارته وتتلخص أقوالها بأنها فى ليلة الحادثة كانت تطل من نافذة غرفة نومها بالطابق الأعلى واسـتطاعت بذلك أن ترى زوجها الفقيد وهو يمضى على دراجته مصاحباً للآنسة بيتشى ليفين على دراجتها ومن السهل رؤية ذلك بالعين لأن الطريق المؤدى إلى مزرعة ليفين يقع تحت ضوء منارة الميناء التى ترسل أضواءها الدائرية كل خمسة عشر ثانية وقد رأت السيدة بوبنجا زوجها عائداً وحده بعد قليل على دراجته ولـكنها تقول أيضاً بأنها رأت الآنسه بيتشى تعود أدراجها وراءه على بعد نحواً من المائة متراً.

— وبمعنى آخر أن الآنسة بيتشى بعد أن أوصلها القتيل لمنزلها عادت صوب منزل آل بوبنجا وحدها فما الذى ذكرته الآنسه تفسيراً لذلك؟

— إننى لم أسألها بعد فى ذلك وأنك لاشك تشعر بالخطورة التى تحيط بهـذه المسألة فالأمر قد يكون مرجعه إلى عوامل الغيرة ولا بد أن تعرف بأن المزارع ليفين من الشخصيات المهمة بدلفزايل فهو عضـو بارز فى المجلس البلدى والمسألة تدخل فى نطاق العلاقات العائلية وأسرار الأسرة الداخلية.

— فى أى ساعة بالضبط عاد الطالب كورنيلوس لسفينته المدرسية

— هذا أمكننا تحديده بما يجعلنا واثقين تماما — فإنه قد عاد بعد خمس دقائق خلت من منتصف الليل .

— وفى أى وقت بالضبط سمع إطلاق الرصاص ؟

— خمس دقائق قبل منتصف الليل — ولكن استلفت نظرك إلى موضوع الكاسكيت وعقب السيجار .

— وهل كان مع الطالب دراجة فى تلك الليلة .

— كل شخص فى هولندا يملك دراجة لأن هذا أمر طبيعى لدينا وفيه يسهيل للأعمال ولأضرب لك مثلا فإنى استعمل دائماً دراجتى ولكن الطالب كورنيليوس لم يحضر فى هذه الليلة بدراجته .

— وهل قمتم بفحص المسدس الذى استعمل فى الجريمة ؟

— نعم وتبين أن هذا المسدس يملكه القتيل لأنه هو المسدس المسلم إليه من السلطات الرسمية التى يتبعها فى وظيفته وكان القتيل يضعه دائماً عندما يأوى لفراشه داخل درج المنضدة الموضوعة بجوار سرير نومه وكان محشواً كالمعتاد بستة رصاصات .

— هل أمكن تحديد المسافة التى يمكن أن يكون الجانى أطلق منها الرصاص ؟

— نعم فقد تبين أن الرصاصة أطلقت على مسافة ستة أمتار تقريباً وهذه المسافة هي بعينها الكائنة بين جثة القتيل وبين شباك غرفة الحمام كما أنها هي بنفسها المسافة بين الجثة وشباك غرفة الأستاذ ديكلوس ولكن هناك مسألة محيرة وهو أن القتيل كان على الأرجح منحنياً لقيامه بوضع دراجته داخل الحظيرة المعدة لوضع الدراجات ومن جهة أخرى لا تنسى دائماً مسألة الكاسكيت وعقب السيجار .

— آه ليذهب عقب السيجار إلى جهنم ! — قال الضابط الفرنسي هذه العبارة بصوت منخفض كأنما يكلم نفسه ثم عاد ليوجه الكلام بصوت مرتفع لزميله الهولندي قائلا : —

— هل تعلم الآنسة آني ما جاء أخيراً في شهادة أختها السيدة بونجا عقيلة القتيل ؟

— نعم .

— وما رأيها في ذلك ؟

— أنها لم تقل شيئاً وهي آنسة مثقفة وليست كباقي الآنسات اللاتي يكثرن الكلام ويطلقن لألسنتهن العنان .

— هل الآنسة آني قبيحة الخلقة ؟

— أظن أنها ليست على جانب وفير من الجمال — قال مفتش البوليس الهولندي هذه العبارة وهو يكاد يهتز من الاضطراب لأن أسئلة الضابط

الفرنسى كانت تروح وتجىء فى شتى الواضيع التى ما كان لينتظرها

— لنقل سوياً أنها غير جميلة فقل لى ما تريد بشأنها .

— لا أريد أن أقول عنها شيئاً سوى أنهـــا تشتغل بهمة فى سبيل المساعدة لكشف الحقيقة فى الحادثة ولهذا فأنها تتصل بى دائماً للاطلاع على التقارير التى أقوم بأثباتها فى التحقيق

وفى هذه اللحظة كان الساعى أرسلها للضابط الفرنسى دخلت الآنسة آنى وهى متأبطة تحت ذراعها محفظة الأوراق مصنوعة من الجلد واتجهت مباشرة صوب مفتش البوليس الهولندى متجاهلة عمداً الضابط الفرنسى وأخذت تتحدث باللغة الهولندية بعبارات متدفقة مع المفتش الهولندى الذى كان يشعر أثناء ذلك بالقلق يتملكه فلم يجد بداً من تحريك رجليه بوضعهما الواحدة فوق الأخرى بين الفينة والفينة وهو يرفع بصره من من لحظة لأخرى نحو الضابط الفرنسى الذى ما لبث أن سمعه يقول :—

— إن الآنسة تريد أن تقول بأنه من الوجهة القانونية لا يجوز لحضرتك أن تقوم باتخاذ أى إجراء فى التحقيقات الجنائية بشأن هـذه الحادثة داخل الأراضى الهولندية .

— آه أظن أننى أتشرف الآن بمعرفة الآنسة آنى — وحملق الضابط الفرنسى هنيهة فى الآنسة المذكورة فتبين له إن وجهها يكاد يكون غير متسق التقاطيع وبه فم عريض تبرز منه أسنان مشوهة التركيب وصدر

يكاد يكون أملساً ولها أيد وأقدام ضخمة مما لا يتفق ومظهر الأنوثة الحقة وهنا قال مفتش البوليس الهولندى :—

— نعم أنها الآنسة آنى بعينها ولقد أجبتها بأن وإن كانت النصوص القانونية صريحة بالمعنى الذى نقول عنه إلا أن هناك ما يعبر عنه بالعرف والتقاليد المرعية بين دوائر التحقيقات الجنائية بكافة البلاد .

— وهل تتكلم الآنسة آنى الفرنسية

— أظن ذلك

وهنا اتجه ضابط البوليس الفرنسى نحو الآنسة قائلا : —

أتشرف بأن أقدم نفسى لحضرتك فأنا ميجريه ضابط البوليس القضائى بباريس ويهمنى كثيراً إن تتفضلى حضرتك بإفادتى عما يكون لديك من ملاحظات عن الآنسة بيتشي ومدى علاقتها مع الطالب كورنيليوس — وهنا علا الاحمرار وجه الآنسة آنى وتمتمت بعبارة فهم منها الضابط ميجريه أنها وإن كانت تفهم الفرنسية إلا أنها تجد صعوبة فى التحدث بها .

الفصل الثالث

نادى جرذان الميناء

وخرج الضابط الفرنسى من مكتب مفتش البوليس الهولندى المدعو بانيكامب بعد أن تواعدا على اللقاء مرة أخرى واتجه نحو الميناء حيث رأى على رصيفها جماعة من البحارة الهولنديين وهم متخذين جلستهم كعادتهم يومياً فى منطقة تقع فى مدخل البلدة من ناحية الميناء ويسمى هؤلاء البحارة اجتماعهم من باب التورية « بنادى فيران الميناء » إذ أنهم يظلون طيلة اليوم سواء كان الجو رطباً أو كانت السماء ممطرة وهم يتجاذبون أطراف الأحاديث ومختلفهـا فى الشئون البحرية والتجارية ويدخنون باستمرار لافظين من أفواههم فى بصقات متقطعة ما يتراكم فيها من لعاب ممزوج بالتبغ الأسود الذى يدخنونه فى الغليون الذى يحمله كل منهم فى فمه وتراهم جميعاً يلبسون زياً واحداً أى بذلة زرقاء اللون ممـا يلبسه البحارة عادة فى كافة الموانى وإنما يتميز هؤلاء البحارة عن بحارة سائر المدن الأخرى بطابع خص بأهل هولاندا وهو ما يلبسونه فى أقدامهم من قبقاب ذو لون أصفر فاقع وشكله كالقارب الصغير ويقوم مقام الحـذاء ويصنع من الخشب الأبيض وأصبح هـذا القبقاب مضافاً إليه طاحونة الهواء رمز يشير إلى الجنسية الهولندية .

وتفرس فيهم الضابط الفرنسى ملياً لما مر بهم دون أن يعره أحد منهم أى اهتمام وتبين للضابط أن بينهم بحـــارا يمتاز عنهم بملبسه الملحوظ فيه شىء من الأناقة وبشكل القبقاب الذى يلبسه فى قدميه من النوع الفاخر المزخرف مما جعله فى وسط جماعة النادى شخصاً له أهميته وكان وجهه شديد الحمرة وبه مقلتان صغيرتان مستديرتان ذات لون أزرق رصين وكان بدين الجسم متوسط القامة وكان يستر صلعته بقبعة صغيرة من النوع المسمى بالكاسكيت وواضح لكل من يراه بها إن القبعة جديدة لم يمض على شرائها سوى بضعة أيام لأن حافتها لم تزل حافظة لصلابتها ، وتكاد لهذا السبب لا تغطى قمة صلعته بشكل واف وهذه الشخصية هى للمدعو « أوستنج » الشهير بالمقاول صاحب جزيرة فيركوم ومن علامات المظهرية التى امتاز بهـا المقاول إنه كان يدخن غليونا صنع وعاؤه الذى يكبس فيه التبغ من الصينى أو الطين المطبوخ اللامع وكان واقفاً بين الجماعة وشفتاه لا تفترقان عن الابتسـام وهو يحرك ناظريه إلى سفينته الصغيرة الراسية بقرب رصيف الميناء على بعد عشرين متراً من مكان وقوفه مع الجماعة والسفينة المذكورة كانت فيما مضى يختاً فخما ذو حجم صغير ويسير بمحرك ميكانيكى « ديزل » والتقت عينا المقاول بعينى الضابط الفرنسى ولبث برهة يطيل النظر فيه بعينيه الصغيرتين المستديرتين ثم تظاهر بالأنصراف عنه بأن أخـذ يدق وعاء غليونه على حافة قبقابه عدة مرات لإفراغ ما به من رماد التبغ المحترق وفى هذه اللحظة تحركت عينا المقاول مرة أخرى ولكن

صوب شبح آخر كان للآنسة آنى وهى خارجة من مركز البوليس متأبطة محفظتها وبينما كان المقاول يطيل النظر باهتمام زائد إلى شخص الآنسة آنى تقدم إليه ضابط البوليس الفرنسى الذى وجد نفسه محاطا بنحو عشرة وجوه تحملق فيه وصاح قائلا : —

— معذرة ياسيدى هل يمكننا أن نتفاهم سوياً باللغة الفرنسية ؟

ولكن المقاول لم يبدو على وجهه مايمكن أن يستدل معه على أنه فهم كلمة واحدة مما قاله الضابط الفرنسى وحاول أحد البحارة الموجودين أن يحيطه علماً بما جاء على لسان الضابط وبعد قليل أجاب بلغة إنكليزية ركيكة :

— فرنسى . بوليس فرنسى . يمكن فقط بلغة هولندية أو إنكليزية وتدخل البحار الهولندى مرة أخرى عبثاً لكى يمكن الضابط الفرنسى من رغبته لأن المقاول أشار بيده نحو سفينته الصغيرة وهو يغمغم بالهولندية بما فهم معه الضابط أنه من المستحسن إمكان التحدث معه داخل السفينة ولكن الضابط الفرنسى وقد رأى استحالة هذا الحديث معه لجهله اللغة الهولندية وعدم إمكانه التكلم بالانكليزية انصرف فى طريقه وهو آسف فى قرارة نفسه لفوات هذه الفرصة الطيبة التى أتيحت له أثناء قيامه بتحرياته تنفيذاً للمهمة الموكولة إليه .

وتوجه سائرا صوب منزل آل يوبنجا ونسى أن فى ذلك الوقت يتناول الناس فى هولندا طعام العشاء حوالى الساعة السادسة مساء ولهذا لما قرع الجرس الموجود زره فى اسطوانة مستديرة مثبتة بالحائط بجانب باب الدخول

من الخارج وفتحت له الخادمة الباب أراد أن يتراجع من حيث أتى لما رأى بقاعة الطعام كلا من السيدتين الأرملة بوبنجا وأختها آنى تشاركها الطعام على المائدة المزدانة بأطباق من لحم الخنزير وغيره من المأكولات الخفيفة فضلا عن أبريق الشاى وما يتبعه من فطائر صغيرة وماشابه ذلك وقد إضطر الضابط لتقديم الأعتذار لها مبدياً أسفه لجهله الأصول والعادات المتبعة فى هولندا ولكن السيدة بوبنجا أشارت إليه بالجلوس على أحد الكراسى ثم قالت له وصوتها يتهدج من البكاء وعيناها تسيلان بالدموع : —

— هل حضرت لتسألنى عما جرى هنا ؟

— إسمحى لى ياسيدتى أن أعتذر إليك مرة أخرى وفى مقدورى أن أنصرف الآن لأعود فيما بعد متى سنحت الفرصة المناسبة بذلك .

— لا . لا . ما تراه من شجنى وحزنى أصبح أمراً طبيعياً ولا تفارقنى ذكرى زوجى الراحل العزيز كلما جاءت المناسبة للكلام فى الجريمة التى ذهب ضحيتها بلا ذنب ولا جريرة لأن كونراد زوجى كان محبوباً من الجميع ولا أتصور أن هناك شخصاً واحداً فى الوجود يكن له الحقد والكراهية

وأخذت السيدة بوبنجا تتمالك روعها وسكونها بسرعة ولم يكن ميجريه يستغرب ذلك منها لسبق علمه بما هى عليه من ثقافة عالية وبتمسكها بالتقاليد الدينية البروتستانية القديمة وما يعلمه بأنها تشغل مراكز الرئاسة لكثير من الجمعيات النسوية العلمية فضلا عن قيامها بإدارة كثير من المؤسسات الخيرية بدلفزايل .

ولقد وجد فيها الضابط الفرنسى السيدة ذات الشخصية الخلابة فى كافة النواحى دون أن تترك شخصيتها أثراً فى النفس لأنها فى مجموعة حركاتها ما يجعلها ترقى إلى مرتبة ما يمكن أن تثيره شخصية أخرى ذات جاذبية وهذا العنصر يكاد يكون مفقوداً لدى السيدة بوبنجا لأنها وأن كانت أكثر أنوثة من أختها الآنسة آنى التى تصغرها بخمسة سنوات على الأقل وبالرغم من تناسق تقاطيع وجهها بما يمكن أن يضفى عليها مسحة من الجمال فإن الانطواء على نفسها يكاد يذهب بكل ما كان يمكن أن يجعلها شخصية ذات جاذبية قد كانت تلعب دورا هاماً فى حياتها لأنها تكون جاذبية مثقفة بثقافة علمية عالية ونشاط نسائى محمود .

وبينما كان الضابط الفرنسى يجيل ببصره فى الغرفة إذ به يرى مكبر الصوت المتصل بآلة اللاسلكى فلما أخذ يحدق فيه قالت السيدة بوبنجا :

— لقد كان زوجى العزيز يسلى نفسه دائماً بجهاز اللاسلكى وكانت تلك تسليته الوحيدة فى ليالى الشتاء وفى فصل الصيف كان يجد فى قاربه الصغير أيضاً مايسليه حيث يتريض به وهو ينساب فى مياه قناة الامستردیب فيا إلهى من ذا الذى فعل بك هذا يا زوجى العزيز ؟

ولما لم يجب الضابط بشىء على هذا السؤال الرهيب استأنفت السيدة بوبنجا عبارتها قائلة :

— لقد كان زوجى مكباً على أعماله فى الوقت نفسه بهمة لا تعرف الكلل فلست أدرى من ذا الذى سولت له نفسه أن يزهق هذه الروح

البريئة ؟ إننى لا أتهم أحداً لأننى لا أعرف أحداً بينه وبين الفقيد زوجى ما يحمله على فعـــل ذلك والبوليس هو الذى وجه التهمة إلى الأستاذ جان ديكلوس لأنه قد ثبت أنه كان ممسكاً بالسدس الذى استعمل فى الجريمة عقب وقوعها ولست أدرى مدى الحقيقة فى ذلك لأننى لا أفهـم ما الذى يدفع الأستاذ ديكلوس ليقتل زوجى ! نعم لماذا قتل زوجى ! لم يكن الباعث على ذلك السرقة وإذن فما هو الباعث ؟

— وهل أخبرت ياسيدتى إدارة الشرطة هنابما شاهدتيه عندما إطلعت من النافذة بغرفتك فى تلك الليلة ؟

وهنا ظهرت على وجه السيدة بونجا حمرة الخجل دليلا على اضطرابها فوقفت مسندة ذراعها إلى المنضدة التى بوسط الغرفة وقالت :

— لست أدرى إن كنت على حق فيما قلتـه لإدارة الشرطة لأننى متأكدة أن الآنسـة بيتشى لا يمكن أن ترتـكب هذه الجريمة الشنعاء أو يكون لها يد فيها ولـكن ما ذكرته كان بسبب ماقيل لى بأن أذكر كل شىء ولو كان الأمر فيه تافهاً وقد قلت ما رأته عيناى لا أكثر ولا أقل وقد أخبرونى أن أدلى بكل شىء لأن ذلك يساعد على الوصول للحقيقة ولم أفعل ذلك إلا بعد أن استشرت قسيس البلدة الذى أذن لى بأن أقول كل شىء والآنسة بيتشى فتاة فى مقتبل العمر وطيبة القلب ولايمكن أن أتصور شخصاً ارتـكب هذه الجريمة سوى من كان نزيلا بمستشفى المجاذيب ولقد أخبرتنى أختى آنى بأنك حضرت من باريس بسبب مقتل كونراد فهـل

كان أحد يدلفزايل ينتظر ذلك ! فيا إلهى كم فى الدنيا من أمور يستحيل على عبادك أن يدركوها ! وأظن أنك تريد الآن بحضورك هنا معاينة غرف المنزل وكافة الأماكن التى ورد ذكرها فى التحقيقات فهل لك ياسيدى أن تتفضل بصحبة أختى الآنسة آنى التى تقوم بإرشادك للوقوف على كل ما تطلبه ؟

وهنا التفتت السيدة بوينجا إلى أختها مشيرة لها بيدها بما يتضمن تحقيق ماذكرته وقام الضابط ميجريه يتبع هذه الآنسة وهى تتقدمه صاعدة السلم الموصل للطابق الأعلى وكان أول باب صار فتحه أمامه باب غرفة الحمام حيث رأى الضابط فيها حوض الاستحمام مغطى باللوح الخشبى الذى يستعمل كمنضدة لكى الملابس عليه وأطل الضابط من النافذة بالحمام وأمكنه أن يرى بسهولة الحظيرة المخصصة لوضع الدراجات بحديقة المنزل الصغيرة التى تحيط به وألقى نظرة على الطريق الموصل ما بين المنزل والبلدة التى كانت مساكنها جميعاً تقريباً مبنية من طابق واحد ثم التفت الضابط إلى الآنسة آنى التى كانت واقفة بانتظاره فى فتحة باب غرفة الحمام وقال لها : —

— لقد علمت بأن حضرتك تقومين شخصياً بأبحاث تتعلق بالحادثة !

ولكن الآنسة آنى التى لم تستطع أن تخفى اضطرابها وقتئذ لم تنبث ببنت شفه واكتفت بأن فتحت باب الغرفة المقابلة للحمام وكانت تحوى سريراً ودولاباً للثياب وأرضها مغطاة ببساط من الشمع وهذه الغرفة هى

التى كانت مخصصة لنوم الأستاذ جان ديكلوس فسأل الضابط ميجريه عمن يستعمل هذه الغرفة قبل حضور الأستاذ المذكور فأجابت الآنسة آنى وهى تتلعثم بأن هذه الغرفة كانت تعد لنومها لما تحضر من وقت لآخر لزيارة أختها

— وهل كنت تحضرين مرات عديدة؟

— نعم.

— وإذن لما كان الأستاذ ديكلوس قد نزل ضيفاً على الفقيد فقد اضطر الحال لأن تتخذى من غرفة مكتب زوج أختك مكاناً لنومك فأشارت الآنسة آنى برأسها علامة الموافقة وقامت يفتح باب غرفة المكتب وهذه الغرفة تتوسط بين غرفة نوم الأستاذ ديكلوس وغرفة نوم آل بوبنجا وليس لها سوى بابان يوصلان ما بينهما وبين الغرفتين سالفتى الذكر وأخذ الضابط ميجريه يفحص محتويات هذه الغرفة بكل دقة فوجد فيها أريكة تستعمل كسرير عند ما يراد أن ينام الإنسان كما تتوسط الغرفة منضدة مستطيلة الشكل وجد عليها الضابط كثير من الكتب المتعلقة بشئون اللاحة وكثير من الأدوات الهندسية البحرية كالأسطرلاب وغيرها وكان بينها بوصلة بحرية مفككة أجزاؤها وعلم الضابط أن الفقيد كان يقوم بإصلاحها وكانت جدران الغرفة مزدانة بصور للفقيد وهو بملابسه البحرية الرسمية أثناء زيارته لكثير من الموانى بأفريقيا وآسيا كما رأى معلقاً بأحد الحوائط بالغرفة مجموعة من الأسلحة البيضاء التى يستعملها أهل جزر الملايو ثم دلف من هذه الغرفة داخل الباب الموصل

إلى غرفة نوم آل بوبنجا فوجدها الأخيرة منسقة بشكل أنيق وذوق سليم والتفت الضابط للآنسة آنى موجهاً لها الكلام : —

— أظن أنه متى تواجدت بغرفة المكتب لا يمكنك الخروج منها إلا إذا مررت إما بغرفة الأستاذ ديكلوس أو بغرفة نوم أختك السيدة بوبنجا ؟

— هذا صحيح لا شك فيه .

— لقد فهمت أنك كنت فى ليلة الحادثة موجودة بغرفة المكتب المعدة لك كما كان كل من الأستاذ ديكلوس والسيدة بوبنجا بغرفته أليس الأمر كذلك ! — هل تعتقد ذلك ؟ — قالت الآنسة آنى هذه العبارة وقد رفعت حاجبيها وفتحت عيناها بشدة كمن تملكه اضطراب خفى فلم يرد الضابط ميجريه بشىء مباشرة لأنه كان يذرع أرض الغرف الثلاثة جيئة وذهاباً وبعد برهة وجيزة قال : —

— أننى لا أستطيع الجزم بشىء فإننى أبحث كل مسألة وأقوم بتحليل عناصرها فابدأ بالكليات ثم انتهى إلى الجزئيات التى استبعد منها مالا يتفق والمنطق والسليم والغاية الآن أرى انك الشخص الوحيد الذى يحتمل استبعاده من قائمة من يمكن أن يكون الفاعل اللهم إلا إذا قلت باشتراكك فى الجريمة إما مع الأستاذ جان ديكلوس أو مع السيدة بوبنجا أختك

— أنت تقول إننى . . . . . .

واستمر الضابط فى كلامه دون أن يلتفت لمقاطعتها : —

— إنه من المحتمل أن يكون الأستاذ ديكلوس قد أطلق الرصاص من غرفته أو من غرفة الحمام وأما السيدة بوبنجا فلا يمكنها إلا إذا دخلت الحمام لكن الأستاذ ديكلوس يقرر بأنه لما دخل غرفة الحمام عقب سماعه الطلق الناري لم يجد به السيدة بوبنجا بل رأى هذه السيدة خارجة من غرفة نومها بعد خروجه من الحمام بمضعة ثوان

— وهل لا يحتمل أن يكون الرصاص قد أطلق من الطابق الأرضي؟

— هذا جائز ولكن المسدس الذي استعمل في الجريمة وجده الأستاذ ديكلوس بالحافة الداخلية لنافذة غرفة الحمام ولا يمكن عقلا تصور أن الجاني أذا كان قد أطلق الرصاص من الدور الأرضي يجشم نفسه مؤونة القذف بالمسدس للدور الأعلى ليستقر على الحافة الداخلية لغرفة الحمام فضلا عن أن ذلك يستتبع معه القطع بأن شباك هذه النافذة كان مفتوحاً مقدماً

— ولم لا يكون الأمر كذلك ؟

— آه نعم وأيم الحق قد يكون الأمر كذلك ؟

وبهذا الجواب الذي حمل في نبراته الشيء الكثير من الاستهزاء أنصرف الضابط ميجريه نازلا السلم دون أن ينظر لما تقتضيه اللياقة من أن يجعل للآنسة آني مكان الأولوية عند النزول من السلم لأنه في الواقع كان شارد الفكر أو على الأرجح كان كمن يتنازعه تفكير عميق ولم يفق إلى نفسه إلا لما وجد نفسه وجها لوجه أمام السيدة أرملة الفقيد بردهة الاستقبال

بالدور الأرضى وبادر بسؤالها قائلا : —

— هل يحضر الطالب كورنيليوس المنزل هنا كثيراً ؟

— أنه يحضر تقريباً يومياً لأنه من جهة كان يتلقى دروساً خصوصية من الفقيد ثلاث مرات فى الأسبوع أيام الثلاثاء والخميس والسبت ومن جهة أخرى فهو وحيد بالبلدة لأن أباه يقيم بالهند وقد مانت أمه منذ شهر تقريباً

— وهل تحضر الآنسة بيتشى لزيارتك كثيراً ؟

وشعرت السيدة بوبنجا بالقلق يتملكها عند سماعها هذا السؤال فنظرت إلى أختها آني التى حضرت وراء الضابط من الدور الأعلى كمن تبحث عن نجدة لكى تستعد للاجابة على هذا السؤال وبعد برهة قصيرة أجابت قائلة : —

— نعم كثيراً ما ترددت الآنسة بيتشى علينا للزيارة وبشكل مستمر

— وهل اعتادت أن تتناول طعام العشاء معكم بناء على دعوتك ؟

ويظهر أن الأسئلة التى وجهها الضابط حول هذه النقطة قد خلفت جواً اشتم منه الضابط رائحة الكراهية فى الأسترسال فيها لما فى ذلك من مساس ببعض الأسرار العائلية الخاصة كما رجحه ولهذا كانت إجابة السيدة بوبنجا على هذا السؤال الأخير قد بدأت بالنفى ثم انتهت بالموافقة

— هل تعتقدين أن نشأة الآنسة بيتشى أو مشربها يتفق مع مشربك

أو مشرب أختك الآنسة آنى ؟

— أنها لا زالت فى مقتبل العمر وصغر سنها يشفع لها فى كثير مما تقع فيه من الأخطاء والهفوات وأنى لأذكر دائماً أنها لا تحضر لزيارتنا إلا وتحضر معها الشىء الكثير من الفواكه المختلفة كالتفاح والشليك الذى ينبت بمزرعة أبيها وأحياناً أيضاً كمية من القشدة الطازجة

— هل بينها وبين الطالب كونيليوس علاقات حب وغرام؟

— كلا وألف كلا .

— هل تحبينها كثيراً؟

— لِم لا ؟ إنى أراها لصغر سنها تجىء وتروح وتضحك كثيراً كالعصفور يغرد وهو يتنقل بين أغصان الأشجار

— هل لك معرفة بأوستنج المشهور بالمقاول ؟

— نعم .

— هل كانت له علاقة عمل أو صداقة مع الفقيد زوجك ؟

— فى العام الماضى استحضر أوستنج محركا جديداً لسفينته ولهذا اتصل بالمرحوم زوجى ليتفق معه من الوجهة الفنية على كيفية تركيبه وبذلك بدأت الصلة والتعارف بين الاثنين وتوثقت بينهما روابط المودة حتى أن المرحوم زوجى كان من وقت لآخر يذهب مع أوستنج يصيد سمك القرش بسواحل جزيرة فيركوم الرملية

ثم انتفضت السيدة بوبنجا صائحة : —

— آه . هل تعتقد أن الكاسكيت التى وجدت بغرفة الحمام هى لأوستنج ؟ مستحيل أن يكون أوستنج القاتل ؟ نعم مستحيل لأنه صديق حميم لكونراد ! كلا . لا يمكن أن يكون شخصاً أعرفه قاتلاً لزوجى الذى يحبه الكل والذى لا يمكنك أن تتصور ... — ثم أخذت السيدة بوبنجا تجهش بالبكاء وحاولت ستر موقفها فألقت وجهها بين يديها وأستدارت مدبرة أمام الضابط ميجريه الذى آثر أن ينصرف دون أن يمد يده للسيدة مصافحاً بسبب الموقف المؤثر الذى تركها فيه واكتفى بأن أنحنى أمامها ثم أمام الآنسة آنى وخرج من الباب وهو يتمتم ببعض كلمات الأعتذار .

ولما أبتعد عن المنزل قليلا شعر برطوبة الجو لقرب قناة الأمستردیب منه واتجه ببصره نحو الشاطىء المقابل وهناك رأى المبنى المعد لاصلاح السفن والقوارب ولاح له فى ظل إحدى حوائطه المقاول أوستنج وهو يتحدث إلى شاب يافع مرتديا ملابس المدرسة البحرية مما جعله على يقين بأن هذا الشاب لم يكن سوى الطالب كورنيليوس .

الفصل الرابع

الأعشاب العائمة فى قناة الأمستردب

لم يكن ليدور فى خلد الضابط ميجريه فى تلك اللحظة أن يقوم بالتجسس بغية أن يلقى قبساً من النور على التحقيقات التى يقوم بها فى الحادثة التى تجشم السفر من أجلها إذ لم يكن قد دبر من قبل ضمن خططه ما يهدف إلى سبر غور العلاقة ما بين القاول أوستنج والطالب كورنيليوس ولهذا فأنه لم يحاول عند ما وقع بصره عليهما وهما يتحدثان فى خفية عن الأنظار أن يختبىء حتى لا يرياه وكل ما فعله أنه توقف قليلا عن السير وصمد فى مكانه بحيث كان جسمه يملأ الفضاء فى مكان وقوفه وأخذ يحدق ببصره فيهما وغليونه فى فمه يشد التبغ منه رويداً رويداً وهو مرهف أذنيه لعله يتسقط من حديثهما ما قد يستفيد منه ويظهر أن القاول أوستنج لم يكن ليتوقع أن يعبث مخلوق بخلوته بالطالب كورنيليوس لأنه كان قد اطمأن أن أحداً لم يقتف أثره عند حضوره لهذا المكان الموحش الذى قد أضفى عليه الليل دثاراً حالكا من الظلمة كما سترت جذوع الأشجار العائمة فى مجرى القناة بريق سطح الماء وكان السكون التام فى تلك الناحية يرفرف بأجنحته على الكون بما يبعث فى النفس الرهبة وكان نقيق الضفادع فى إحدى

البرك القريبة يثير بين الفينة والأخرى الهواجس والفزع وكان المقاول يتكلم بصوت غير مرتفع ولكن فى عبارات مملوءة حزما مما يجعل السامع صاغياً لها مسلوب الإرادة ولذا كان الطالب كورنيليوس يستمع كلام المقاول وهو مطأطأ الرأس ولم يكن ليبدو منه سوى قفازيه فى يديه لأن لونهما كان إبيضا فكانا كنقطة من النور فى هذا الظلام البهيم وفجأة قطع هذا السكون المدلهم نهيق مزعج من دابة كانت واقفة فى أحد الحقول القريبة من المكان الذى وقف فيه الضابط ميجريه وكان من أثر ذلك أن تنبه المقاول أوستنج فرفع بصره لهذه الناحية ورأى طبعاً الضابط وهو واقف بارزاً للعيان ولم يلبث حتى همس فى أذن الطالب ببعض كلمات وقام بوضع غليونه فى فمه وانصرف ميمماً شطر مساكن البلدة فلعن الضابط ميجريه هذا الأتان الذى فوت عليه فرصة طيبة للوقوف على الكثير مما له علاقة بالتحقيقات فى الحادثة لأرتباط ذلك بشخصيتين ممن ورد ذكرهما فى سلسلة الوقائع المتصلة بالحادثة ولم يلبث من ناحيته إلا أن أتجه صوب الطالب كورنيليوس مستهدياً فى ذلك بالنقطتين البيضاويتين المتحركتين على جنبيه لأنهما كانا القفازين اللذين بيديه وسار الطالب كورنيليوس بدوره مبتعداً بخطوات سريعة فى ناحيه أخرى على شاطىء القناة وحرص الضابط أثناء اقتفاء أثر الطالب أن لا يتسرب الشك إليه بأن هناك من يقتفى أثره وأراد الطالب أن يستوثق من ذلك فكان حيناً يخفف من مشيته وحيناً يسرع بخطى واسعة وأستمر الحال على ذلك بين سير

الهوينا آناوالسير السريع أخرى إلى أن صمد الطالب فى مكانه هالماً عندما أراد أن يقفز فوق بعض جذوع الأشجار الماثمة بجوار شاطىء القناة إذ وطأت قدماه وكراً للضفادع فهبت من رقادها وهى تتناثر حوله قافزة هنا وهناك تملأ الفضاء نقيقاً مريعاً وعجيجاً صاخباً ثم ما لبث أن استجمع الطالب نفسه وأنطلق مسرعاً صوب مزرعة ليفين القريبة منه وكان شعوره بالخوف يلهب فيه حاسة النجاة فلم يلق بالاً لما حوله ولم يلحظ وجود الضابط الفرنسى وراءه إذ قد كشفه لكل ذى عينين النور المنبعث من المنارة لما اقترب من الدائرة التى يقع فيها هذا الضوء وفى ومضة عين رأى الضابط شبحا يخرج من بين أشجار الغابة الصغيرة القريبه من المزرعة وكان هذا الشبح لما تبينه هو الآنسة بيتشى التى كانت فى انتظار الطالب كورنيليوس لتلتقى به فى ظلام الغابة الدامس وكان اللقاء لقاء الحبيب بحبيبته إذ التف ذراع الطالب حول خصرها وأخذت الآنسة تسر إليه الكلام ولم يستطع الضابط أن يهتدى بسهولة إلى مكان بالغابة على مقربة منهما لشدة الحلكة ولأن أوراق الأشجار كانت تخفى كل ضوء أو نور فى الفضاء وما لبث أن ساعدته النقطتان البيضاويتان وهما القفازان بيدى الطالب كورنيليوس لكى يستقر به الحال فى مكان قريب منها ولكنه ما أضحى على بعد ثمانية أمتار حتى استدارت له الآنسة بيتشى تاركة حبيبها وهو فى حالة ذعر وذهول تتخلله نبرات بكاء مكبوت وكان واقفاً مستنداً إلى جذع إحدى الأشجار تخرج من فمه تلك الزفرات المتقطعة نتيجة كبت أنغام الآلام النفسانية وواجهت الآنسة بيتشى

الضابط قائلة بلهجة مريرة لحبيبها مؤنبة له على ضعفه وتخوفه لكى يستجمع أمره ولا يلق بالاً لأى شىء ولما رآها الضابط وجدها متشحة بدثار خارجى طويل يغطى جسمها بما فوقه من ثياب خفيفة أمكن منها أن يستنتج الضابط إنها لم تكن على استعداد سابق لملاقاة هذا الحبيب لأن تلك الثياب الخفيفة كانت فى الواقع ما يلبس فقط عند الاستعداد للرقاد فكأنها هرولت خارجة لمقابلة حبيبها على غير موعد قبل أن تأوى لفراشها لما رأته مقبلاً نحو المزرعة فخرجت مسرعة مكتفية بأن تلبس فوق ثياب النوم الخفيفة هذا المعطف الطويل وقالت للضابط :

— إنه كما ترى فى حالة عصبية شديدة لأنه يظن بأنه أصبح الشخص الذى تتركز فيه الشبهات القوية لتوجيه تهمة القتل إليه .

— ولكننى لم أتهم أحداً حتى الآن .

فاتجهت الآنسة بيتشى إلى صاحبها الطالب مخاطبة إياه بالهولندية بعبارات أمكن للضابط الفرنسى أن يستنتج من مغزاها أن الآنسة حاولت أن تهدأ من روع الطالب كورنيليوس مؤكدة له ما علمته من الضابط بعدم توجيه أى تهمة إليه وفى هذه اللحظة سمع الجميع قعقعة تنبعث من فروع الأشجار الجافة الملقاة فى أرض الغابة وهى تتكسر تحت أقدام من يمشى عليها وجفل الطالب كورنيليوس فأعتدل واقفاً ووجت الآنسة بيتشى وهى تقول له أن كان يستطيع الحدس ممن يكون القادم وحاول الطالب عندئذ أن يظهر بطولته أمامها فتقدم قليلا فى غير وجل نحو مصدر الصوت

ولكن الحال لم يلبث إلا هنيهة أذ انكشف ما كان خافياً عليهم جميعاً فلم يكن القادم سوى المزارع ليفين والد الآنسة يبتشى نفسه وقد اقترب منهم وأخذ ينادى أبنته التى ألجم لسانها فى أول الأمر عن النطق واضطرت لما كرر أبوها النداء أن ترد عليه مليبة نداءه بالكلمة الهولندية المعروفة « يا » — « YA » ومعناها إى نعم ودنا المزارع ليفين من الجماعة فمر بالطالب كورنيليوس متعمداً عدم رؤيته ولكنه جعل نظره يستوى قليلا على الضابط الفرنجى وقطب وجهه وتمتم بالهولندية عبارات وجهها لإبنته التى أومأت برأسها علامة الخضوع لما اؤتمرت به حيث قالت للضابط :

— إن أبى يريد أن يقول لك بأنه ليست من التقاليد وما جرى به العرف فى هولندا أن يتواعد رجال الشرطة مع الفتيات مهما كانت الأحوال على التلاقى أثناء الليل فى الفلوات .

فنزل هذا الكلام على رأس الضابط الفرنسى كالصاعقة إذ بدت حمرة شديدة على وجهه نتيجة غضب شديد آثر أن يكبته ثم ما لبثت هذه الحمرة أن تحولت إلى صفرة تدل على ما أصاب الضابط من حقد فى نفسه وثورة على الظروف والملابسات التى لم تمكنه أن يدفع عن نفسه هذه التهمة الباطلة بسبب جهله اللغة الهولندية ولأنه إصبح متأكداً من أن المزارع ليفين لا يشك فى العلاقة الغرامية القائمة بين إبنته والطالب كورنيليوس لأن تعمده التعامى عن وجوده فى هذه اللحظة ومحاولته تقريع الضابط دون أن يقول كلمة واحدة للطالب كورنيليوس دليل قاطع على مسرحية أريد تمثيلها لستر الحقيقة المعروفة

لديه ولم يلبث المزارع ليفين إلا برهة قصيرة فرك فى أثنائها أصابعه منادياً على كلبه ومستصحباً معه إبنته عائدا صوب منزله الذى سمع بعد قليل بابه الكبير يغلق بشدة حتى كان من أثر ذلك أن تصايحت الضفادع فى كل مكان كأنها آثرت قبل ذلك أن تلتزم السكوت حتى يؤدى المزارع مهمته بكل نجاح .

والتفت الضابط بعد ذلك إلى الطالب كورنيليوس الذى وقف جامداً فى مكانه قائلا :

— هل تستطيع التكلم بالفرنسية ؟

— نعم أستطيع التفاهم بها قليلا .

وكان الطالب كورنيليوس فى إجابته يعطى أروع الأمثلة لشخص لا يريد أن يفتح فمه بكلمة لأنه يخشى ما سيكون وراء ذلك من عواقب ولهذا رأى الضابط أن يدخل الطمأنينة إلى قلبه فأخذ يسأله برفق عما يدعوه للخوف وكان رد الفعل فى نفس الطالب شديدا فأخذت الدموع تسيل من مقلتيه وبدت يداه ترتعشان بشكل يدل على أن صاحبها وقع فريسة لنوبة عصبية بما أضطر معه الضابط لأن يستمر فى تهدئة روعه وقام يسحبه بلطف من ذراعه وسار معه عائداً صوب البلدة وأمكن للضابط من حديثه مع الطالب أثناء سيرهما معاً أن يكشف عن صفحة حياة هذا الطالب وتتلخص فى أن هذا الطالب ما كاد يفهم معنى الحياة حتى اختطفت المنون أمه التى

كانت تعيش مع أبيه بعيداً عنه حيث كانا بالمستعمرات الهندية الهولندية وعقبت وفاتها صدمة أخرى أصابته تلقاها بصبر وجلد إذ أحتلت لدى أبيه مكان أمه زوجة أخرى فكان يشعر دائماً أثناء حياته المدرسية بالوحدة المؤلمة مما كان له تأثير سيء في نفسيته فأصبح لا يشعر في الوجود إلا وكأنه ريشة في مهب الرياح أو أنه لا يزال طفلا لم يكتمل بعد سن الحلم ولهذا لما سأله الضابط الفرنسي لأول مرة سؤالاً بسيطاً يعتبر من أوليات الأسئلة في التحقيقات القضائية بأن أراد أن يستعلم منه عن مكان وجوده وقت أن قتل الفقيد كونراد أخذ يهذي بكلمات غير متسقة المعنى وعبارات يتخللها البكاء والنحيب وهو يردد دائماً قوله أنه بريء وأنه لكذب وتلفيق آثم أن يكون هو القاتل وأخذ الضابط ميجريه يعالج هذه الحالة النفسانية بصبر وتؤدة وهو يسير سيراً وئيداً إلى جانب الطالب حتى إذا ما وصل للدائرة التي يقع فيها النور المنبعث من منارة الميناء عاود الضابط سؤاله الأول سالف الذكر فلم يسع الطالب إلا أن يجيب بالإشارة بأن رفع أصبع يده مشيراً إلى منزل آل بونجا ولا بد أن الضابط كان يعلق أهمية كبيرة على هذا السؤال لأن الجريمة قد ثبت وقوعها في الساعة الثانية عشر إلا خمس دقائق قبل منتصف الليل بينما قد ثبت من جهة أخرى أن الطالب قد آوى إلى مخدعه بالسفينة المدرسية في الساعة الثانية عشر وخمس دقائق بعد منتصف الليل والمسافة ما بين منزل الفقيد وهذه السفينة لا يمكن قطعها بالطريق المعتاد إلا فيما يقرب من النصف ساعة وإن كان من الممكن قطعها فيما

لا يتجاوز السبعة دقائق إذا اتخذ الشخص طريق القناة بأن يقفز فى النقطة التى كان فى تلك الآونة واقفاً فيها مع الطالب عبر القناة من شاطىء لآخر فوق جذوع الأشجار العائمة فى قناة الأمستردیب وبعد برهة قليلة ساد الصمت فيها بين الطالب والضابط سأل هذا الأخير الأول قائلا له : —

— هل أنت مقيم بحب الآنسة بيتشى ؟

ولكن بقى هذا السؤال دون رد سوى تلك الزفرات وذلك الشهيق الذى سمعه الضابط من الطالب لما ألقى عليه سؤاله الأول وكذلك كان الحال لما سأله عن الوقت الذى يأوى فيه إلى السفينة المدرسية ولكن مع ذلك أجاب الطالب قائلا : —

— فى الساعة العاشرة مساء عدا فى الأيام التى أستأذن فيها للتأخير بسبب ذهابى لمنزل آل بوبنجا .

— والآن أراك قد تأخرت كثيراً عن الميعاد المحدد لك فيمكنك أن تسرع بالعودة إلى مدرستك .

فلم يصدق الطالب ما سمعته أذناه لأنه كان يعتقد أن الضابط ما اقتفى أثره إلا لكى يلقى القبض عليه وأسرع بالأنطلاق عبر القناة فوق جذوع الأشجار العائمة كما أخذ يحذو حذوه الضابط ميجريه الذى لم يمارس هذا النوع من القفز ولذلك كاد يسقط فى الماء لما فقد توازنه وقت أن وضع قدمه فوق أحد هذه الجذوع الضخمة العائمة فوق سطح الماء بالقناة

ولما وصل كل منهما إلى الشاطىء الآخر من القناة وإتجه بصر الضابط ميجريه إلى منزل آل بوبنجا فلمح شبحاً يطل من النافذة الكائنة بغرفة مكتب الفقيد كونراد بوبنجا بالطابق الثانى من المنزل وتميز الضابط هذا الشبح فإذا به يراه فى شخص الآنسة آنى التى حاولت وقتئذ الاختباء وراء الستار المعلق بالنافذة ولم يفقه الضابط ميجريه سبباً يدعو الآنسة لأن تقوم بهذه المراقبة فى هذه الساعة المتأخرة من الليل وقبل أن ينصرف الطالب كورنيليوس عائداً إلى سفينته المدرسية أراد أن يختم حديثه مع الضابط فبدأ قائلا : —

— إنى أحلف بالله العظيم إنى لم . . . . . .

ولكن الضابط قاطعه فوراً وزجره بلهجة جافة قائلاله « كلا لاتحلف » فارتسمت على وجه الطالب علامات اليأس والقنوط الشديد وأخذ يحدق بعينيه فى وجه الضابط مذهولا ومندهشاً فأخذ الضابط بدوره يهدأ روعه ويربت على كتفه قائلا : —

— نعم يابنى لاتجعل الله عرضة لأيمانك لا سيما فى حالتك الراهنة والآن قل لى هل فى نيتك أن تتزوج الآنسة بيتشى ؟

— طبعاً هذا ما عزمت عليه أكيداً .

— وهل والدها موافق على ذلك ؟

فلم يحر الطالب جواباً وسار فى سكون مطأطأ الرأس بين القوارب الموضوعة فى الأرض الفضاء المجاورة بعد إن صار رفعها من الماء بقصد تجفيف خشبها

تمهيداً لدهانها واتجه فى سيره إلى أن وصل إلى السفينة المدرسية البحرية وهى سفينة ضخمة ملونة بالأبيض والأسود وكانت فيما مضى منذ قرن من الزمان إحدى القطع البحرية التى تعمل فى الأسطول الهولندى واتقادم العهد عليها وعدم إمكان استخدامها فى الأغراض الحربية رؤى استخدامها لمبيت الطلبة الذين يدرسون العلوم البحرية فيها وكانت قمرات السفينة فى تلك اللحظة مضاءة جميعها بالنور وكان منظر السفينة حينئذ فخماً إذ كان يعلو سطحها الشراع الكبير كالأجنحة المرفرفة ويقابله شراع آخر أصغر منه وبينما كان الطالب كورنيليوس يقترب من السفينة المدرسية إذ سمع رنين الجرس المؤذن بدعوة الطلبة لكى يهرعوا لمخادع نومهم فقام من كان منهم هنا وهناك يتريض على رصيف الميناء بالإسراع ركضاً صوب السفينة وكان منظر الطلبة فى تلك اللحظه وهم يعودون إلى السفينة أشبه بخلية النحل عند ما يعود النحل إليها للاستقرار فيها عند المساء وكان الطلبة عند حضورهم إلى السفينة ودخولهم الردهة المؤدية لمخادعهم يتمازحون ويتضاحكون ويترامون بمخدات أسرتهم تحت أنظار كبير المراقبين الذى كان واقفاً وقتئذ على السلم الخارجى الموصل بين السفينة ورصيف الميناء يدخن غليونه فى هدوء محاولاً إحصاء الحاضرين ليتمكن من معرفة المتخلفين والصورة التى تنطبع فى ذهن من يرى هذا المنظر لا تخرج إلا عن مدرسة حقاً وتلاميذها الصغار مهما أضفى على هؤلاء الشبان الملتحقين بالسفينة والذين تتراوح أعمارهم ما بين

السابعة عشر والثانيه والعشرين — ما انشحوا به من حلة عسكرية وقفازات بيضاء فى أيديهم ليبرزوا فى الوجود كالرجال بمعنى الكلمة وكم كان طريفاً أن يرى بعضهم وهو يرى بسيجارته من فمه عندما يهم بالصعود للسفينة ليكون مطيعاً للنظام والأوامر الصادرة بمنع التدخين داخل السفينة ثم لا يلبث أن ينخرط فى سلك الزمرة من إخوانه المازحين المتضاحكين ما دام النظام المفروض لا يمنع المرح والمزاح بين الجميع فى تلك الفترة فكل شيء فى هولندا يسير وفقاً لما يقضى به النظام !

وأوما الضابط الفرنسى لكى يصعد كورنيليوس إلى السفينة فلبى هذا الأخير ذلك بعد أن قام بتحية الضابط تحية عسكرية وما لبث أن أصبح ضمن الجماعة من زملائه الطلبة بعد أن تلقي فى رأسه ضربة من مخدة رماها به مداعبا أحد أخوانه وكان الطلبة يهرعون إلى خلع حللهم يلقونها هنا وهناك ليرتدوا ثيابهم الداخلية بسرعة استعداداً ليتمدد كل منهم على الشبكة المعلقة فى عنبر النوم والمخصصة للرقاد فيها كالسرير وبعد برهة قليلة ساد السكون فى السفينة دليلا على أنصراف طلبتها إلى النوم ليستقبلوا فى غدهم دروسهم وتمريناتهم اليومية وما كاد الضابط الفرنسى يدير ظهره للسفينة عائداً فى طريقه للبلدة حتى تقابل وجها لوجه مع المقاول أوستنج الذى كان واقفاً قريباً من السفينة يراقب على ما رجحه الضابط أوبة الطالب كورنيليوس

وكان كلامن الضابط والمقاول ضخم الجسم قدجاوزسن الشباب ومرت فى مخيلة الضابط الفرنسى وقتئذ تلك الصورة للدجاجة الأم التى ترقب فى المساء بكل صبر عودة كتكوت لها قد دلف بعيداً عن نطاق المكان المعتاد التسريح فيه لأنه رأى فى تصرفه وفى انتظار أوستنج قرب السفينة ما ينطبق على هذه الصورة للاطمئنان على عودة هذا الكتكوت أى الطالب كورنيليوس إلى الحظيرة ! وفى هدوء تام واتزان طبيعى تبادل كلاهما النظرات هنيهة من الزمن رفع على أثرها المقاول يده إلى رأسه ومد يده محيياً بطريقة رفع الكاسكيت التى تغطى صلعته وقائلا باللغة الهولندية « مساء الخير » «A' vonds» ورد عليه الضابط الفرنسى التحية بمثلها بالفرنسية والسابقة علمهما بعدم إمكان التفاهم لجهل كل منهما لغة الآخر إنصرف كل منهما متخذا وجهة واحدة نحو المدينة والمقاول أوستنج يمشى بقبقابه ويدخن غليونه المصنوع من الصينى والضابط يمشى بحذائه الجلدى ويدخن غليونه المصنوع من خشب الزان وأتجه المقاول أوستنج صوب أحد المقاهى حيث خلع قبقابه من قدميه ووضعه فى المكان المخصص لذلك خارج عتبة الباب الداخلى للمقهى ولما دخل ردهة المقهى العامة اتخذ مكاناً له بجوار بعض البحارة ممن اعتادوا ارتياد هذا المقهى لقضاء السهرة حول منضدة يشربون البيرة أو الكحول الوطنى المستحلب من بذور حشيشة الدينار Geniévre ويدخنون طول الليل التبغ فى غليون كل واحد منهم

أو السيجار وكان جو المقهى تسوده رائحة البيرة والكحول الوطنى وهى رائحة تتميز بها المشارب العامة بهولندا عن مثيلاتها بفرنسا أو غيرها من البلاد الأخرى ودخل الضابط الفرنسى بدوره المقهى وإنتحى إلى جانب فى ردهة المقهى وشعر بأن عيون الموجودين قد تركزت فى شخصه لما تكلم معهم المقاول أوستنج بالهولندية كلاماً وأن لم يفهمه الضابط طبعاً لكنه استنتج مغزاه ومرماه وكان صاحب المقهى جالساً ضمن نفر من الزبائن البحارة فانتظر قليلا ثم دلف بعدئذ ذاهباً إلى الضابط الفرنسى يسأله عما يريد تناوله من مختلف الشراب وقائلا له بالهولنديه : —

« موى فير » أى الطقس جميل — وكرر هذه العبارة وزاد عليها بقوله « أوست فيند » أى رياح شرقية وأشار أحد البحارة إلى نافذة المقهى الشرقية وهو يقول بالفرنسية طقس جميل وقام المقاول أوستنج إلى ركن يتمكن الزبائن فيه من انتقاء وشراء أنواع السيجار والسجاير الموضوعة داخل صندوق ملقى على المنضدة التى يقوم صاحب المقهى وراءها بصب مختلف الشراب فى الكوبات للزبائن وانتقى المقاول أوستنج إحدى أنواع السيجار ذات اللون الأسود الفاحم والمعروف بأسم « مانيلا » وقام بقضم جزء من طرف السيجار لفظه بفمه أرضاً قبل أن يشعل باقى عود السيجار فى فمه وبعد ذلك خلع الكاسكيت التى تغطى صلعته وأمسكها بيديه وهو يعرضها على زملائه قائلا بأنه اشتراها أخيراً وأنها جديدة دفع فى ثمنها أربعة فلورنيات أو ما يساوى أربعين فرنكا فرنسيا وفى هذه الآونة دخل أحد البحارة

وفى يده النشرة التجارية البحرية وهى تحوى بيانا بأسعار الشحن المتداول بسوق ميناء أمستردام وأخذ الكل عندئذ يتناقشون فى هذا الشأن بما صرفهم كلية عن الضابط الفرنسى الذى رأى من جانبه أن يخرج من المقهى ليأوى إلى فندق « فان هاسلت » الذى عمل حسابه لكى ينزل فيه عند ما قرر الحضور لبلدة دلفزايل .

الفصل الخامس

نظريات جاد ديكلوس

وفى الصباح الباكر نزل الضابط الفرنسى من غرفة نومه إلى المقهى التابع لفندق فانهسلت لتناول طعام الإفطار وبينما هو جالس عقب الأنتهاء من طعامه إذ به يرى مفتش البوليس الهولندى باينكامب مع فريق من الشرطة يقومون بتفتيش سفينة المقاول أوستنج فخرج من باب الفندق مقتربا ما أمكن من السفينة لمشاهدة ذلك لأن مفتش البوليس الهولندى لم يدعه للأشتراك معه فى هذا الإجراء لما رآه وتحدثا سوياً حديثاً مقتضباً .

وكان الطقس جميلا وظهرت فى الميناء إحدى البواخر الفنلندية تسحبها فى طريقها إلى المرسى بالميناء إحدى سفن الإرشاد المعدة لهذا الغرض وفى ركن من الميناء فى قبالة مرسى سفينة المقاول أوستنج التى كان البوليس الهولندى يجرى تفتيشها اجتمع نفر من البحارة الهولنديين فى حلقتهم المعتادة والتى يطلق عليها إسم « نادى فيران الميناء » وكانوا مسترسلين فى مناقشاتهم حول الشئون البحرية دون أن يعيروا إجراءات البوليس الهولندى أية أهمية وأما المقاول الذى يستعمل سفينته كمخدع للنوم يأوى

إليها بالليل عند زيارته لبلدة دلفزايل فقد خرج لمقابلة رجال الشرطة دون أن يبدو على وجهه أية علامات اضطراب أو خوف وترك البوليس يؤدى مهمته دون أن يهتم بالأمر وآثر البقاء فى سفينته طول النهار بعد إنصراف رجال الشرطة دون أن يجتمع برفاقه فى « نادى فيران الميناء » وظل جالساً فوق سطح السفينة جامة الهادئ المطمأن وهو يحدق فى الفضاء فى إتجاه الباخرة الفنلندية كالصنم لا حراك فيه سوى ما كان يتصاعد من دخان التبغ الذى يحرقه بغليونه الذى قلما كان يفارق فمه

ولما عاد الضابط الفرنسى لمجلسه بمقهى الفندق وجد الأستاذ ديكلوس داخلا المقهى وهو متأبط عدة كتب وبضعة أضابير قام بوضعها على منضدة بالقرب من مجلس الضابط الفرنسى الذى سمعه يقول له دون أن يقرأه السلام :—

— هل من جديد ؟

— الجديد عندى أننى أقرؤك السلام .

وكان لهذا الرد وقع شديد فى نفس الأستاذ جان ديكلوس فهز كتفيه كأنما يريد أن يقول للضابط بأن لا يكون أهماله عن غير قصد ما تقتضيه آداب المجتمع المتمدن سبباً داعياً إلى التشاحن وأعاد السؤال للضابط قائلا:—

— هل أمكنك أن تكتشف شيئاً يلقى ضوءاً على الحادثة ؟

— وما الذى أمكنك أنت كشف الغطاء عنه ؟

— أنك لا بد أن تعلم أنه من المحظور علىّ الخروج من الفندق ولكن لحسن الحظ كان زميلك مفتش البوليس الهولندى رجلا حصيفاً وأمكنه أن يقدر ما لخبرتى وواسع معلوماتى فى الشئون الجنائية ما يستطيع معه من الاستفادة بى ولهذا ما كان منه إلا أن أدلى لى بكافة التفصيلات المتعلقة بالتحقيقات التى تمت حتى الآن — واعتقد أن هذه هى نفس الطريقة التى كان لا بد أن يتبعها البوليس الفرنسى .

— ليكن الأمر كما تقول .

ودخلت فى هذه اللحظة السيدة فان هاسلت صاحبة ومديرة الفندق وقد صففت شعرها الجميل بالدبابيس فهرع إليها الأستاذ ديكلوس محيياً بكل احترام كما لو كان يقابل شخصية عظيمة بإحدى ردهات الاستقبال فى حفلة كبيرة وسألها فى أدب جم عن صحتها الغالية وكانت السيدة فان هاسلت متشحة بملابس الصباح وجاءت خصيصاً لترقب ورود براميل البيرة التى أوصت عليها وكان جو مقهى الفندق مملوءاً أيضاً برائحة البيرة الممزوجة برائحة الكحول الوطنى حتى أيقن الضابط ميجريه أن هذه الرائحة هى طابع خاص تتسم به كافة المشارب الهولندية صغيرها وكبيرها عظيمها وحقيرها وأخذ الضابط يبحث فى كومة الأوراق واللفات التى وضعها إلى جواره الأستاذ جان ديكلوس فوجد فيها رسما تخطيطياً واضحاً لمنزل الفقيد بوبنجا وخريطة تبين جميع المسالك المؤدية إليه وخريطة أخرى تبين الطريق الذى اتخذه جميع الأفراد الذين كانوا حاضرين بمنزل

الفقيد ليلة الحادثة وبعد أن استوعب بنظره هذه الأوراق التفت إلى الأستاذ جان ديكلوس مداعباً وقائلا له : —

— أرى أنك ياسيدى الأستاذ لا بد وأنك اكتشفت الفاعل فى هذه الجريمة ؟

— حقاً لقد صدق من قال أن الفرنسى لا يمكن أبداً أن يكون جاداً فى كلامه ولا يستطيع عند التحدث مع الغير منع نفسه من أن تدفعه النكتة لكى يهزأ بالناس ولكن ليعلم سيدى الضابط أن نكتته هذه المرة كانت غير موفقة !

ولم يغضب الضابط ميجريه لهذا الكلام بل بالعكس كان على ثغره أبتسامة عريضة وهو ينظر إلى الأستاذ الذى واصل حديثه قائلا :—

— أننى لم إكتشف بعد الفاعل ولكننى إكتشفت ما هو خير من ذلك . فقد قمت بتحليل عناصر الجريمة ورتبت وقائعها مفصلا كل واقعة على حدة — والآن . . . .

— والآن ؟

— يأتى دور مثلك لينتفع بما قدمته من بحث وتمحيص يؤدى حتما إلى الهدف المنشود — وبدأ الأستاذ يستعد ليسترسل فى شرح ما قام به من مباحث بالرغم من جو سوء التفاهم الذى الذى خلقه بعباراته النابية الأخيرة ولكن الضابط الفرنسى كان فى الوقت نفسه متحكماً فى أعصابه وأظهر

على النقيض استعداده لسماع شرح الأستاذ وبدأ لهذا الغرض بأن طلب كأساً من الكحول الوطنى الهولندى « Bols » ليتسلى بارتشافه أثناء سماعه النظريات التحليلية التى أوردها الأستاذ قائلا :—

— أنك لتلاحظ أولاً أننى لم أطلب إليك أن تخبرنى ماذا فعلته أنت حتى الآن . كما لم أطلب إليك الإدلاء برأيك فى الحادثة . والواقع أن تحليلى لوقائع الحادثة قائم على افتراض أن القاتل هو واحد من الذين كانوا موجودين بمنزل القتيل — وأبدأ بشخصى أولاً فأقول بأن الشبهات ضدى تؤيد الظن بأننى القاتل لأننى كنت فى مكان بمنزل الفقيد يتيح لى بسهولة تامة قتله كما أن السلاح الذى أستعمل فى الجريمة شوهد فى يدى بعد وقوع الحادثة ببضعة دقائق . ولكن يجب أن نتساءل لماذا أقتل بوبنجا ؟ هل الباعث على ذلك السرقة ؟ نعم أنى لست غنياً وقد أكون محتاجاً للنقود ولكن قد أثبتت التحقيقات أن شيئاً لم يفقد من منزل الفقيد نفيساً أو غالياً ! غير أن سقوط هذا الباعث وحده لا يعنى رفع التهمة عن عاتقى فإنى أذكر جيداً أنى شرحت فى تعليقاتى على محاضرتى أثناء إجتماعى بحضور الفقيد فى منزله ليلة الحادثة بالذات بأننى مقتنع تمام الاقتناع بأن رجلا ذكياً حصيفاً يستطيع أرتكاب أية جريمة ويتخلص من مسؤليتها إذا كان رجال الضبط والربط فى مستوى دونه بحيث لا يتمكنون من إثبات الجريمة ضده ومن هنا يمكن أن يقال بأننى أردت أن أطبق عملياً ما شرحته . ولكن لو كان

ذلك صحيحاً فإننى أؤكد لك إنه ما كان فى مقدور مخلوق كائناً من كان أن يوجه أى اتهام ضدى !

وهنا كاد الضابط ميجريه يفقد أعصابه وينفجر من الضحك والاستهزاء ولكنه اكتفى بأن رفع كأس شرابه إلى فمه قائلا :—

— فى صحتك يا أستاذ ! — واستأنف الأستاذ ديكاوس كلامه قائلا :—

— أما والحال كما شرحته لك الآن فيجب إذن استبعاد فرض ارتكابى لهذه الجريمة وعلى ذلك لا يبقى أمامنا إلا فرض آخر وهو أن جميع من كانوا بمنزل الفقيد فى تلك الليلة لا بد وأن تكون لهم يد فى الجريمة وأرجو أن لا يدهشك هذا القول فها هى أمامى مستنداتى تؤيد ذلك وهى خريطة المنزل والمسالك حوله المؤدية إليه وأطلب منك أن تستوعبها بدقة وأن تدرس جيداً العوامل والاعتبارات النفسانية التى سأقوم بشرحها لك تفصيلاً الآن .

وهنا لم يستطع الضابط أن يتمالك نفسه فأغرق فى الضحك إزاء هذه النظريات الطنانة والمظاهر العلمية المتنفخة التى أضحت ديدن الأستاذ ديكاوس الذى بالرغم من ذلك تابع كلامه قائلا :—

— لا بد وأنك قد سمعت بأن السيدة بوبنجا عقيلة القتيل واسمها أصلا « فان ألست » تنتمى إلى عائلة متدينة كل التدين بالمذهب البروتستانتى وأبوها القيم بأمستردام معروف عنه التعصب الشديد وأختها

الآنسة آنى لا تنفك حتى فى المسائل السياسية من سلوك مثل هذا المسلك مع أنها لم تبلغ بعد الخامسة والعشرين ولا شك عندى أنه بسبب أنك لم تقضى سوى ليلة واحدة حتى الآن ببلدة دلفزايل فأنك تجهل تماماً العادات والتقاليد المتبعة هنا وهى تقوم على التمسك الشديد بكثير من الاعتبارات ذات الصفة المنطوية على الخشونة وعدم الرونة فمن ذلك أضرب مثلا بأنه محظور على أى أستاذ موظف بالمدرسة البحرية الجلوس فى المقاهى العامة حتى ما كان منها بريئاً كل البراءة كالذى نحن فيه الآن ومخالفة ذلك تعرض صاحبها للتوبيخ الشديد ولقد علمت بأن أستاذاً بهذه المدرسة نقل من وظيفته إلى وظيفة أخرى أقل شأناً عقاباً له لمواظبته قراءة جريدة يومية تنشر أراءاً وأخباراً أكثر عصرية مما تعارف عليه الناس هنا — ولم تكن لى بالفقيد بوبنجا سابقة معرفة ولكننى أستطعت منذ الليلة الأولى والوحيدة التى تقابلت فيها معه أن أكوّن رأيى فيه فهو كما يعبرون عنه بالرجل الطيب ذو الوجه الحسن وكان صاحب عينين جذابتين ولكن يجب أن لا ننسى أنه كضابط سابق بالبحرية الهولندية زار فى أسفاره الكثير من الأقطار المختلفة لم يسلم ثوبه الرسمى من أن يتمزق هنا وهناك — ولعلك طبعاً فهمت ماذا أقصد بذلك — ولقد اتصل بى أن الفقيد كان فى إحدى الليالى فى الاجتماع الأسبوعى الذى تؤمه الطبقة الراقية من سكان دلفزايل مما تعارفوا على تسميته بالنادى الأسبوعى ذلك لأن التقاليد المرعية هنا تحتم على ذوى الحيثية بهولندا ألا يغشوا

المشارب والمقاهى العامة بل يجتمع أهل هذه الطبقة دائماً فى قاعة تؤجر لهذا الغرض بإحدى الفنادق حيث فيها يجتمعون ويدخنون ويتناولون أقداح البيرة أو الكحول الوطنى الهولندى ويتناقشون مختلف المسائل العلمية والشئون السياسية — وكانت الساعة قبيل منتصف الليل الأمر الذى تفهم منه حتما أن الفقيد كان مخموراً لكثرة مالا بد وأن يكون قد تناوله من أقداح الشراب وكانت السهرة قد بدأت بالكلام فيما قامت به زوجته من عمل نبيل بفتح إكتتاب عام لجمع ثياب وملابس ترسل إلى سكان جزر الهند الهولندية لتعويدهم على الأخذ بأسباب التمدين والحضارة بدلا من أستمرارهم عراة فى حالة البداوة وفجأة صاح الفقيد فيمن كان يقوم بأبداء الشكر للسيدة عقيلته قائلا وهو يعمل بأن هذا عمل يراه إخرقا لأن سكان هذه الجزر النائية بسبب حرارة الجو يميلون إلى عدم التدثر بأى لباس ويحبون أن يعيشوا دائماً عراة وأنه خير للهولنديين بدلا من إجهاد أنفسهم بألباس هؤلاء العراة ثيابا أن يجتهدوا أنفسهم فى تقليد هؤلاء العراة — وهنا أغرق الضابط ميجريه فى الضحك فتابع الأستاذ قائلا :—

— أراك ياسيدى الضابط تضحك كأن الأمر لا شىء فيه ولكن يجب أن تعلم ياسيدى أن الناس هنا يعرفون بأن البدلة الرسمية التى كان يضعها الفقيد على جسمه لم تكن خالية من الخروق وآثار الرتق — وأقصد طبعاً ما تفيده هذه العبارة من الوجهة المعنوية — وبدلاً من أن هذه البدلة كانت من المفروض حتما أن تضفى على الفقيد الهيبة والوقار وتزرع

فى النفوس التقدير له والاحترام فإن قيمتها قد ضاعت من هـذه الوجهة بدليل أن الكثيرين من أهل بلدة دلفزايل تهربوا من الحضور إلى الكنيسة عند الصلاة على روح الفقيد عملا بالطقوس الدينية المتبعة — نعم ياسيدى إنك لا تستطيع أن تتصور أن بلدة دلفزايل لصغرها يتناقل النـــاس الشائعات فيهـا بأقل من لمح البصر لا سيما فى شئون ما يدور حول مسلك أى شخص من سكانها ولهذا لم يكن ليخفى على الناس هنا أمر تلك العلاقة التى كانت بين الفقيد والمقاول أوستنج لأن الفقيد تحت ستار إصطحاب المقاول معه فى صيد سمك القرش بسواحل هذه الجزيرة كان يقضى ليالى حمراء بسفينة المقاول تسيل فى أثنائها أقداح الكحول سيلاً وكان يقضى السهرات الملاح مع المقاول وهما يتعاقران بنت الحان سوياً طول الليل حتى مطلع الفجر أحياناً . والآن أطلب إليك ياسيدى الضابط أن لا تتعجل باستخراج النتائج التى يمكنك أن تستخلصها مما قدمته إليك من بيـــانات ولكن الذى يمكننى أن أؤكد لك أنه ما دامت الجريمة قد إرتكبها واحد ممن كانوا بالمنزل فى تلك الليلة فجميع من كانوا هنـاك لا بد وأن يكونوا شركاء له ولا بد لى قبـل أن انتهى من بحثى هـذا أن أشـير إلى مسألة فرعية تختص بتلك البنت المستهترة وأعنى بهـا الآنسة بيتشى — وقد أعتادت الأستحمام دائماً بالقميص القصير اللاصق بالجسم المعبر عنه بكلمة « المايوه » والتى اختارت له زيادة فى عدم التحشم لوناً فاقماً شديد الحمرة مع أن السيدات الهولنديات بدلفزايل لا زلن عند الاستحمام فى

مياه البحر متمسكات بعدم التبذل فى ملبسهن ولهذا تراهم يراعين دائماً استعمال اللباس ذى الستر المتدلى والمغطى للجسم حتى الركبة — فإنها كانت على صلة مستديمة بالفقيد . وهناك أيضاً أمر الطالب كورنيليوس فأعتقد أن صلته بآل بوبنجا تلعب فيها عناصر تمت إلى الجانب النسائى بصلة قوية . وبناء عليه إذا كان قد أصبح لديك الأمر واضحاً كل الوضوح كما شرحته فيمكن أن نقسم الشخصيات التى لعبت دورها على مسرح المأساة التى انتهت بهذه الجريمة المؤلمة إلى فريقين فالأول يتكون من حرم القتيل وأختها الآنسة آنى والطالب كورنيليوس والثانى يتكون من القتيل والآنسة بيتشى والقاول أوستنج

— وهنا قاطعه الضابط ميجريه قائلا :

— هل يسمح لى سيدى الأستاذ بأن أسأله سؤالا واحداً ؟

— بكل سرور تفضل .

— هل الأستاذ يعتنق المذهب البروتستانتى ؟

— نعم أننى بروتستانتى المذهب ولكننى أتبع الكنيسة الحديثة دون أن أتقيد بأسانيدها وتقاليدها .

— وما هو شعورك شخصياً بالنسبة لأفراد هذه الشخصيات التى ذكرتها ؟

— لا شىء بالنسبة لهم جميعاً وإنما فى الواقع لا يمكننى أن أجزم

بأنني كنت عطوفاً بالنسبة للقتيل.

— وهل تذكر أن كان القتيل قد راقص أحدى السيدات فى تلك الليلة دون أن يلتفت إلى ما كنت معهن منهمكا بشأن شرح آرائك العلمية ؟

— نعم وهذه سقطة أخرى من سقطات الفقيد لم أشأ أن أذكرها لك عمداً — وكانت أسئلة الضابط ميجريه تنهال على الأستاذ ديكلوس فى تؤدة وبشكل حازم حتى إذا ما انتهى معه إلى سؤال فزع منه الأستاذ ديكلوس كل الفزع إذ قال له : —

— وهل تظن أن الواجب يقضى الآن بالقاء القبض على أوستنج ؟

— كلا وألف كلا . فانه لم يدر فى خلدى قط شىء من هذا القبيل وكل ما أردته هو أن أضع تحت نظرك خطوطاً عامة فى الأبحاث المتعلقة بهذه الجريمة لتساعدك عند قيامك بتحليل عناصرها واستخلاص الجزئيات ذات الأهمية فيها للوصول إلى السبيل السوى .

— ربما كان كلامك هذا صحيحاً ولكنك لا بد أن ترى معى أنه من كان مثلى فى وظيفته يجب أن يكون رجلا عملياً أكثر منه نظرياً .

— أننى لست من رجال الشرطة ولكننى رجل يبحث عن الحقيقة فقط من أجل الحقيقة لاغير وحتى فى هذه الجريمة أعتقد أن بحثى لا يمكن أن يكون منزهاً عن كل خطأ لشبهة أننى موضع الظن بأن تلتصق

التهمة بشخصى .

— إذن من رأيك أن لا ألقى القبض على أحد ؟

— وهذا لم يكن ليدور فى خلدى أيضاً .

— إذن دعنى أسدى لك الشكر ياحضرة الأستاذ على ما تجشمته من بحث مضنى حقاً لا ينتهى إلى شىء يفيدنى كرجل عملى كما قلت لك — وبهذه العبارة اللاذعة فى طياتها تهيأ الضابط ميجريه للانصراف وبحث فى جيوب سترته عن بعض القطع الفضية الصغيرة من العملة الهولندية وأخرج واحدة قرع بها كأسه قرعاً خفيفاً بقصد أن يستجلب خادم المقهى ليدفع له حساب ما شربه ولكن الأستاذ ديكلوس لم يتركه يفعل ذلك دون أن يوجه له نقداً مريراً لهذا التصرف منبهاً الضابط بأن لا يعود لمثل ذلك مرة أخرى فى هولندا لأنها عادة مستهجنة يعتبر صاحبها من غير الطبقة ذات الحيثية أو ما يعبرون عنه بكلمة « جنتلمان » ولم يسع الضابط ميجريه إلا أن يتعمد بدوره أن يثير المخاوف فى نفس الأستاذ ديكلوس بأن قال له منصرفاً بما أقض مضجعه حقاً :—

— يلوح لى من كل النظريات الطويلة العريضة التى شرحتها لى أن هناك أمراً واضحاً كل الوضوح وهو أما أن تكون أنت بالذات القاتل أو أن جميع أفراد عائلة بوبنجا قد اشتركوا مع القاتل فى الجريمة !

وكأن هذا الكلام قنبلة إنفجرت بجوار الأستاذ ديكلوس فقفز

هائماً واقفاً ومحاولاً العودة الأسترسال فى أبحاثه الطويلة ونظرياته العريضة ولكن الضابط كان قد ولاه ظهره خارجاً من الفندق وهو يكاد يكتم فى نفسه ضحكة عالية كانت تداعب شفتيه وهرول مبهماً شطر قناة « الأمستر » وكان الطقس يبدو جميلا والشمس كانت فى أوجها وكان السكون الباعث على الطمأنينة فى النفس ناشراً ألويته وكان الناس منصرفين لأعمالهم اليومية فكنت ترى بائع الأدوات المنزلية والأطباق المصنوعة من الصينى يتنقل بين المنازل عارضاً بضاعته وكنت ترى ذلك اليهودى المستوطن هذه الميناء الصغيرة دلفزايل منهمكا فى تجارته ومنشغلا بدهان بعض أنواع المراسى الحديدية التى تزخر بها دكانه وكان بعض العمال يزاولون عملهم على الآلات الميكانيكية الرافعة لتفريغ بعض السفن المشحونة بالفحم الحجرى وعدد آخر من البحارة كانوا يعملون بنشاط فى قواربهم بتهيأة ما بها من شراع بغية تجفيفها فى الشمس والبعض منهم قد لجأ إلى حلقتهم المسماة بنادى « فيران الميناء » يتناقشون كعادتهم يومياً فى مختلف الشئون البحرية .

وكانت تظهر فى مواجهة الميناء منازل أهل الطبقة الموسرة بواجهاتها المتسقة الجميلة وزجاج نوافذها الفخمة النظيفة التى يرى من خلالها ما أسدل عليها من ستائر أنيقة وما وضع على حافتها الداخلية من بعض إصص الزهور المختلفة اللطيفة ولا يعلم أى مخلوق ما يجرى وراء هذه النوافذ داخل هذه البيوت لحرص القوم على الاحتفاظ بأسرار بيوتهم التى هى

مسألة لها قداستها فى نظر الكل لأنها قوام الأسرة التى تعتبر القاعدة الأولى فى بناء الدولة . وقد أرتسمت فى مخيلة الضابط وهو يجيل بصره فيما حوله ذلك التناقض الغريب بين الحياة الصاخبة التى يراها فى الميناء بما فيها من عمال وبحارة يروحون ويجيئون بقباقيبهم الصفراء الخشبية وبما فيها من قوارب وسفن بعضها يتحرك بالشراع والآخر بالقوة البخارية وبما فيها من ميزة تخصها وهى رائحة القطران ورائحة ما ينبعث من ماء البحر الأجاج وبين تلك الحياة الهادئة الناعمة فى تلك البيوت اللطيفة التى تحجب مايجرى فيها عن أعين وآذان الأجنبى عنها والتى يجتمع فيها الأهل والأقارب والأصدقاء من وقت لآخر أو مرة كل أسبوع على الأقل يتداولون فيما بينهم ما يجرى فى تلك البلدة الصغيرة من لفزايل من أمورهما صغر شأنها لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بمسلك بعض الشخصيات البارزة مثل ما يكون قد لوحظ على أستاذ بالمدرسة البحرية أنه فى ليلة من الليالى كان يتخبط فى مشيته لكثرة ما تناوله من المسكر أو ما شابه ذلك . ولا شك أن التناقض بين هاتين الصورتين يكاد يصبح لغزاً عسير على الإنسان أن يفهم كنهه إذا علمنا بأن هاتين الصورتين اللتين تمثلان النقيضين المجتمعين فى آن واحد بميدان الحياة تظلهما سوياً سماء واحدة صافية زرقاء اللون ترفرف بأجنحتها فى فضائها الواسع مختلف الطيور البحرية .

ولم يكن الضابط ميجريه قد قابل الفقيد كونراد بوبنجا أثناء حياته ولكنه

فى هذه اللحظة أمكن لخياله أن يرسم صورة لشخصيته ممثلة فى وجه وردى اللون ينم عن غريزة عنيفة واستطال خياله فيرى القتيل كضابط فى البحرية التجارية وهو يجوب الآفاق فمن هولندا إلى القارة الأمريكية الجنوبية ومنها إلى بلاد الصين حيث كانت الناقلات البحرية الصغيرة ذات الشكل الصينى الخاص بها تحضر من الشاطىء إلى حيث ترسو سفينة الضابط الهولندى وكانت هذه القوارب الصينية تموج بعدد وفير من البنات الصينيات اللاتى وإن كن غير فارعات القامة بما جعلهن فى حكم الأقزام إلا أنهن لفرط حسنهن وجمال وجوههن وأجسامهن البضة العاجية اللون يمكن للانسان أن يشبههن بتلك الدمى الأنيقة التى يزين بها الناس دواليب ردهات الاستقبال الزجاجية فى بيوتهم. وبينما كان الضابط ميجريه يسترسل فى هذه الخيالات أمام سفينة مصنوعة من البروتز وهى راسية بقرب رصيف الميناء إذ به يرى مفتش البوليس الهولندى « بانيكامب » يتقدم نحوه مادا يده بالسلام فسأله قائلا : —

— هل كشفت شيئاً له أهمية أثناء تفتيش سفينة المقاول أوستنج ؟

— أن هذا التفتيش كان فقط من باب أستيفاء الإجراءات ولم يكن مقصوداً لشىء خاص بالجريمة ولم نجد شيئاً يمكن أن يكون ذا أهمية إطلاقاً .

— وهل تتهم المقاول أوستنج بأن يكون هو الفاعل ؟

— المسألة فيما نظر إذا تدبرنا موضوع الكاسكيت تعلقه التى وجدت بحوض الاستحمام بمنزل القتيل .

— وموضوع عقب السيجار أيضا كما يلوح لك طبعاً .

— لا أرى ذلك لأن المقاول أوستنج لا يدخن سوى صنفا من السيجار البرازيلى بينما أن عقب السيجار الذى وجد بمنزل القتيل من نوع « المانيلا » .

— وهل أنت واثق تماماً مما تقوله الآن ؟

وبدلا من أن يجيب مفتش البوليس الهولندى هذا السؤال فوراً قام بسحب الضابط من ذراعه برفق هامساً فى أذنه بأنه من المستحسن أن يبتعد معه قليلا عن رصيف الميناء حتى لا يكونا تحت أنظار المقاول أوستنج الذى كان فى ذلك الوقت واقفاً على ظهر سفينته يدخن غليونه المصنوع وعاءه من الصينى وبعد أن سارا مسافة غير قليلة قال مفتش البوليس الهولندى :—

— لقد وجدنا بسفينة المقاول رجلاً بحرياً منقوشاً بأسم سفينة بحرية فنلندية كما وجدنا أن العوامات المعدة للانقاذ أصلها تابعة لإحدى ناقلات الفحم الحجرى التى تأتى لميناء دلفزايل وهناك أدوات كثيرة أخرى بالسفينة تقطع بأنها كلها كانت تابعة لسفن كثيرة أخرى .

— هل معنى ذلك أنك تتهم المقاول بسرقة هذه الأشياء ؟

— كلا وإنما الأمر فى ذلك يتلخص فى أن كثيراً من بحارة السفن الأجنبية التى تزور ميناء دلفزايل من وقت لآخر اعتادوا إختلاس بعض الأدوات من السفن التى يشتغلون بها ويقدمونها للبيع هنا ويدعون أمام أصحاب السفن أن هـــذه الأدوات قد فقدت بسبب أشتداد الأنواء على السفينة فى يوم كانت فيه الرياح شديدة وعاصفة أثناء سيرهم فى عرض البحار أو يدعون أن بعض هذه الأدوات قد فسدت وأصبحت غير صالحة مثل الأجهزة البحرية كالبوصلات والبراجل وغيرها أو يدعون أسبابا أخرى لستر سرقتهم لهذه الأدوات واليهودى الذى رأيت متجره بجوار رصيف الميناء هو الذى يشترى من هؤلاء البحارة الأجانب ما يقدمونه من هذه الأدوات التى أخذوها من سفنهم تحت ستار مختلف المعاذير ثم يقوم هو بدوره ببيعها لأمثال المقـــاول أوستنج وخلافه بربح طبعاً قد أمكنه أن يدر معيشته عن طريق هذه التجارة السوداء .

— هل تقصد بذلك أن ليس هناك سبب قانونى يمكن الاستناد إليه لتوجيه تهمة السرقة أو الاشتراك فيها للمقاول أوستنج ؟

— المسألة ليست متعلقة بالنصوص القانونية ولكن الأمر فى نظرى يقوم على أنه من الصعب تقديم أدلة الإثبات الكافية لتوجيه هذا الاتهام

— ربما كان الأمر كما تقول ولنعد الآن إلى موضوعنا الأساسى فهل لك أن تدلى لى ببعض ما كشفته أثناء تحقيقاتك فى الحادثة ؟

ولم يكن مفتش البوليس الهولندى على استعداد لأن يحقق رغبة زميله الضابط الفرنسى لأنه كان يسرد ما قاله للضابط وكأن هذا الأخير ينتزع منه الكلام انتزاعاً وفى النهاية أجاب قائلا :—

— لقد قلت لك أن الآنسة بيتشى ليفين لم تعد عقب انتهاء السهرة بمنزل الفقيد نوآ لمنزلها لأنها عادت على أدراجها فى الطريق المؤدى لمنزلها

— نعم أذكر ذلك . ثم ماذا ؟

— قد يحتمل أن لا تكون هى التى أطلقت الرصاص على الفقيد .

— آه !

— لقد قال لى أحد العمال الذين يشتغلون بقطع أخشاب الأشجار التى فى الغابات بأنه رأى فى إحدى الليالى الفقيد والآنسة بيتشى سوياً فى جلسة بعيداً عن الأنظار فى تلك الغابة الصغيرة القريبة من منزل آل ليفين .

— طبعاً كانت تلك طريقة الحبيبين عندما يريدان اللقاء سوياً .

— طبعاً واعتقد أيضاً إن هناك شخصيتين أخريتين تتصلان بهذا الوضع فهناك أولا الطالب كورنيليوس وقد كان يريد الزواج من الآنسة إذ وجدنا صورة شمسية لها بمخدع نومه بالسفينة المدرسية .

— هذا مهم جداً !

— وأما الشخصية الثانية فهى المزارع ليفين والد الآنسة بيتشى وهو رجل من المرموقين هنا ويقوم بتربية الأبقار الهولندية ويتجر بتصديرها للبلاد الخارجية وهو أرمل وليس له أولاد سوى هذه البنت .

— هل يمكننى أن أعتقد بأنه من المحتمل أن يكون هو القاتل ؟

وكان وقع هذا السؤال فى نفس مفتش البوليس الهولندى شديداً كما بدا ذلك على وجهه بشكل آثار إشفاق الضابط الفرنسى والواقع أنه ليس من السهل على مثل المفتش الهولندى أن يزج باسم أحد المواطنين ذوى المكانة فى مثل هذا الأفتراض ولهذا بادر فأنتحى بالضابط ميجريه إلى ناحية مهجورة فى الطريق لما وصل الحديث بينهما إلى هذا الحد الخطير فى نظره وأجاب قائلا :—

— ربما كان الأمر كما تقول لو كان الأب ليفين قد رأى بنفسه الفقيد وهو مختلس تلك الجلسة البعيدة عن أعين الرقباء مع أبنته — وأرجوك أن تعتبر كلامى هذا سراً بينى وبينك فقط .

— وما دخل الطالب كورنيليوس بارتز فى الأمر ؟

— ربما يكون هو بدوره أيضاً قد رأى تلك الجلسة ودفعته طبعاً غيرته إلى ارتكاب الجريمة التى وقعت ولكن الأمر الذى تحيرت فيه هو أنه قد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن الطالب كورنيليوس، قد آوى إلى مخدعه

بالسفينة المدرسية فى تلك الليلة بعد خمس دقائق عقب وقوع الجريمة !

— أرى تلخيص الموضوع بأنك تشك فى كل من المزارع ليفين والطالب كورنيليوس وأيضاً تشك فى المقاول أوستنج بسبب الكاسكيت الخاصة به والتى وجدت بحوض الاستحمام بمنزل الفقيد ومن جهة أخرى يعتقد أنهامك أيضا لشخص مجهول وهو صاحب عقب السيجار الذى وجد ليلة الحادثة بمنزل الفقيد ولهذه المناسبة هل لى أن أعلم منك كم عدد تجار السيجار فى دلفزايل ؟

— خمسة عشر .

— هذا عدد ضخم يصعب معه أن نجد فى سبيل السير فى التحقيق معهم ما يمكننا من الوصول لأية نتيجة — ثم بالطبع يشمل إتهامك أيضاً الأستاذ جان ديكاوس ؟

— نعم لثبوت وجود المسدس الذى أستعمل فى الجريمة بيده كما نعلم ولهذا السبب منعته من مغادرته البلدة هنا .

وتابعا سيرهما سوياً وهما صامتين يفكران جدياً وبعد سيرة خمسين متراً تقريباً التفت المفتش إلى الضابط وقال له :—

— ما الذى إمكنك تحديده من رأى فى الحادثة ؟

— الأمر يازميلى وما فيه أن هناك فارق كبير بيننا حتى الآن فبينما أراك قد أمسكت بخيط أو عدة خيوط قد تؤدى إلى النتيجة

المنشودة أراني الآن أكاد أكون صفر اليدين ولهذا لست أدرى إن كانت لدى أية فكرة صحيحة يمكننى أن أدلى بها إليك فى الحادثة — ثم سأل الضابط ميجريه بدوره زميله المفتش الهولندى قائلا :—

— هل بين المقاول أوستنج والآنسة بيتشى أية علاقة ؟

— الواقعة اننى أجهل بالضبط ذلك .

— وهل بين المقاول المذكور والطالب كورنيليوس أتصال وثيق ؟

— ربما ولا يمكننى الجزم بشىء .

— إذن يحسن أن نسير غور هاتين المسألتين .

— وهل تظن أن ذلك قد يفيد التحقيق فى القضية ؟

— ربما كان الوقوف على هذه المعلومات مفيداً . ولى سؤال آخر وهو عما إذا كنت تستطيع إفادتى بوجود جهاز لاسلكى بجزيرة فيركوم من عدمه .

— هذه مسألة لم تخطر لى على بال إطلاقا .

— إذن أرجو أن تبحث هذه النقطة أيضاً .

وأنتهت على ذلك هذه المقابلة بين رجلى البوليس الفرنسى والهولندى بما يمكن أن يقال معه بأن الأول لعب فيها دور الرئيس والثانى دور المرؤوس الذى كان يستمع لما يلقى إليه من تعليمات ليقوم بتنفيذها وأنصرف

الضابط الفرنسى مستأذناً من زميله الهولندى الذى أظهر له من ضروب التأدب ما أثار عطفه عليه فلم يشأ أن يتركه بعينين تتساءلان عن الوجهة التى يقصدها ولهذا أخبره بأنه ذاهب لمقابلة الآنسة بيتشى وطلب إليه أن يدله عن أقرب طريق وكان ذلك كما أخبره المفتش الهولندى عبر شاطىء قناة الأمستروديب .

الفصل السادس

المخطابات

وسار الضابط الفرنسى متجهاً صوب منزل المزارع ليفين ولكنه بدلا من أن يسلك الطريق المحاذى للقناة سار بدون قصد فى الطريق المخترق الأراضى الزراعية فتذكر أول زيارة قام بها فى أول يوم جاء فيه للفزايل لهذا المنزل وقد كانت الشمس فى هذه المرة كما كان الحال فى المرة الأولى مشرقة والسماء صافية وصرت فى مخيلته تلك الصورة الأولى التى أنطبعت فى ذهنه عند زيارته المرة الأولى عن الحياة الريفية الهولندية ممثلة فى شخص الآنسة بيتشى كبنت فلاحة بكل معانى الكلمة ولكنها متسربلة بملابس نظيفة عصرية وتراعى دائماً أن تضع فى قدميها ذلك الحذاء الطويل الأسود ذو النعل المصنوع من المطاط ليقيها الرطوبة والأوحال فى تنقلاتها بالغيطان أو باسطبل المواشى ثم ذلك المنزل الريفى الأنيق وما حوته غرفه من أثاث وإن كان يبدو بسيطاً إلا أنه قد روعى فيه حسن الذوق والأنسجام الفنى ولما أقترب من المنزل راعه ذلك السكون المرفرف حوله وجال ببصره فإذا به يكاد يتصور أنه أمام صورة زيتية بديعة رسمتها

يد رسام فنان حيث تظهر فيها تلك الغيطان التى يغطيها الحشيش الأخضر والتى تمتد إلى آخر ما يمكن أن تراه العين حيث تقوم فى نهايتها أشرعة المراكب البيضاء المتحركة فى سيرها عرض البحر مما يوحى للعين بأن هذه المراكب كانت تسير فى محيط من هذا النبات الأخضر السندسى .

وما وقف بباب المنزل حتى بادر الكلب الحارس بهجومه عليه وراء البوابة ينبح بشدة ويكشر له عن أنيابه وبعد بضعة دقائق مرت على قرعه الجرس الموجود بواجهة بوابة المنزل حتى حضرت الخادمة وفتحت الباب فتحة صغيرة بدا منها وجهها الوردى وظهرت متدثرة بزنار نظيف ملون بمربعات جميلة وحاول الضابط مخاطبتها ببعض ما أمكن أن يتلقفه من العبارات الهولندية ومستعينا طبعاً بالإشارة وهو يردد إسم الآنسة ليفين لتفهم الخادمة إن كان فى مقدوره مقابلتها وقد كان حظه طيباً لأن الخادمة هزت رأسها علامة النفى وردت عليه بالهولندية بما أمكنه أن يفهم منه بأن الآنسة غير موجودة بالمنزل فعاد الضابط يسأل عن إمكان مقابلة المزارع ليفين مردداً كلمة السيد بالهولندية «Mijnheer» فصمتت الخادمة برهة ثم تراجعت بعد أن أحكمت قفل الباب فى وجهه ولكنها فتحت كوة صغيرة بالباب لبثت تنظر إليه منها كمن يراقب ما سيفعله بعد ما أشعرته بعدم إمكانه تحقيق رغبته فى المقابلة التى كان يرجوها وفقه الضابط لهذا التجسس عليه فأزدادت شكوكه ولم يبرح مكانه من الباب مباشرة بل لبث يتطلع إلى نوافذ المنزل المطلة على الحديقة الكائنة وراء البوابة

ولقد صدق ظنه إذ أبصر إحدى الستائر التى تحجب إحدى النوافذ بالغرفة التى يذكر أنها هى الخاصة بالآنسة بيتشى تتحرك ورأى وراء زجاج النافذة وجه الآنسة بيتشى فى الفجوة التى أنحرف عنها الستار وإذا به تشير إليه أشارات فهم منها إنها حبيسة غرفتها لا تستطيع الحضور إليه وأنه يجب أن يحترس نفسه بل والأولى به أن ينصرف بسرعة .

فقفل الضابط راجعاً إلى البلدة متخذاً هذه المرة الطريق المحاذى لشاطىء القناة وهو يفكر فى الأمر تفكيراً عميقاً يدل عليه كثرة الدخان المنبعث من غليونه الذى كان يشد فيه التبغ بنهمة فى نفخات طويلة متلاحقة وبعد قليل وجد نفسه أمام منزل آل بوبنجا ورأى خادمة المنزل منهمكة فى غسيل عتبة باب المنزل الذى كان مفتوحاً وأقترب منها بحيث لم تشعر به إلا وهو واقفاً وراءها يسألها عن سيدتها وأرادت الخادمة وهى ممسكة بقطعة القماش التى كانت تستعملها فى تنظيف وغسيل عتبة الدار أن تدخل لتعلن الأمر لسيدتها ولكنها ترددت قليلا بسبب عدم أستعدادها فما كان من الضابط إلا أن سبقها ودخل من الباب متجاوزاً إياها وسمع فى ذلك الحين صوت رجل يدوى فى الدهليز المؤدى إلى غرفة الأستقبال فدق دقات خفيفة بزر الجرس المثبت بجوار الباب الزجاجى الفاصل بين باب المنزل وهذا الممر فأنقطع فجأة كل حديث وسكت كل صوت ولبضعة دقائق ساد سكون رهيب أختفت فى أثنائه كل حركة بالمنزل ولقد تكشف الأمر للضابط لما صار فتح هذا الباب الزجاجى بعد قليل

وكان الشخص الذى ساعد على جلو الموقف هو الآنسة آنى أخت السيدة حرم القتيل التى لما أبصرت الضابط واقفاً بالباب علا وجهها ذهول ودهشة وما عتم الضابط أن داف إلى ردهه الأستقبال فرأى مصدر هذا الصوت الداوى وكان للمزارع ليفين الذى وقف مسنداً ذراعه إلى الحافة الرخامية للموقد المثبت بالحائط وهو ينظر إلى كومة من الخطابات وضعت بشكل متناثر على على المنضدة التى كانت تتوسط هذه الغرفة وألقى الضابط بصره على أحد الخطابات فوجده مذيلا باسم القتيل « كونراد » وكانت السيدة بوبنجا واقفة بجوار المنضدة فلما دخل الضابط بادرت بالخروج من الغرفة وكان ظاهرا على محياها آثار الآلام النفسانية الشديدة وبادر الضابط قائلا : —

— أرجو المعذرة إذا كنت قد حضرت دون سابق موعد كما اعتذر لما سببته من قطع حديثكم — فلم يرد عليه أحد وإنما رأى المزارع ليفين يوجه الكلام بالهولندية طبعاً إلى الآنسة آني بما فهم منه أنه يرمى لإظهار تقززه من مسلكه وإضطر الضابط أن يسأل الآنسة آنى عما يقوله المزارع فأجابت : —

— أنه يقول بأنه سيخرج ليعود فيما بعد وأن البوليس الفرنسى ...

وهنا أتم الكلام الضابط قائلا : —

— له طرق شاذة مخالفة للذوق السليم ولكن أرجو أن تقولى

له بأن الأمور سارت على غير قصد منى وإننى أكرر أسفى مرة أخرى وأقول لك بأن ليست هـذه المرة الأولى التى أتشرف فيهـا بمقابلة المزارع ليفين الذى أراه قد أحضر لـكما الخطابات التى كتبها الفقيد بوبنجا لأبنته الآنسة بيتشى .

فارتسمت على قسمات وجه الآنسة آنى أمارات الدهشة الشديدة وسألت الضابط كيف أمكنه أن يقف على هـــذه المعلومات فأجابها مفسراً لهـا فى بساطة متناهية ما يمكن لـكل إنسان أن يستنتجه لو كان مثله قد زج بنفسه فى هذا المشهد الذى تنطق كل حرف من حروف وقائعه بهذا التفسير الواضح والواقع أن حدس الضابط الفرنسى قد تحقق كاملا إلا أنه أخطأ فى شىء واحد ذلك أنه اعتقد أن السـيدة بوبنجا هرولت مرتاعة خارج الغرفة تحت تأثير الصـدمة النفسانية التى تلقتها أثر سرد هـذه الخطابات أمامها إذ الحقيقة أنها عادت إلى الغرفة فى ثبات وبشكل رزين وألقت على المنضدة ما كان بيـدها وهى رزمة خطابات زرقاء اللون مكتوبة بخط يدل على أن صـاحبته سـيدة — وكانت تلك الخطابات هى لرسائل التى بعثت بها الآنسة بيتشى إلى الفقيد بوبنجا .

والحق يقال أنه بمقارنة مقـدار الرسائل لـكل من الفقيـد والآنسة بتشى يتضح أن الأخيرة قد أرسلت للأول ثلاثة أمثـال ما تلقته منـه

فإنه وإن كان قد مات واختفى عن الوجود فإن موته لم يدفن معه أسراره وأصبح معلوماً بعد موته ذلك التلاقى بالغابة القريبة من منزل آل ليفين مع حبيبته الآنسة بيتشى ومر تلك العلاقة بينهما كما دلت عليه الرسائل المتبادلة بينهما .

وطلب الضابط من الحاضرين أن يهدأوا من روعهم وأشار إليهم بأن الواجب يقضى فى الظروف الحالية بفحص هذه الرسائل ولم يسع المزارع فى هذه المرة إلا أن يذعن لهذه الرغبة التى فهم القصد منها وطلب الضابط من الآنسة آنى أن تقوم بترجمة أحد خطابات بوبنجا الموجهة للآنسة بيتشى ولكنها تلكأت قليلا فى القيام بهذا العمل فقامت السيدة بوبنجا وأمسكت بأحد هذه الخطابات وقالت : —

— هذه الرسالة مكتوبة على ما أرى بالسفينة المدرسية ولم تكن مؤرخة وها هو نص ترجمتها : —

« عزيزتى المدللة بيتشى

يحسن بك ألا تحضرى هنا الليلة لأن المدير العام للمدرسة سيحضر لتناول الشاى معى بالمنزل فإلى الغد قبلاتى »

ثم اختارت السيدة بوبنجا رسالة أخرى بحزم وسكون تام وقامت بترجمتها بكل تؤدة قائلة : —

« جميلتى بيتشى الدللة

اسمحى لى بأن أقول لك بأنه يجب عليك أن تهدئى من روعك فالفرص أمامنا لا زالت كثيرة ولست أدرى لماذا تأخذين أعتذارى عن عدم التمكن من اللقاء سوياً بأن حبى لك قد أخذ فى الفتور فإننى لا أستطيع الحضور إليك هذه الليلة لأنشغالى بالأمتحانات المدرسية وإنك لتعلمين جيداً أننى لا أستطيع الأستغناء عن وظيفتى إذ لا أدرى ماذا سأصنع إذا فعلت ذلك وأذن فيجب عليكى أن تتجملى دائماً بالصبر فلا زال أمامنا متسع من الوقت وختاماً أرسل إليك قبلاتى مملوءة بحبى الولهان » .

وبينما كان الضابط الفرنسى يظهر رغبته فى الأكتفاء بما تمت قراءته وترجمته من رسائل الفقيد إذ بالسيدة بوبنجا تصر على ضرورة قراءتها لرسالة أخرى قالت عنها بأنها على ما يظهر آخر رسالة وجهها الفقيد لحبيبته قبل وفاته ونص ترجمتها كالآتى : —

« حبيبتى بيتشى

أن ما ذكرتيه لى مستحيل على أن أقوم بتنفيذه وأنى لأضرع إليك أن تكونى أكثر تقديراً للعواقب ولا شك عندى أنك تعلمين تماماً أنى لست غنياً وأنه لا بد من مرور وقت طويل قبل أن أجد بالخارج عملاً التحق به إذا قمت بترك وظيفتى الحالية ولهذا أرانى محقاً إذا طلبت إليك أن تكونى أكثر تقديراً للمسئولية وأن لا تتركى الانفعالات النفسانية تطغى على إنزانك أو تزهق روح الثقة المتبادلة بيننا وأنى أكرر القول لك بأن لا يمر بخاطرك

أى تخوف لأنه إذا حدث ما تخشين وقوعه فانني على أستعداد لأن أقوم بواجبي فى هذه الحالة وأعتذر إليك إذا أجلت القول فأنى أشعر بالقلق يساور نفسى لا سيما وأمامى الآن من الأعمال ما ينوء به عاتق دون أن أستطيع إنجازها كلما فكرت فيك حتى أن المدير العام قد وجه أخيراً لى تأنيباً على تأخيرى فى إنهاء ما أنا مكلف به وقد كان لذلك أثره الشديد فى نفسى طول الوقت وسأعمل جهدي للأنصراف من المنزل باكر مساء مدعياً إضطرارى لمعاينة إحدى السفن النرويجية بالميناء فإلى الملتقى بين ذراعى ياحبيبتى بيتشى »

وكأن قراءة هذا الخطاب قد كان من أثره أن جمد الدم فى عروق السيدة بوبنجا فأضحت كالتمثال الميكانيكى « Robot » تتحرك دون أن يظهر على وجهها ما ينم عما يختلج بقلبها من الآلام وتحركت يدها بشكل آلى نحو كومة الرسائل الأخرى الخاصة بالآنسة بيتشى بينما كان وجه المزارع ليفين قد فارقه اللون الوردى وتلون بلون أصفر فاقع دليل على غضبه المكبوت وأنتقت السيدة بوبنجا أحدى هذه الرسائل وشرعت فى ترجمتها بالآتى : —

« حبيبي كونراد

دعنى أزف إليك خبراً ساراً جداً فلقد أودع والدى بأسمى لمناسبة عيد ميلادى مبلغ ألف فلورين لحسابى بالبنك وهذا المبلغ يكفى لتغطية نفقات السفر لأمريكا الجنوبية طبقاً للأسعار التى قرأتها أخيراً بالجرائد وعلى ذلك يمكننا سوياً أن نغادر هولندا إلى هنالك بالدرجه الثالثة ولكن الذى يحير

حقاً أن رغبتك فى السفر للخارج غير ملحة بينما أرانى أصبحت لا أطيق صبراً لأننى أشعر بأننى أختنق باستمرار وجودى هنا لا سيما وإنى أرى عيون الناس ترمقنى باحتقار بالرغم من أننى سعيدة حقاً بأن أرى نفسى ملكاً لرجل مثلك — والواجب يقضى علينا بأن نغادر هولندا بغير رجعة بأقرب فرصة لأن أبى مصمم على أن يقضى أجازة الصيف القادم بسويسرا الأمر الذى لا أريده إذا أصر على أخذى معه لأن ذلك سيحرمنى من وجودى بقربك دائماً فإذا لم يمكن سفرنا سوياً للخارج فى فصل الصيف القادم فلا بد من إبرام النية على تنفيذ ذلك فى فصل الشتاء الذى يليه وأننى أرى فى ذلك أمراً لازما ويجب العمل على تحقيقه سريعا وسريعا جداً ومنذ الآن أقوم بدراسة اللغة الإنجليزية واشتريت كتبا فى هذه اللغة لهذا الغرض وأشعر أننى أتقدم فى فهم هذه اللغة بشكل حثيث — وأعود مرة أخرى فأقول أنه يجب عليك أن تعقد العزم حقا على السفر للخارج سويا لا سيما فى الظروف الحاضرة لأنى أشعر أن زوجتك بدأت تشك فى الصلة بينى وبينك إذ تراءى لى شيئا من البرود والمعاملة الجافة منها نحوى أخيراً كما لا تنسى أن الطالب كورنيليوس يلاحقنى بقصد زواجه بى ولا أستطيع أن أوقفه عند حده وأرفض مصاحبته حتى لا تزداد الظنون حول علاقاتنا سويا وفى ذلك جرح كبير لكرامتى وإحساساتى ويؤلمنى أن أدع هذا الطالب يسترسل فى أمانيه لأن مصيرها عندى كما تعلم إدراج الرياح مع أن الطالب المذكور من عائلة طيبة وذو ثقافة عالية ولكنى لا أستطيع الزواج

به لأننى أراه كالأبله وهو ليس مثلك ياحبيبى كوتراد — فإنى أراك رجلا بمعنى الكلمة لأنك رجلا جاب الكثير من أقطار الدنيا فوقف على كل شىء من أسرار الحياة ولا زلت أذكر المرة الأولى منذ سنة الآن اذ قصدت الوقوف فى طريقك مراراً أثناء ذهابك لمقر عملك لكى أستلفت نظرك دون أن أتجح فى مبدأ الأمر لأن تمسكك الشديد بالتقاليد التى يقتضيها مركزك الرسمى كان مانعاً لك من أن تلقى لى بالاً إلى أن جاء اليوم الذى سعدت فيه بأن أراك أنك أصبحت لى وإننى أصبحت لك ومن يعلم فربما سأنجب لك عما قريب ولداً ولكن ليس بمقدورى أن أقول ذلك على وجه التأكيد وعلى كل حال أستطيع أن أحقق هذه الأمنية إذا أردت ذلك ولا يردنى عن هذه السعادة سوى إنى أراك غير متحمس لها فهل يا ترى أخذت جذوة نار حبك تخبو أم ماذا ؟ »

وفى هذه اللحظة تغير صوت السيدة بوينجا تغيراً محسوساً إذ أخذ صوتها يخفت شيئاً فشيئاً حتى كاد يختفى تماماً فى حنجرتها وألقت بالخطاب سالف الذكر على المنضدة دون أن تكمل قراءته للنهاية ولكنها عادت بحركة آلية فالتقطت بأصابعها رسالة أخرى مترجمة بالتالى :

« إنى أصبحت أعتقد أنك تحب زوجتك حباً يفوق حبك لى وإنى لأشعر بالغيرة تأكل صدرى وأصبحت أكره زوجتك كل الكره وإلا فبالله عليك إذا قلت إن الأمر على خلاف ذلك فلماذا ترفض السفر معى إلى الخارج ؟ لقد تطايرت الإشاعات بأن الطالب كورنيليوس الطالب أصبح

مغرماً بزوجتك وأن حبه لها لا يدانى ما يظهره من حب لى وأنهما على اتفاق تام بينهما فيما ستؤول إليه العلاقة بينهما وأرى أن الأمر لو صح فأظن هذا يريح قلبك ويزيح الهواجس عن صـــدرك لتصبح لى وحدى قلباً وقالباً » .

وسكتت فجأة السيدة بوبنجا إذ سقطت من يدها هـذه الرسالة على السجادة عند قدمى الآنسة آنى التى كانت تنظر إليهـا دون أن تعمل على التقاطها وكانت السيدة بوبنجا فى وسط الصمت التام الذى ساد الحضـور للمرة الثانية فريسة لألام نفسانية مكبوتة دون أن تستطع مخرجاً لها ولو عن طريق البـكاء لأن عينـاها لم تساعداها فلم تذرفا دمعة واحدة ويلوح أن ذلك راجع إلى انهيار أملها فيما كانت ترجوه من إحضار الرسائل التى كتبتها الآنسة بيتشى لزوجها لـكى تدافع عن زوجها الفقيد إزاء الهجوم الذى قام به المزارع ليفين لمـا إحضر لها رسائل زوجها لابنته وكانت تلك شجاعة منها لاتقدر ولم تستطع إزاء ذلك إلا أن يسألها قائلا : —

— متى وجدت هذه الرسائل ؟

— فى اليوم التالى لتلك الليلة المشئومة التى لاقى فيها كونراد حتفه . وأختنق صوتها بعبراتها ولم تستطع تـكملة عبارتها التى فهم الـكل مراميها طبعا وقد نظر إليها الضابط بعين فاحصـة فتبين له أنها سـيدة كاملة بمعنى الـكلمه وأن كانت على جانب من الجمال غير كبير ولـكنها تمتاز بتناسق قسمات وجهها وجسمها غير المـكتنز عن أختها الآنسة آنى التى يمكن أن

يقال عنها بأنها دميمة الخلقة بجانب أختها السيدة بوبنجا التى كان يتوج رأسها شعر غزير يغطى وجهها الهولندى المستدير ذو اللون الوردى المقسم بطابع لطيف من اللاحة والحسن ومر فى ذهن الضابط خاطر سريع بشأن ما تشعر به هذه السيدة فى حالتها الراهنة أذ أنه يرى بأنها تود لو كانت غير مليحة لكى تأتلف نفسيتها الرزينة بما يعفيها من أن تلقى مصيرها الحالى المكتنف بالشجون والأحزان فقد ولدت وعقلها أكبر من سنها ومن المرجح كثيراً أنها كانت فى السادسة من عمرها طفلا لا كباقى الأطفال الذين تبهج نفوسهم الدعابة وتغريهم نفائس الدمى ومختلف أدوات اللعب فينغمسون كل الأنغماس فى المرح والسرور . ولا شك أن السيدة بوبنجا ما بلغت سن الحلم حتى إكتملت أنوثتها مكتسية بثوب من الجدية والرصانة حتى يمكن أن يقال بأنها لم تتغير كثيراً فى هذه السن المبكرة عما عليه الآن بعد أن بلغت ما ينوف عن الثلاثين سنة من عمرها وكانت من ذلك الصنف الذى ولد ليتخصص فى عمل الخير وحب الإنسانية فلم يكن مستغرباً أن ترى فيها تلك الشخصية التى تتميز بها السيدات اللاتى يزاولن فى حياتهن عن رغبة حقيقية أعمال الممرضات فى المستشفيات أو المهات والخالات اللاتى يقمن بتربية الأطفال أو سيدات الصليب الأحمر أو راهبات الأديرة . وتخيل الضابط ميجريه الفقيد كونراد وهو يعيش إلى جانب هذه الزوجة ذات الصفات الخيرية البعيدة عن الميل إلى الهزل أو المجون فكان يرى الفارق العظيم بين أخلاق كل منهما

ومقدار التباين بينهما فقد كان الفقيد على النقيض من زوجته دائم المرح ثم كل قسمة من قسمات وجهه عن شغف بالحياة المرحة الصاخبة وتنجذب روحه بسهولة تامة لما يعرض له من الملذات وما تحويه الدنيا من مختلف الشهوات ولكنه فى الوقت نفسه كان فريسة سهلة للبيئة التى يعيش فى وسطها وللمركز الرسمى الذى يحتله فى الهيئة الاجتماعية فكان يضطر للانطواء على نفسه خشية كشف الغطاء عن إسرار حياته الخاصة. فكم من ليالى قضاها بغرفة مكتبه رغم أنفه لا يجد ما يسليه سوى ما يسمعه من أنغام الموسيقى التى تصدر من الراديو عندما يحرك بأصابعه أزرار هذه الآلة يمتع أذنيه أما بأنغام «الجاز» بالمراقص الباريسية أو يصغى شغوفاً متحسراً إلى غناء غانيات بودابست أو أناشيد الفنانين بأوبرا فينا

وبعد قليل من الوقت أقتربت الآنسة آنى من أختها لتأخذ بيدها إذ رأتها فى حالة من أخذ به الضعف كل مأخذ ولكن السيدة بوبنجا تمالكت نفسها وأعتدلت قليلا متوجهة صوب الضابط وهو واقف وقالت فى صوت متهدج:ـ

— لم يدر بخلدى قط شيئاً مما وقفت عليه الآن منذ كنت أعيش إلى جانبه كالطفل البرىء فلما مات . . . . . وهنا بح صوتها شأن من كان مريضاً بمرض القلب والواقع أن الكلمات توقفت على شفتيها اللتين كانتا ترتعشان وفى حركة فجائية وضعت السيدة بوبنجا يدها على قلبها إشارة إلى مصدر الألم وفى هذه اللحظة تقدم الزارع ليفين إلى المنضدة مختطفاً رسائل أبنته بيدين مضطربتين كأنما يشعر أنه يقوم بسرقتها شأن من

يسلب حوائج أصدقائه عندما يولون ظهورهم له وقد تركته السيدة بوبنجا يفعل ذلك كما لم يكن هناك ما يدعو لأن يعترض الضابط ميجريه على ذلك ولكن المزارع ليفين أبى أن يغادر الغرفة نحو باب المنزل دون أن يخرج من فمه سيلا من العبارات الهولندية التى أستنتج الضابط ميجريه من ترديد كلمة « فرنسى » خلالها أنه كان يؤنب السيدة بوبنجا لعدم تحرزها فجعلت هذا الفرنسى الأجنبى يتدخل فى الأمور التى هى من أقدس القدسيات لدى أهل هولندا لأنها من الشئون العائلية التى هى لديهم من الأسرار الدفينة التى لا يجوز لمن كان أجنبياً عنها أن يقف عليها وبعد إنصراف المزارع ليفين ألتفت الضابط ميجريه إلى الآنسة آنى مخاطباً لها بلهجة حاول فيها أن يظهر كل رفق ولين بشكل أنكر على نفسه أن يكون بذاته قادراً على التحدث بمثل هذه الرقة أو حتى أصطناعها وقال :—

— هل سبق لك أن قمتِ بأطلاع أختك على هذه الرسائل ؟

— كلا ولم أطلع عليها من قبل وفقط لما مات كونراد قمت ....

— وأين كانت هذه الرسائل موضوعة ؟

— فى درج المنضدة بغرفة نومه ولم يسبق كما قلت أن لمستها وأظن أن الفقيد كان يضع فى هذا الدرج أيضاً مسدسه .

ولقد تعمدت الآنسة آنى أن تستمع الى السؤال بالفرنسية مع قيامها بالرد عليه بالهولندية حيث كانت تقوم أختها السيدة بوبنجا بدور المترجم

بينها وبين الضابط وزادت السيدة بوبنجا بأن قالت بالفرنسية للضابط : —

— لقد أشارت علىّ أختى آنى بأنه من الضرورى أن أنصرف لآوى لحجرة نومى لكى أحاول النوم أذ لم يغمض لى جفن حتى الآن منذ ثلاث ليال — لقد كان طيف زوجى ماثلاً أمامى بأستمرار وكنت ولا زلت أفكر فيه وأقول فى نفسى لو كان أكثر حرصاً على نفسه الرحلة التى لا تعرف فى الحياة إلا السرور والأنشراح لما ودع دنياه سريعاً إلى الأبد . ولقد كانت الآنسة بيتشى تتردد علينا كثيراً وتحضر معها بعضاً من الفواكه والثمار من أشجار الفاكهة التى تنبت بمزرعة أبيها بل وكانت تحضر معها أيضاً أحياناً مختلف الفطائر والحلوى التى تقوم هى بصنعها بيديها وكنت حسنة النية فيها فأعتقدت أن ذلك تقصد به شخصى أنا لا . . . آه ! وكانت الآنسة بيتشى تدعونى مع الفقيد زوجى لنذهب إلى ملعب كرة المضرب للعب سوياً والآن قد تفتحت عيناى فأذكر أنها تتخير لتنفيذ دعوتنا الأيام التى تعلم مقدماً أننى أكون مرتبطة فيها بمواعيد فى جهات أخرى ولكننى لم أفقه لهذا الوضع لأننى كنت واثقة فيها ثقة عمياء ولم يكن الشك ليساور قط قلبى آه — وأتذكر الآن أننى كنت ألححت على زوجى الفقيد أن يأخذ قسطه من الراحة بقضاء أجازة الصيف بباريس السنة الماضية وبحسن نية تامة دعوت الآنسة بيتشى لتكون معنا ولكن زوجى رغم تمسكى الشديد بوجودها معنا أصر على رفض ذلك وأصبح واضحاً لى الآن التفسير لأسباب رفضه فأنه لم يرد طبعاً أن أجبره

على أن ينزل بنفسه إلى الدرك الأسفل من النـذالة لأنه بالرغم من كل شيء كان لا يزال قلبه ينبض بالنبل والطيبة — والطيبة فى معدنه أمر لا يستغرب فأذكر مرة إن دفعته طيبته لأن يقوم بتصحيح أوراق الامتحان لبعض الطلبة لـكى يفوزوا بحسن النتيجة وترتب عن ذلك توجيه اللوم له من سلطاته الرئيسية وكان لهذا السبب أى بسبب طيبة قلبه المتناهية التى تدفعه لعدم التمسك بالتقاليد والحدود المتعارف عليها إن أبى كان لا يحبه كثيراً .

وأرادت السيدة بوبنجا أن تروح عن نفسها قليلاً أثر هذه الأنفعالات النفسانية فتشاغلت قليلاً بوضع أحد التماثيل الصغيرة فى مكانه المعتـاد ثم استأنفت كلامها بلهجة رزينة قائلة : —

— أنى أود من صميم قلبى أن تنتهى هـــذه المأساة التى لقيت من أدوارها المختلفة كل تعب ونصب بل وآلام نفسانية لا حصر لها أوَ ليس حقاً مؤلماً أن أعلم بأن جثة زوجى العزيز لم تودع قبرها حتى الآن لأسباب تتعلق بالتحقيقات الجارية كما تعرف ذلك ؟ يا ألهى أنك وحدك القادر بأن تنزل عقابك بالمجرم ! نعم الأمر موكول لله وحده وهى مسـألة بين الله والقـاتل وأما نحن وباقى البشر فلن نستطيع أن نعرف الحقيقة كاملة أو نفعل شيئاً !

ثم التفتت السيدة بوبنجا نحو باب الخروج الذى دلف منه المزارع ليفين منذ بضعة دقائق وصاحت فجأة : —

— هل تظن أن المزارع ليفين سيقتل ابنتـه ! أنه منتقم جبار وأنى

أخشى أن تلقى أبنته حتفها على يديه !

وظهرت على وجه الآنسة آنى علامات القلق بما كشف عن نفاذ صبرها لأن تستمع إلى كلام أختها الذى لا ترى من ورائه أية فائدة ملموسة ولهذا خاطبت الضابط قائلة : —

— وما هو أعتقادك ياحضرة الضابط ؟

— ليس عندى ما أستطيع أن أقوله بشكل حاسم فهناك مسألة الكاسكيت كما وأنك لا بد قد سمعت طرفاً من نظريات الأستاذ ديكلوس وآرائه فى الحادثة وأظن أنك ولا بد قد قرأت مؤلفات العالم المعروف فى العلوم الجنائية الأستاذ جروش Grosh الذى نوه عنها الأستاذ ديكلوس والتى يمكننى شخصياً أن أستخلص منها قاعدة مهمة وهى أن لا ينخدع المرء بما يبدو من أعتبارات نفسانية أمام تفكيره فى الجريمة فيضل طريقه عن الحقيقة بل يجب على المرء أن لا يحيد عما توحيه الوقائع المادية من أدلة — فأمامى الآن كما قلت من هذه الوقائع المادية فى الحادثة التى نحن بصددها مسألة الكاسكيت ثم هناك كذلك مسألة عقب السيجار والسؤال الذى يجب أن أسأل نفسى فيه هو هل كل من هاتين المسألتين يرتبط بشخص واحد كان بالمنزل أم أن هناك شخصاً قد تعمد وضعها من باب التضليل ؟

وهنا تدخلت السيدة بوبنجا مرة أخرى بشكل حازم قائلة : —

— أنى أعتقد أعتقاداً جازماً بأن المقاول أوستنج برىء من هذه

الجريمة كل البراءة وأرى من واجبى أن أذكر بعض الوقائع التى نسيت ذكرها — وأمسكت فجأة السيدة بوبنجا عن الكلام كأنما شعرت بخطورة ما ستقوله ولهذا بادر الضابط ميجريه يشجعها على المضى فى الحديث فحاولت التملص بمختلف المعاذير التى منها أن الأمر لم تكن له أية أهمية ولكن الضابط لم يترك هذه الفرصة تفلت من يده فأزداد إلحاحه عليها بشكل إضطرت معه السيدة بوبنجا أن تقول :—

— لما كان كونراد زوجى يذهب لصيد سمك القرش على شواطىء جزيرة فيركوم مع المقاول أوستنج كانت الآنسة بيتشى فى صحبتهما وطبعاً لا شك أنك تعلم أن البنات فى هولندا يتمتعن بقسط وافر من الحرية .

— وهل كان الفقيد يمضى فى هذه الرحلات وقتاً طويلا يضطر معه للمبيت بالجزيرة .

— نعم أحياناً كان يضطر للمبيت ليلة وأحياناً ليلتين .

وألقت السيدة بوبنجا رأسها بين ذراعيها وهى تشهق بالبكاء قائلة أنه لكثير عليها أن تتحمل كل ذلك لأن الأمر يتعلق دائماً بما يدعوها للتفكير فى زوجها العزيز الذى فقدته بين عشية وضحاها وتقدمت الآنسة آنى فوضعت يدها فى خصر أختها داعية لها لأن تأوى إلى مخدع نومها .

الفصل السابع

وليمة بفندق فاندرهاسلت

ولما عاد الضابط ميجريه الى الفندق رأى أن شيئاً غير عادى كان يجرى فيه إذ وجد ثلاثة عمال صار أعدادها بوسط غرفة الطعام حول منضدة كبيرة غطيت بأحسن فرش وصار وضع ثلاثة أكواب من البلور مختلفة الأحجام أمام كل مقعد من المقاعد الثلاثة وقد جرت العادة فى هولندا إن يفعلوا ذلك كلما أرادوا الحفاوة بمن يدعونه لتناول الطعام. وما لبث الضابط ميجريه بقاعة الطعام حتى رأى زميله مفتش البوليس الهولندى مقبلا عليه مرحبـــاً وعلى شفتيه إبتسامة ذات مغزى كأنه يشير الى ما أعده من مفاجئة سارة لصاحبه .

وكان المفتش المذكور مرتديا ملابس السهرة يبدو فيهـا قميصه بياقة عالية عريضة وقد حلق ذقنه وصف شعره لدى الحلاق قبل أن يحضر للفندق منذ زمن يسير لأن رائحة العطر المنبعث من شعر رأسه كانت تملأ أرجاء القاعة وجاء وراء مفتش البوليس الهولندى الأستاذ جان ديكاوس وقال الأول :—

— أرجو أن تلتمس لى يا زميلى العزيز العذر لأننى لم أخبرك مقدما بهذا الاجتماع سويا أذ فى الواقع أننى كنت أود أن أدعوك لتناول الطعام بمنزلى

ولكن كما تعلم أنني أسكن مدينة جرونتج فضلا عن أنني أعزب ولهذا رأيت أن أدعوك لوجبة الغذاء الآن بالفندق هنا وقلت في نفسي مادام الأستاذ ديكاوس هو مواطنك فأنك تسر طبعاً بوجوده معنا .

— نعم هذا لا شك فيه واسمح لي بالذهاب الى المغسل لكي أغسل يداي

ولم يكن المفتش الهولندي ينتظر من الضابط الفرنسي تلك السهولة في قبول دعوته سريعا كأن الأمر لاشيء فيه يدعو للاستغراب وفي الحقيقة قد رأى الضابط الفرنسي أن يتعمد عدم الالتفات لكل ما يدور حوله حتى لم تظهر على وجهه أية حركة يمكن أن تصور نفسيته أو اهتزازه للضوضاء المنبعثة من الطبخ بسبب رفع الأطباق المختلفة ووضعها ولما عاد الضابط ميجريه من المغسل ليأخذ جلسته على منضدة الطعام المعدة رأى مفتش البوليس الهولندي يصب في أحدى الكوبات المخصصة له نبيذ «البورتو» الفاخر وهو يقول :ـ

— هكذا كما في فرنسا إليس كذلك ؟ بروسيث — أي في صحتك — يا زميلي العزيز وأرجو أن تقبل مرة أخرى عذري لأنه كان واجباً على أن أدعوك لهذه الوليمة قبل ذلك ولكن كما ترى كنت مشغل البال كثيراً لأشتغالي بالتحقيقات في الحادثة كما تعلم . وبهذه المناسبة هل يمكنني أن أعلم منك ما إمكنك الوقوف عليه حتى الآن من وقائع جديدة ؟

— لاجديد عندي يمكنني أن أقوله لك — ولقد ذكر ذلك الضابط متعمداً لأنه شعر في نفسه بأن المفتش الهولندي لابد أنه أسر في نفسه شيئاً سيقوله له في نهاية الطعام أن لم يكن في بدايته والواقع أن ما جال بخاطره قد تحقق هذه المرة أيضاً فأنه بعد تناول الحساء وطبقاً من الحلوى يعرف باسم «القديس إميليون»

لم يكن ليستسيغه الضابط وبعد تداول الأنخاب مرة أخرى بدأ المفتش الهولندى كلامه قائلا : ـ

— جرت العادة فى هولاندا إن لايشرب الناس الخمر أثناء الأكل ولكن بعد الانتهاء من تناول الطعام حيث يلتئمون جماعات يكرعون فيها قدحا صغيراً من النبيذ ويدخنون أثناء ذلك السيجار . كما جرت العادة أن لا يتناولوا شيئا من الخبز أثناء الأكل .

وفى أثناء كلامه كان ينظر نظرة طويلة إلى زجاجات النبيذ التى أحضرت بدلا من السكحول الوطنى الهولندى والى طبق الخبز الذى روعي إن يكون بكمية وافرة وكأنه يقول فى نفسه مزهواً بأنه يعتقد بأن ليس فى الأمكان أبدع مما كان وأن الأمر قد بلغ حد الأتقان والبهجة بما يتفق فى عقليته والذوق الفرنسى بحيث كان من المرغوب فيه أن يظهر المفتش بمظهر المرح والسرور الزائد وأن تسيل الخمر سيلا لتلعب بالرؤوس وبعد أن أحضر الخادم طبق اللحم الهولندى المعروف باسم « هيتشبوت » وفيه ترى قطع اللحم تسبح فى بحر من عصير الطماطم المطبوخ قال وهو يصطنع السرية فى حديثه مع الضابط : —

— لعل هذا الطبق يعجبك !

ولكن للأسف كان الضابط ميجريه فى واد غير الذى كان فيه المفتش لأنه أحس فى قرارة نفسه بأن كل هذا يخفى وراءه أشياء لم تتبين له بعد بشكل واضح وأن وراء الأكمة ما وراءها لا سيما وقد تبين للضابط إن هناك ثمة تفاهم خفى بين المفتش والأستاذ جان ديكلوس إذ رأى بعينى

رأسه إنه كلما قام المفتش الهولنـــدى بملأ كأس شرابه تطلع وقتئذ إلى الأستاذ ديكلوس ونظر إليه نظرة لايفهم مغزاها سواه وكان الأستاذ المذكور يجتهد فى أن يخفى الأمر عن الضابط حتى لا يلعب القدر فى عبه كما يقولون بأن كان محترساً فى جلسته حيث لبث داعماً مطأطأ الرأس مكتفياً بشرب المـــاء القراح بدلا من الخمر بحجة إنه يتبع نظاما صحياً خاصاً « Regime »

وأخذ المفتش الهولندى يكثر من الثرثرة فى مختلف المواضيع فبدأ يوصف جمال نساء دلفزايل شارحاً أهمية قناة « الأمس » من الوجهة التجارية ومنتقلا بعد ذلك إلى وصف مدينة جرونتج وجامعتها المشهورة التى كما قال يؤمها سنويا عدد كبير من العلماء والفلاسفة يفدون إليها من كافة أنحاء العالم ويقومون كل عام بإلقاء محاضرات علمية بهـا ثم إنتهى أخيراً بأن أعلن فى شىء من الزهو قائلا : —

— لا شك أنك تجهل يا زميلى العزيز بأن هناك واقعة جديدة قد حدثت فى التحقيقات التى إتولاها فى الجريمة .

— أصحيح ما تقول ! — كان هـذا هو الرد الذى تخيره الضابط الفرنسى منتظراً ما سيكشف عنه المفتش الذى أزداد زهواً فرفع كأسه بعد أن ملأه وملأ كأس الضابط ميجريه قائلا : —

— بروسيت — فى صحتك — يا زميلى العزيز بل وفى صحة إدارة

التحقيقات الفرنسية ! والآن يمكننى أن أقول لك بأن الغموض الذى كان يكتنف الجريمة قد زال وانكشفت لى الحقيقة كاملة .

— أحقا ما تقول ؟

— فى الساعة العاشرة صباح اليوم أُخطرت من مكتبى بأن شخصاً يريد أن يقابلنى شخصياً فهل تدرى من هو ؟

— الطالب كورنيليوس بارنز .

ووقعت أجابة الضابط فى نفس المفتش كالصاعقة أذ فتح عينيه بدهشة وقال : —

— كيف عرفت ذلك ! أظن قد أحاطوك علماً!

— لم يخبرنى أحد بشىء . وهذه مسألة سأشرحها لك فيما بعد وإنما أرجوك أن تخبرنى بما تم بينك وبين الطالب المذكور .

— لا شك أنك قد إدركت لأول وهلة لما شاهدت هذا الطالب أنه كثير الهواجس شديد الخوف وكثير الأنطواء على نفسه وقلما يتكلم فى أى موضوع بكثير أو قليل وقد قابلته وذكر لى باختصار أنه فى ليلة الحادثة لما خرج من منزل آل بوبنجا لم يذهب توا إلى مخدع نومه بالسفينة المدرسية بل إقتفى أثر الآنسة بيتشى التى خرجت مع أستاذه كونراد وطبعا كان ذلك منه بدافع الوقوف على ما يحصل بينهما لأنه كما تعلم يحب الآنسة بيتشى وقد غاظه كثيراً فى تلك الليلة أن رآها تراقص الفقيد وتتناول معه

الحمر وقد أستطعت إن أستدرج الطالب بمختلف الأسئلة وتبين لى أنه بعد أن مشى مسافة طويلة فى أثر أستاذه والآنسة بيتشى توقف فى سيره حتى رأى الفقيد راجعاً إلى منزله ولم يلبث حتى سمع إطلاق الرصاص وأعقبه رؤيته رجلا يهرب توا من المنزل صوب الغابة القريبة من منزل المزارع ليقين .

ولقد سمع الضابط ميجريه هذا الكلام دون إن تظهر على وجهه أية سمة مما أقلق مفتش البوليس الهولندى حتى أنه لجأ إلى ملأ الكؤوس وقرعها مع الضابط وهو يقول له أثناء أدلائه بالحديث سالف الذكر كلمته « بروسيث يا زميلى العزيز » كأنما أراد أن يهز مشاعر الضابط شيئا ما ولكن الضابط سأل بكل تؤدة قائلا : —

— أعتقد أن الطالب كورنيليوس قد أمكنه أن يصف لك هذا الرجل الذى رآه يهرب من منزل الفقيد عقب أطلاق الرصاص ليلة الحادثة!

— نعم لقد ذكر لى أن هذا الرجل كان مرتديا بذلة البحارة وقد إستنتجت من أسئلتى للطالب فى هذا الصدد أنه لا بد وأن يكون أحد البحارة الأجانب وقال الطالب فى وصفه أنه كان طويل القامة رفيع الجسم حليق الذقن والشارب .

— وأعتقد أيضاً أن السفينة التى جاء عليها هذا البحار الأجنبى قد غادرت تانى يوم الحادثة ميناء دلفزايل أليس كذلك ؟

— لقد بحثت الأمر جيداً من هـذه الناحية فتبين لى أن ثلاثة سفن أجنبية قد غادرت الميناء بعـد وقوع الحادث حتى الآن وأصبحت المسألة إذن فى غاية الوضوح فالقاتل أصبح لا محل للبحث عنه فى دلفزايل لأنه أجنبى من جهة ومن جهـة أخرى لا يخرج القـاتل عن كونه أحد البحارة الذين كان قد أتصل بهم الفقيد أثناء عمله بالسفن التى سافر عليهـا فيما مضى أثناء تجوله فى البـلاد فيما وراء البحار وربما كان قد أوقع عقاباً على هـذا البحار فى ذلك الوقت فحقد عليه وصمم فى نفسه على قتله عندما تتاح له الفرصة المناسـبة

وما أتم مفتش البوليس الهولندى كلامه حتى سـاد حلقة المجتمعين برهة من الزمن صمت شامل وكان جسم الأستاذ ديكلوس دائم الحركة يميناً ويساراً كيفما أتجهت عينا الضابط ميجريه نحوه كمن يتلقف ماذا سـيقوله الضابط ولم يلبث مفتش البوليس الهولندى قليلا حتى أومأ للسيدة فان هاسلت صاحبة الفندق التى كانت وقتئـذ جالسة على منضدتهـا تعد النقود التى دخلت خزينتها من إيرادات الفندق وكان من أثر ذلك أن أحضر الخادم زجاجة فاخرة من النبيـذ الفرنسى الممتاز لا سيما وقد صـاحب ذلك وضع طبق الحلوى الحاوى فطيرة دسمة محلاة بالسكر الممزوج ببعض الفـاكهة والمغطاة بطبقة سميكة من القشـدة الطازجة التى كانت كصحيفة بيضاء كتب فيها بمادة الشيكولاتة المذابة كلمة «دلفزايل» وطبقاً لمـا تقضى به تقاليد الضيافة همس مفتش البوليس الهولندى فى أذن الضابط ميجريه يدعوه لـكى يتفضل بقطع الفطيرة وقام الضـابط بذلك

ولكن ذلك لم يكن ليشغله من أن يسأل سؤالاً نزل كالصاعقة فى نفس المفتش الهولندى إذ قال له : —

— هل تركت الطالب كورنيليوس مطلق السراح بعد أن أتم أقواله ؟

— لست أفهم تماماً ماذا تقصد بذلك .

— إذا كنت لم تحجزه فلا أقل من أن تقوم معى الآن لسؤاله بحضورك .

— الأمر سهل جداً فأنه يمكننى الآن أن أتصل بالسفينة المدرسية للتنبيه على الطالب كورنيليوس بالحضور لسؤاله .

— إذن يمكنك أيضاً أن تتصل تليفونياً لكى يصير إحضار القاول أوستنج لسؤاله بعد الانتهاء من سؤال الطالب .

— هل تقصد بذلك مسألة الكاسكيت الخاصة به ! أننى واثق أن تفسير ذلك واضح تمام الوضوح فأن أحد البحارة عند مروره بقرب سفينة القاول وجدها ملقاة على السلم الموصل بين الرصيف والسفينة فأخذها ثم . . . . . .

— طبعاً شىء منطق جداً !

وكانت أجابة الضابط الأخيرة بلهجة مملوءة بالسخرية والأستهزاء كاد مفتش البوليس الهولندى تحت تأثيرها أن يفقد توازنه عند ما قام

يتكلم بالتليفون الموجود فى كشك خشبى بركن غرفة الطعام حيث أصطدم قدمه دون أن يأخذ حذره بالحافة الخشبية لباب هذا الكشك وبينما كان يقوم بالتحدث بهذا التليفون وجد الأستاذ جان ديكلوس نفسه وحده وجهاً لوجه مع الضابط ميجريه الذى فاجأه بقوله : —

— ألم تقل لزميلى العزيز لمناسبة دعوته لى لهذه الوليمة الفخمة أن يدس أيضاً فى جيبى كمية من الفلوربنات ؟

فتغير لون وجه الأستاذ ديكلوس تغييراً محسوساً وأراد الأحتجاج على هذا الكلام ولكن الضابط أشار إليه بيده ليسكت وتابع كلامه اللاذع قائلا : —

صه — صه ـ فليس لدينا متسع من الوقت للجدل فأنه لا شك عندى قط أنك أثرت عليه لكى يقوم بدعوتى لهذه الوليمة التى جرت فيها ألوان الشراب الطيبة أنهاراً وهذا معناه عندى أنك قلت له طبعاً بأن هذه هى الطريقة المتبعة فى فرنسا مع رجال التحقيقات القضائية !

وهنا أراد الأستاذ ديكلوس أن يعود إلى أحتجاجه فصاح فيه الضابط بصوت أجش : —

— صه لا تتكلم . فأننى بعد ما شرحته لك لن تتغير عقيدتى شيئاً .

— أحلف بالله العظيم . . .

ولكن الأستاذ ديكلوس لم يستطع تكملة أجابته لأن المفتش الهولندى

عاد بعد الانتهاء من المحادثة التليفونية ليأخذ جلسته إلى منضدة الطعام ومكث حتى قال للضابط : —

— هل يسمح لى زميلى العزيز أن نشرب معاً كأساً من الكونياك الفاخر ؟

— لا مانع وأنا على شريطة أن يكون ذلك على حسابى شخصياً وفقط أرجوك أن تطلب من السيدة فان هاسلت صاحبة الفندق أن تحضر مع الزجاجة ثلاثة كؤوس من الحجم الكبير — ولكن السيدة أحضرت زجاجة من الكونياك الفرنسى من الصنف الجيد جداً وثلاثة كؤوس صغيرة بما اضطر معه الضابط ميجريه أن يذهب بنفسه لمقصف غرفة الطعام ويحضر بنفسه الكؤوس الكبيرة الحجم التى طلبها وقام الضابط يصب الكونياك فى الكؤوس ورفع كأسه موجهاً الكلام لزميله الهولندى قائلاً : —

— فى صحة البوليس الهولندى ـ والآن قل لى متى سيحضر الطالب كورنيليوس بارتز ؟

— بعد نصف ساعة على الأكثر وهل لك أن تسمح لى بأن أقدم لك سيجاراً من النوع الهولندى المشهور ؟

— أشكرك كثيراً ولكنى أرتاح لتدخين التبغ فى الغليون .

وملأ الضابط الفرنسى الكؤوس للمرة الثانية دون أن يلقى أمتناعاً

من زميله الهولندى أو مواطنة الأستاذ ديكلوس واستأنف المفتش الهولندى كلامه وقد هزته نشوة الخمر موجهاً العبارة للضابط عندما ذكر هذا الأخير .

مبدياً قوله أنه يوم جميل حقاً وأن لديه شعور قوى بأنه سينتهى بإلقاء القبض على الفاعل .

— اللهم ألا أذا كان القاتل الآن فى بحر البلطيق على ظهر إحدى السفن التى غادرت ميناء دلفزايل كما سبق أن قلت لك !

— وهل تعتقد أن القاتل مكانه بعيد إلى هذا الحد !

وهنا تدخل الأستاذ ديكلوس قائلا : —

— أراك ياحضرة الضابط تغمز بكلامك هذا غمزاً عن قصد متعمد .

— يعنى غمزاً تظن حضرتك أننى قصدت أن أصطنعه متعمداً لأغراض فى نفسى .

— الذى أراه واضحاً تماماً أنك تدعى بأن القاتل أذا لم يكن بعيداً عن دلفزايل فهو موجود قريباً هنا .

— يا أستاذى أنك واسع الخيال .

ورفرف فى جو غرفة الطعام شيء غير ملموس ينم عن شعور بأن أنفجاراً بين الثلاثة المدعوين سيحدث لولا أن الخمر قد لعبت برؤوسهم وكان تأثيرها ظاهراً على وجه المفتش الهولندى فأزداد حمـــرة بينما كان التأثير فى الأستاذ ديكلوس على النقيض أذ أزداد وجهه صفرة وأمتقاعاً

وأستدرك الضابط الفرنسى فأنقذ الموقف بأن قال : —

— هيا بنا أيها الأخوان نشرب كأساً أخيراً فلنشربه سوياً داعين لأنفسنا جميعاً بالصحة والنجاح وبعد ذلك لنذهب سوياً لنقوم بعملية الأستجواب التى تنتظرنا .

وكانت زجاجة الكونياك الفاخرة قائمة وسط منضدة الطعام وفى كل مرة كان الضابط يقوم بصب الكونياك منها فى الكؤوس كان قلم السيدة فان هاسلت صاحبة الفندق الجالسة على منضدتها تراقب الحركة والخدمة بغرفة الطعام يرتفع إلى فمها لينغمس فى قليل من لعابها ثم ينزل بيدها ليسطر فى ورقة الحساب الثمن الواجب تقاضيه .

وعلى أثر هذا الكأس الأخير أنصرف الثلاثة خارج الفندق متجهين شطر مبنى قسم البوليس الهولندى الذى يقع على بعد نحو من الثلثمائة متر من الفندق فى وسط الحوانيت التجارية التى كانت بالرغم من عدم وجود أحد من المشترين فى ذلك الوقت فى حالة دائمة من التنسيق والأستعداد والنظافة التامة كأنما هى موجودة فى معرض دولى على وشك أن تفتح أبوابه للجمهور .

وكان المفتش الهولندى يهتز قليلاً فى مشيته من تأثير الخمر رغم تماسكه نفسه حرصاً منه أن يبدو للناس كالمخمور وأراد فى الوقت نفسه أن يزيد من الظهور بمظهر الرجل المتزن كما تقتضيه واجبات وظيفته فتشاغل

بالحديث مع الضابط الفرنسى قائلاً : —

— أنى واثق تماماً إنه من المستحيل معرفة شخصية القـــاتل أو الوصـول إلى معرفة مقره وما تم من التحقيقات قد أفاد فقط من ناحية واحدة وهى ثبوت أن هـذا القاتل أجنبى عن دلفزايل وبذلك قد سقطت الأتهامات التى كان يمكن توجيهها لـكثير من الشخصيات التى كانت تحوم حولهم الشبهات وسأقوم بتقديم تقريرى للسلطات العليا الهولندية بما يرمى إلى حفظ القضية بعد قيد التهمة ضد مجهول كما سأطلب طبعاً الأذن بفك الرقابة عن مواطنك الأستاذ ديكاوس وأطلاق حريته كما يشاء .

وما وصل الثلاثة — ميجريه وبانيكامب وديكاوس — إلى قسم البوليس حتى بادر المفتش الهولندى بأن ارتمى بشدة على كرسى مكتبه لأن الخمر كانت قد أثرت فيه كثيراً فخشى أن يسقط على الأرض الأمر الذى إضطره أن يستر هذه الزلة حتى ولو كان فى ذلك ما لا يتفق مع تلك النعومة وآداب المجتمع الذى يمتاز بها أهل هولندا فلم ير بأساً فى هذه الحالة أن يسند ظهره إلى الـكرسى ماداً رجليه ليزيد من راحتة ويزيل عن كربته ثم قام فمد يده ليدق الجرس الـكهربائى الموجود على مكتبه فحضر إليه أحد رجال الشرطة الذى تلقى منه الأمر فغاب قليـلاً وعاد بالطالب كورنيليوس وبالرغم من الحفاوة البالغة التى أحاطه بها مفتش البوليس الهولندى عنـد دخوله غرفة المـكتب التى أجتمع فيها هؤلاء الثلاثة سالفى الذكر فإن الطالب كورنيليوس شعر فى داخليـة نفسه بأنزعاج لا سيما لمـا رأى الضابط الفرنسى جالساً

بجوار المكتب وهو يرمقه بنظرات حادة وأراد مفتش البوليس الهولندى أن يدخل على قلبه الطمأنينة فقال له بلهجة لينة : —

— أن حضرة الضابط الفرنسى يريد أن يستعلم منك عن بعض نقط صغيرة فيما جاء بأقوالك أخيراً استيفاء للتحقيقات فى الحادثة .

وقام الضابط ميجريه يذرع غرفة المكتب جيئة وذهاباً وهو يشد التبغ من غليونه شداً وبعد برهة ساد فيها الصمت والسكون التام بالغرفة التفت فجأة نحو الطالب قائلا له : —

— قل لى ماذا قال لك المقاول أوستنج فى الليلة الماضية لما رأيته يتحدث إليك — فأنتفض الطالب كورنيليوس بشدة مذعوراً كالطير بلله القطر وأخذ يدير رأسه ذات اليمين وذات الشمال وتمتم قائلاً : —

— أنى . . . . أنى أظن . . . أنى

— سأساعدك على تذكر ما قاله لك بالضبط وقبل كل شىء يهمنى أن أقول لك بأن لك والداً لا يزال حياً يرزق بالهند الهولندية وأنه سيحزن حقاً إذا علم بما قد يصيبك بسبب تأديتك شهادة الزور فى الحادثة لأن شهادة الزور معاقب عليها قانوناً .

وكانت لهذه الكلمات التى ذكرها الضابط الفرنسى متعمداً كل تؤدة وحزم وقع فى نفس الطالب كورنيليوس كوقع المرزبة أذ تنزل بشدة على رأس المسمار فيغوص فى الأرض وجمد الطالب فى مكانه زائغ البصر لا يبدى

حراكاً ونابع الضابط الفرنسى كلامه قائلا : —

— الأولى بك يا بنى أن تعترف بالحقيقة بأن المقاول أوستنج الذى كان بأنتظارك فى تلك الليلة على شاطىء قناة الأمستردیب هوالذى حرضك على أن تذكر تلك الرواية الخيالية التى قمت بالأدلاء بها إلى مفتش البوليس الهولندى وأنك فى الواقع لم تقع لك عين على ذلك الرجل الطويل النحيف الذى قيل لك بأنك رأيته خارجاً من منزل آل بوبنجا عقب سماعك إطلاق الرصاصة ليلة الحادثة .

وحاول الطالب كورنيليوس أن يتكلم فلم يستطع أن ينطق بكلمة وراح يجهش بالبكاء بل لم تحمله رجلاه على الوقوف فأرتمى أرضاً كمن أصيب بإغماء شديد فنظر الضابط الفرنسى إلى الأستاذ ديكلوس أولاً ثم إلى مفتش البوليس الهولندى ثانياً وكانت نظرته ذات مغزى غريب لأنها كانت خالية من كل معنى كنظرة المجنون ولكن تأثيرها فى الوقت نفسه على من نظر إليهما كان بحيث ظهر عليهما الأرتباك والحيرة وحاول مفتش البوليس الهولندى أن يبدأ الكلام فقطع عليه الضابط ميجريه القول صائحاً بشدة : —

— أنظر بنفسك إلى شاهدك الوحيد فى هذه الحكاية المصطنعة !

وفى هذه اللحظة أخذ الطالب كورنيليوس يستعيد وعيه وبدأ أولا يقذف من أنفه فى منديله ما تجمع فيها من سائل دفعته تلك الهزات العصبية

المنيفة التى أنتابته وقال بصوت ثابت بعد ذلك : —

— إنى ما قلت لمفتش البوليس الهولندى شيئاً بمحض أرادتى أو من تلقاء نفسى .

— هذا هو كل ما كنت أريد منك أن تذكره هنا صراحة .وأننى لم أقصد أن أقول بأنك تعمدت شهادة الزور ولكننى قلت لك بأن المقاول أوستنج هو الذى أوعز إليك بأن تدلى بهذه الرواية المخترعة ولا شك أنه لكى يقنعك بقبول ما طلبه منك ذكر لك أنه بهذه الطريقة يمكن أن تنقذ شخصاً معيناً من حبل المشنقة فهل يمكنك أن تذكر لى اسم هذا الشخص الذى ذكره لك .

— أنى أحلف بشرف أمى بأن أوستنج لم يحدد فى كلامه شخصاً معيناً بالذات بل ذكر بصفة عامة إن هذه هى الطريقة المثلى لرفع الشبهة التى تحوم حول الجميع لبراءتهم جميعاً وتالله أنى أريد الآن أن أموت لأنى بذلك أرتاح من متاعبى فلا تنغص نفسى دائماً بما حصل .

— تالله يابنى أن المرء فى سن الثامنة عشر مثلك لا يجوز أن يتمنى لنفسه الموت .

وبهذه العبارة التفت الضابط ميجريه لزميله الهولندى سائلا أن كان يريد أن يسأل الطالب كورنيليوس فى شىء فهز مفتش البوليس الهولندى كتفيه كمن يريد أن يقول بأنه أصبح لايفهم بالضبط مايدور

حوله وعندئذ أومأ الضابط الفرنسى للطالب أن ينصرف وما عتم أن سمع الطالب ذلك حتى بادر بالخروج ولكنه قال للضابط وهو يخطو باب غرفة المكتب

— أظن إنه لم يكن على كل حال يراد أنقاذ الآنسة بيتشى من حبل المشنقة .

— هذا محتمل والآن أرجع يابنى سريعاً إلى سفينتك المدرسية وانخرط فى سلك أخوانك الطلبة دون أن تتحدث بشىء مما حصل لأى مخلوق . والتفت الضابط ميجريه لزميله الهولندى طالباً إليه أن يأمر بأحضار المقاول أوستنج مع رجائه بأن يقبل بأن يكون الترجمان بينه وبين المقاول لجهل هذا الأخير التكلم باللغة الفرنسية وحضر بعد ذلك المقاول أوستنج ممسكا بيده كاسكيتته الجديدة وملقيا نظرة مملوءة بالعتاب للضابط الفرنسى بعد أن سلم على المفتش الهولندى الذى ترجم أول سؤال بقوله : —

— أين كنت ليلة الحادثة ؟

وكان رد المقاول أوستنج أشبه بمحاضرة طويلة يلقيها فأثار ذلك غضب الضابط ميجريه الذى صاح فيه قائلا : —

— . لا . لايجب أن تضع حداً لهذا السيل الجارف من الكلام فالأجابة تكون بقدر السؤال ـ وما سمع ذلك المقاول أوستنج حتى نظر مرة أخرى نظرة عتاب للضابط الفرنسى وأجاب قائلا : —

— كنت على ظهر سفينتى .

— هذا كذب وغير صحيح .

قال ذلك الضابط الفرنسى وهو يغدو ويروح فى غرفة المكتب وبشكل مملوء حزم وعزيمة وطلب من زميله أن يترجم ذلك المقاول أوستنج الذى أجاب قائلا : —

— إنى أحلف بالله العظيم بأن ما قلته هو الحقيقة بعينها .

— اذن من الذى خطف كاسكيتتك من على رأسك تلك الليلة ؟

— كنت فى تلك الليلة داخل سفينتى أراجع حساباتى ولا أدرى إين وقعت كاسكيتتى عند دخولى القمرة بداخل سفينتى وتطلعت فجأة من النافذة بغرفتى فوجدت شبحاً على السلم القائم بالسفينة الموصل لها برصيف الميناء ويلوح لى أن هذا الشبح لبحار لأننى تخيلت وقتئذ ساقيه وهو متدثر سراويل البحارة .

— وطبعاً دفعك الفضول لأن تقوم بتتبع آثار هذا الطيف المجهول .

وشعر المقاول أوستنج بما يحمله هـــذا السؤال فى طياته من هزؤ وسخرية لاذعة فقرقع أصابع يديه بحركة آلية وتكلم سريعاً بالهولندية بما فهم الضابط لما ترجم الكلام له بأن المقاول أوستنج متأثر بأن يكون محل إتهام فى الحادثة وأنه برىء كل البراءة لأن القتيل بوبنجا كان صديقه الحميم وأنه تكلم بالحقيقة المحضة وبأنه قام فعلا من مخدعه بالسفينة ومشى أثر الشبح الذى رآه وأن هذا الشبح قد اتجه إلى المنزل الفقيد بوبنجا

متخذا الطريق المحاذى لقناة الأمستردیب وأختبىء هذا الشبح بالقرب من المنزل المذكور وأنه هو الآخر بقى مختفيا ليرى ماذا سيصنع .فعاد الضابط لمدوئه قائلا وموجهاً السؤال للمقاول : —

— وهل سمعت أطلاق الرصاص بعد أختبائك بقرب منزل الفقيد بساعتين ؟

— نعم ورأيت الرجل البحار يطلق لساقيه الريح أثر ذلك ولم أستطع اللحاق به .

— ولما كنت مختبأ بالقرب من المنزل هل أمكنك أن ترى هـــذا المجهول يدخل منزل الفقيد ؟

— نعم . رأيته إثناء دخوله الحديقة المحيطة بالمنزل واعتقد أنه تمكن من الدخول داخل الغرف بطريقة تسلق مواسير المياه .

— وهل تبينت هذا البحار بدقة فيمكنك أن تصفه لى ؟

قال الضابط هذا السؤال وعلى شفتيه أبتسامة عريضة وعلى وجهه أمارات تشعر المتحدث معه إلى اطمئنانه على أنه أصبح يصدق ما يقوله له وهز المقاول كتفيه ردا على هذا السؤال علامة النفى واستأنف الضابط أسئلته قائلا : —

— وهل رأيت الطالب كورتيليوس يقتفى أثر الآنسة بيتشى عنـد خروجها من المنزل بصحبة كونراد ؟

— نعم . ولما رأيت أنه يجب أن أبعد عن نفسى كل شبهة ولكى أساعد العدالة فقد أحطت كورنيليوس علماً بما شاهدته وطلبت إليه أن يتقدم إلى البوليس ويضع بين يديه هذه الحقائق .

وألتفت الضابط الفرنسى لزميله الهولندى قائلا له إن هـذا الرجل يخدع نفسه إذ يظن أن ما ذكره يرفع عن عاتقه التهمة الملقاة به والحقيقة إن فأله قد خاب لأنه أعترف بوجوده وقت إطلاق الرصاص على الفقيد بمكان الحادثة كما أعترف بأنه أوعز للطالب كورنيليوس لكى يتقدم للبوليس بهذه الرواية المختلفة بأنه إى — الطالب — هو الذى شاهد البحار المجهول وأنه استعمل الطالب كستار يختفى وراءه وطلب الضابط الفرنسى من زميله أزاء ذلك أن يتخذ ما يلزم طبقا لما يقتضيه واجبه ازاء هـــذه الأعترافات الخطيرة .

وكان الأستاذ جان ديكلوس ملتزما الصمت طول الوقت فلما كرر الضابط الفرنسى عبارته الأخيرة بشأن ما يجب إتخاذه قانوناً قبل القاول وستنج تساءل قائلا : —

— وما الذى يراد عمله بالنسبة له الآن ؟

— أظن أن الواجب يقضى بحبس القاول على الأقل أحتياطياً على ذمة التحقيق — وأراد مفتش البوليس الهولندى أن ينتهز الفرصة التى سنحت له ليكون راسخاً فى الأذهان أنه هو ولا يزال الرئيس المسيطر أنفاذاً لسمعته وسمعة بلاده فقرع الجرس بشدة ولما دخل أحد رجال الشرطة

تلبية للنداء ورأى هيئة الجد والحزم تبدو على وجه رئيسه بما جعله يقف كالصنم وقفة الحارس فى المعسكر منتظراً فى صمت ما سيأمره به رئيسه أعتدل المفتش فى كرسيه ثم قطب وجهه قليلا وقال وهو يشير فى عبوس إلى المقاول أوستنج بلهجة تجلجل فيها صوته تحت تأثير الخمر قائلا : —

— أقبض على هذا الرجل وزج به فى السجن وسأرى فيما بعد ما يقتضى عمله — ثم قام بعد ذلك المفتش الهولندى من كرسيه متثاقلا وهو يقول لزميله الفرنسى : —

— سأقوم بعمل التحريات اللازمة لكشف المستور فيما تخضت عنه الوقائع أخيراً ولن أنس بالطبع ما كان لتدخلك من فضل كبير فى تنوير مجرى التحقيقات وأظن أنه يمكن الآن أن يعتبر مواطنك الأستاذ جان ديكلوس نفسه حراً طليقا .

وتلقى الضابط الفرنسى هذه الكلمات وفى عينه وميض لم يلحظه المفتش الهولندى لأنه كان يقول له قرارة نفســـه على مهلك يا صاحبى فالأمور ستجرى على غير ما رتبته وسترى النتيجة على عكس ما رسمته الآن وقام الضابط الفرنسى متأهباً للأنصراف من المكتب ولكنه قبل أن يصل لباب الخروج التفت لزميله الهولندى قائلا : —

— هل لى أن أرجوك تحقيق أمنية لى أخيرة ؟

— تفضل يا زميلى العزيز ولك أن تطلب منى ما تشاء .

— الساعة الآن الرابعة بعد الظهر ولقد صح العزم عندى على أن أجرى عملية ترمى إلى تمثيل الحادثة منذ البداية هذا المساء فهل لك أن تتفضل بكتابة أسماء من أريد حضورهم هذه العملية وهم السيدة بوبنجا وأختها آنى وديكلوس والطالب بارتزوآل فيناند وبيتشى وأوستنج وأخيراً والد بيشى المزارع ليفين .

— لست أدرى بالضبط ما تقصده .

— أقصد أن نقوم بإعادة الكيفية التى وقعت بها الحادثة منذ البداية عقب انتهاء المحاضرة بفندق فان هاسلت .

وبعد برهة قليلة لزم فيها المفتش الصمت وهو يفكر أجاب ثالثا : —

— سأتكلم تليفونياً فى الموضوع مع الجهات الرئيسية بمدينة جرونتج لأستشارتها وأضاف وهو غير مصدق أن كلمته التى قصد بها لسخرية كانت فى الواقع موضع الاهتمام لدى الضابط الفرنسى قال له : —

— لا تنسى أن قائمة الأسماء ينقصها القتيل كونراد .

— هذا صحيح لأننى أنا بنفسى سأقوم بتمثيل دور القتيل .

وعلى هذا خرج الضابط الفرنسى من المكتب ومعه الأستاذ جان ديكلوس ولم ينس عند خروجه نهائياً أن يسجل شكره للمفتش الهولندى فى كلمات قليلة تتخللها روح المرح والزمالة فقال مودعاً : —

— أشكرك مرة أخرى لوليمتك الفخمة التى أقمتها لى !

الفصل الثامن

الضابط الفرنسى والآنسات

وسار الضابط ميجريه صوب الفندق ولكن بغير الطريق الذى سلكه عند حضوره لمركز البوليس بحيث أمكنه المرور فى طريقه بالميناء وكان الأستاذ جان ديكلوس الذى رافقه عند خروجه يمشى إلى جانبه وعلى وجهه كانت تلوح سيمات تدل على مزيج من نفاذ الصبر والقلق فى الوقت نفسه وما لبث حتى قال للضابط : —

— أرى من واجبى أن ألفت نظرك لشىء ربما لم تشعر به حتى الآن وهو أنك بتصرفاتك فى التحقيقات أخيراً تثير فى الأوساط هنا بدلفزايل الكثير من الكراهية .

— لماذا ؟

— أنه مما يؤسف له حقاً أن لا تفهمنى أو أن تتظاهر بعدم فهم ما قلته شأنك فى ذلك شأن جميع الفرنسيين .

— أظن بأن كلا منا يفتخر بأن يكون متجنساً بهذه الجنسية ؟

— هذا أمر لا شك فيه ولكن الفارق بينى وبينك أننى قمت شخصياً

بعدة رحلات لكثير من البلاد خارج فرنسا فاكتسبت خبرة عالية وأتاحت لى هذه الرحلات أن أدرس التقاليد والعادات القومية بحيث يمكننى أن أنسجم بسرعة فى كل بلد أزوره مع أهله إذ يمكننى بسهولة تامة أن أقوم بمراعاة ما تقتضيه عادات سكان هذا البلد ونفسيتهم وأنت هنا على النقيض أراك مندفعاً فى تحقيقاتك دون أن تقيم وزناً لهذه الأعتبارات التى ذكرتها لك .

— أظن أن الأولى بك أن تكون معي صريحاً فتقول بأننى سرت شوطاً بعيداً فى التحقيقات دون أن إشعر بأن هناك تيار قوى يصطدم بما يمليه على واجبى بالسير فى عملى حتى أضع يدى على الفاعل فى هذه الجريمة وبعبارة أخرى من المرغوب فيه أن تصور الوقائع بما يؤول بالقضية إلى الحفظ .

— وإلا لا يكون الأمر كما تقول ؟ فإن هذه الجريمة ليست من الجرائم ذات الخطورة على الأمن أو الصالح العام فالفاعل ليس من محترفى الأعتداء على النفس أو المال وعلى ذلك لا تقضى الضرورة بمواصلة البحث للقبض عليه والأقتصاص منه محافظة على هدف أكبر وهو عدم العبث بطمأنينة المجتمع الذى وقعت فيه هذه الجريمة التي لا خطر منها على هذه الطمأنينة — وأنظر بنفسك الآن إلى ما حولك فالبلدة صغيرة وتكاد فى نظافتها تشبه غرفة الطعام الأنيقة فى بيت تعنى به سيدته كل العناية وأنك لتجد الميناء على قلة اتساعها بعيدة كل البعد أن تثير فى أجوائها تلك الضوضاء التى

تراها فى المواني الكبيرة وترى الناس يقومون بالتريض فى هدوء وانشراح يقبانيهم الصفراء على رصيفها تحت سماء الميناء الصافية الزرقاء تنبعث من نفوسهم روح الدعة والسكون وحب الحياة الناعمة الهادئة ويسعون وراء رزقهم فى بحبوحة من العيش والسعادة دون أن يفكر أحدهم فى تعكير صفو غيره وهذه هى سنتهم فى الحياة الدنيا بل إن شئت فيمكن أن أقول لك إن هذا الخلق الوادع المتطبع بحب الحياة الرغدة هو ضرورة من ضروريات الاجتماع فى هولندا ولئن سألت مفتش البوليس الهولندى لأخبرك إن السرقة بالإكراه تكاد تكون معدومة فى هولندا وحوادث السرقات البسيطة طفيفة وقليلة ولا أعنى بذلك أن الناس يتركون السارق لأقة من الخبز مثلا حراً طليقا بل بالعكس مثل هذا السارق يجازى بعقوبة قاسية تبلغ عدة أسابيع يقضيها فى السجن وإنما أقصد أن أقول بأنك لا تجد فى هولندا قطاع طرق أو مساكين طرق ممن يحترفون الشحاذة وبكلمة مختصرة تجد هنا فى هولند أن النظام هو الركن الركين فى حياة أهلها علماً وعملاً .

— وعلى ذلك فالنتيجة التى تراها فى تصرفاتى أننى جئت هنا لأقلب هذا النظام رأسا على عقب أليس ذلك ما تقصده ؟

— لا تقاطعنى ياسيدى — وانظر ياسيدى إلى هذه المنازل التى تراها عن يسارك بالقرب من قنـــاة الأمستردیب فهذه المنازل تسكنها الطبقة الراقية وتجد فيها عائلات الأثرياء من أهل الناحية والموظفين وذوى الحيثية والمراكز العامة وهذا الحى من اليمين معروف لدى الكافه إذ

يسكنه عمدة البلدة ورجال الكنيسة وأساتذة المعاهد العلمية وكبار الموظفين وعلى وجه العموم جميع من يهتمون بأستتباب النظام فى هذه البلدة ويسهرون على راحة أهلها ويعملون على تفادى كل نزاع يقوم بين صاحب وصاحبه أو شجار بين جار وجاره وكما سبق أن ذكرته لك ترى أصحاب هذه هذه المساكن يتأوهون بأنفسهم من الوقوع فى الزلل بسبب غشيان المقاهى العامة أو غير ذلك من ضروب الأستهتار حرصاً منهم أن يكونوا بالقدوة السيئة لباقى السكان وليكونوا دائماً موضع التقدير والأحترام من أهل المدينة — ولا شك عندى أنك قلت منذ البداية أن هذه الجريمة التى وقعت بهذه البلدة الصغيرة مسألة عائلية محضة وأرجو أن تعلم بأن هذا الرأى عندى لم يدفعنى إليه مفتش البوليس الهولندى الذى لا علم لى برأيه هو شخصياً فى الجريمة المذكورة مع تقديرى التام له وبالأختصار أستطيع أن أؤكد لك بأنه من الخير كل الخير لما شرحته لك من الظروف الأجتماعية المحيطة بنا هنا أن تبادر فتعلن هذه الليلة لمناسبة الأجتماع الذى طلبت عقده بأن قاتل الفقيد ومنجا هو أحد البحارة الأجانب وأن التحريات عنه بغيه القبض عليه ستتخذ طريقها المعتاد بأستمرار البحث عنه — هذا خير للجميع فهو بالنسبة للسيدة أرملة الفقيد وأسرتها لا سيما بالنسبة لوالدها الذى لا بد أن تعلم أنه من الشخصيات البارزة فى المجتمع والتى يتطلع السكل إليها ويتخذونها قدوة فى حياتهم وهذا هو ما يجب العمل على تحقيقه إذ ليس الأمر كما تظن أنه مجرد مسألة عادية مطلوب منك أن تعمل فيها للكشف عن

الحقيقة لمجرد صالح الحقيقة وفى النهاية للظفر بفخر حل الألغاز ورفع الغطاء عن الأسرار التى تكتنف هذه الجريمة .

— هل يمكننى أن أعتقد أن هذا الرأى هو فى الواقع ما طلب منك المفتش الهولندى بانيكامب أن توعز به إلى إذ لا شك عندى أنه طلب منك أيضاً أن تدله على الطريقة التى يمكن أن يسلكها معى ليستقيم جانبى الأخذ بوجهة نظره فيكبح جماحى فلا أسترسل فى تحقيقاتى سعياً وراء الحقيقة لمجرد صالح الحقيقة كما لا شك عندى أنك بالطبع قلت له أمثل الطرق كما هو متبع فى فرنسا حسبما تظنه أن يبدأ الأمر معى بوجبة طعام فخمة تختم فى النهاية بشىء من السجن تقديراً لجهودى ومكافأة تغطى ما بذلته من مصروفات وما تحملته من مشقات — أليس الأمر كذلك يا أستاذى العظيم !

— أرجو منك أن لا تكون قاسياً لهذه الدرجة فى الحكم على الناس فلم يحصل شىء مما قلته الآن أو على الأصح لم يحصل على وجه الدقة والضبط ما يمكن أن ينطبق على ما ذكرته الآن .

وأخذ الضابط الفرنسى يحدق متأملا فيما يدور فى الميناء الصغيرة حيث رأى سفينة صغيرة تقوم بدور الحانوت المتنقل فوق متن الماء تحمل مختلف المأكولات وأنواع الشراب وأصناف التبغ والسجاير وكافة السلع الأستهلاكية الأخرى تبيعها لبحارة السفن التجارية الراسية بالميناء ثم التفت فجأة لمواطنه الأستاذ ديكلوس وقال :

— هل تعلم ياسيدى فيما أفكر الآن ؟

— كلا قل لى ما تريد .

— أنى إفكر فى أنك سعيد الحظ حقاً لأنك إستطعت أن تخرج من غرفة الحمام ليلة الحادثة وبيدك المسدس دون أن تصاب بمكروه .

— أننى لا أفهم ماذا تقصد بذلك .

— لا شىء وفقط أرجو أن تذكر لى على وجه الدقة إن كنت قد شعرت بوجود شخص خلافك بالحمام عند دخولك فيه أثر سماعك إطلاق الرصاص .

— أننى لم أستطع رؤية أحد .

— وهل لم تسمع أية حركة .

— لا يمكننى أن أجزم بشىء وربما شعرت وقتئذ كأن شيئاً يتحرك تحت الغطاء الخشبى لحوض الحمام .

وفى هذه اللحظة رأى الضابط الفرنسى الآنسة بيتشى تذرع ذهاباً وإياباً الرصيف أمام باب الفندق حيث كان هو والأستاذ جان ديكلوس قد أقتربا منه فى سيرهما فهرول الضابط نحوها تاركا الأستاذ ديكلوس يسير الهوينا ومعتذراً عن تركه له دون أن يكمل الحديث معه ويشير إلى إضطراره لمقابلة شخص كان على موعد معه .

* * *

وقابل الضابط ميجريه الآنسة بيتشى وهو يكاد يلهث بسبب أمراعه الحظى خشية أن تنصرف قبل أن يلحق بها وقبل أن تتفوه الآنسة بكلمة واحدة أخذت تجيل بصرها فى كافة النواحى بالشارع شأن من يريد أن يتحقق من عدم وجود أحد يخشى أن يكون مراقباً لها ثم قالت للضابط وهى تتكلف الأبتسام : —

— لقد لبثت أنتظر عودتك للفندق مدة نصف ساعة الآن .

— هل تتفضلى بالدخول معى للفندق ؟

— نعم وإنما أريد أن يكون اجتماعى بك على أنفراد فلا نجتمع فى مقهي الفندق — وقبل أن يجيبها الضابط بشىء أخذ يفكر ملياً فأنه من جهة لا يستطيع أن يدعوها بغرفته الخاصة بالفندق والمقهى بطبيعة الحال يتردد عليه الكثير من أهل دلفزايل مما يجعل حديثه معها غير سهل ولإحتمال حضور من لا ترغب الآنسة بيتشى أن يراها وأهتدى الضابط ميجريه أخيراً للتخلص من حيرته بأن دفع باب غرفة المرقص الملحقة بالفندق ودعاها للجلوس سوياً فى ركن بها وكانت الغرفة تمثل الربع الخالى الخاوى الذى هجره روادة فكانت آلة العزف « البيانو » مفتوحة الغطاء تعلوها طبقة من الغبار كما كانت أكداس من الكراسى مصفوفه بعضها فوق بعض فى ركن من أركان هذا الأيوان وكان السكون يرفرف بجناحيه على المكان فكان يخيل للجالس فيه وقتئذ أنه فى معبد من المعابد القديمة حيث لا يوجد إنسى سواه ولا يسمع إلا صوت نفسه إذا أراد أن يتحدث .

وكانت الآنسة بينشى مسرعة بما يصلح من الملابس لتتواجد خارج المنازل وكان الصديرى الحريرى الذى يغطى صدرها محبوك الأطراف بحيث برز كل من نهديها كأنهما رمانتين دانيتى القطوف ورغما عما كان يبدو فى حركاتها وسكناتها من تخوف فقد أستطيع لون بشرتها بحمرة وردية تنم عن تمتع صاحبها بالصحة والعافية وبدأ الضابط الحديث معها قائلاً : —

— كيف أمكنك الهروب من محبسك ؟

وتمهلت الآنسة بينشى فى الرد على هذا السؤال قليلا لأن رأسها كان يجيش بكثير من الأفكار والآراء وكانت لا تدرى بماذا تبدأ الكلام ! وماذا يحسن الجهر به من الأقوال وماذا يجب عليها أن تظل مكتوماً فى صدرها إلى الأبد ثم ما لبثت أن بدأت الحديث قائلة : —

— لقد إضطررت للهرب من غرفتى التى كنت محبوسة فيها بمنزلنا إذ لم أستطع صبراً أن أرى موتى يدنو منى فلقد حضرت الخادمة وأخبرتنى فى أول الأمر أن إبى عاد أول أمس المنزل تعلو وجهه أمارات الغضب الشديد وكان يتمتم بكلمات تشير إلى اعتزامه قتلى فعلا ولهذا قام بحبسى بغرفتى كما شاهدت ذلك بنفسك وبعد ظهر اليوم همست الخادمة فى أذنى التى وضعتها على ثقب الباب لأسمع كلامها بأن أبى حضر عائداً من منزل آل بوبنجا وكان فى حالة هياج وثورة نفسانية شديدة كالمجنون وأنه تناول غذاءه وهو جالس دون أن ينبت ببنت شفة بل كان صامتا كالصنم فى صمته الرهيب وأنه بعد ذلك أخذ يذرع المشى الطويل الممتد حول المزرعة جيئة

وذهب وكان مضطجعاً الرأس زائغ البصر ثم عرج بعد ذلك إلى القبرة المدفونة فيها بحى والقريبة من المزرعة حيث لبث بها قليلا وكان فى هذا الخبر وحده ما أقنعنى بعد التواء نحو قتلى لأن أبى يعتقد أن يزور دير حى ليعالج روحه كلما إلتزم القيام بأمر خطير فلم يكن يخرج من زواج الوسود بباب غرفتى وبمعاونة الخادمة التى أحضرت لى الأدوات اللازمة لفك مسامير القفل بالباب أمكننى دفع الباب وفتحه وخرجت هازئة وأنك تترى الآن قد حضرت إليك لأنقذ نفسى من الموت المحقق الذى صمم عليه والدى . وقبل أن تسترسل الآنسة فى سرد حكاياتها قاطعها الضابط قائلا وهو ينظر إلى حقيبة يدها المصنوعة من جلد ماعز الشمواه الأملس :—

— ما مقدار النقود التى أمكنك الهرب بها ؟

— لا أدرى بالضبط مقدارها وتبلغ نحوا من خمسماية فلورين — أى نحوا من خمسة وأربعين جنيه مصرى .

— وهل هذا المبلغ كان موضوعا لديك بغرفتك ؟

وتململت الآنسة فى الرد كارهة وأجابت :—

— إن النقود كانت طبعاً موجودة بالمكتب الكائن بغرفة أبى ولقد أردت بادئ ذى بدئ أن أسافر بالسكة الحديد لأهرب على التو من البلدة بأول قطار ولكن تولانى شعور الخوف لما وجدت قبل دخولى المحطة أحد رجال الشرطة واقفاً على بابها فعدلت عن عزمى وعدت أدراجى وفكرت طويلا فى الأمر فوجدت أنه من الخير لى أن أحضر إليك .

وكان الضابط الفرنسى يلقى عليها أثناء كلامها نظرات تحمل فى طياتها معنى الإشمئزاز من تصرفها والشك فى أقوالها لأنه شعر من أول وهلة أنها تخفى فى نفسها مالا تريد أن تصارحه به رغما عن الظروف المريبة التى أحاطت بها ولهذا لم يشأ أن يترفق معها فى الحديث وتعمد عدم دعوتها للجلوس وتجاهل صف الكراسى المصفوفة بعضها فوق بعض فى أحد أركان الأبواب بل ظل واقفاً قبالتها وكان من أثر ذلك أن شعر كل منهما أن لا سبيل لخلق جو من الثقة المتبادلة بينهما التى كانت من المفروض أن تكون هى الأمر الطبيعى الذى تمليه سير الأمور ما بين صديق يهرع لصديقه إذا نزلت به ملمة أو حلت به مصيبة ليطلب المعونة والمساعدة وبعد أن حدق فى وجه الآنسة بيتشى برهة طويلة سألها قائلا :

— كم مرة قبل الآن فكرت فى الهرب من منزل أبيك ومن هم الأشخاص الذين قد عرضت عليهم فيما سبق فكرة الهرب معك ؟

— ماذا تعنى بما تقوله ؟ — وكانت إجابة الآنسة بصوت خافت ورأس إنحنت على صدرها فلم تحاول أن ترفع عيناها فى وجه الضابط .

— دعينى أحصى لك هؤلاء الأشخاص فطبعاً كونراد بوبنجا كان الأول .

— لا زلت بعيدة عن فهم ما تعنى به .

— لعل سؤالى يكون أكثر وضوحاً إذا وضعته فى قالب آخر فقلت هل كان الفقيد أول من وقع فى حبائل حبك وغرامك ؟

فسكتت الآنسه بيتشى قليلا ثم قالت : —

— ما كنت أعتقد أنك ستكون معى قاسى إلى هذه الدرجة وإلا ما كنت فكرت فى الحضور إليك .

— لا زلت أكرر سؤالى لأنه بقى بغير جواب وفى الحقيقه إن علاقتك مع بوبنجا قد دامت نحواً من السنة ولكن من كان هناك قبله ؟

وكان هناك شبه صراع نفسانى يجرى فى جسم الآنسه بيتشى قبل أن تجيب بشىء وأخيراً هداها تفكيرها أنه قد يكون هناك ما يساعدها على تحقيق غاياتها التى حضرت من أجلها لمقابلة الضابط أن تفضى له بما يسألها فيه وعلى ذلك قالت بعد تردد غير قليل : —

— لقد بدأ معلم الرياضة البدنية بالمدرسة التوجيهية بمدينة جرونتج بغازلنى لما كنت أتابع دراستى هناك .

— هل وقف المذكور عند حد المغازلة فقط ؟

— أنه هو الذى . . .

— هذا طبيعى وإذن فيمكن أن أقول بأن هذا العلم كان الحبيب الأول فهل هناك غيره ؟

— كلا وأبداً !

— كيف ذلك ؟ — ألم تستسلمى لحب الطالب كورنيليوس ؟

— هذا كذب صراح وأقسم لك بأغلظ الأيمان بأن هذا الذى تقوله غير صحيح .

— ولكن كنتما تتلاقيان معا فى خلوة شأن المحبين المتيمين .

— الواقع أنه كان يحبنى حباً بريئاً ولهذا لم يتجاوز ما بيننا أكثر من تبادل القبلات .

— وهل فى تلك الليلة التى أزعجت خلوتكما بحضورى ثم بحضور أبيك عرضت عليه فكرة الهرب معك إلى الخارج ؟

— يا إلهى كيف عرفت ذلك !

وحاول الضابط الفرنسى فى هذه اللحظة أن يكبت فى نفسه ضحكة عالية كادت تنفجر من حنجرته إذ لم يكن ينتظر مثل هذا النجاح الباهر لطريقته التى اكتسبها بالمران مدة قيامه بوظيفته فى كيفية إلقاء الأسئلة لأستخراج الحقائق والأعترافات وأستردت فى الوقت نفسه الآنسة بيتشى ثباتها وأجابت فى حزم :

— نعم ألححت عليه لكى يعقد العزم لتنفيذ هذه الفكرة ولكنه رفض العمل بها لأنه فتى كثير الخوف ومن ناحية أخرى فلم تكن معه من النقود ما يكفل تحقيق هذا المشروع .

— لا شك أنك حاولت أن تبددى مخاوفه من هذه الناحية بأن عرضت عليه أستعدادك لتكملة ما ينقص لديه من نقود كافية ويمكننى أن ألخص لك حالتك فى هذا الصدد بأن فكرة الهرب من منزل عائلتك إلى الخارج كانت مستولية عليك تقضى مضجعك وأن الأمنية الوحيدة التى كانت

تتردد فى صدرك هى العثور على شخص ما يستطيع ان يهيأ لك أسباب تحقيق فكرتك .

— لم تكن أمنيتى العثور على اى رجل أيا يكون كما تقول ولهذا الا ترى معى أنك كثير القسوة نحوى بما تدل عليه عبارتك أو بمعنى آخر لست أدرى إن كنت حقاً كما تزعم قد أمكنك فهم حالتى بشكل مؤكد .

— كيف تقولين أننى لم أفهمها بشكل مؤكد والمسألة واضحة كالشمس ولا يستعصى على طفل أن يفقهها من ألفها إلى يائها فأنك بطبيعة نفسك أصبحت لا ترين الحياة إلا من ناحية واحدة وهى الزواج واللذات ومن هنا كان حبك لمخالطة الرجال لأنهم يستطيعون أن يدبروا لك هذه الحياة المرحة الصاخبة ويهيأوا لك تلك المباهج التى تشتهينها والتى لا تجد بينها فى المعيشة المنزلية بمزرعة أبيك النموذجية بل على العكس كانت المعيشة فى هذه المزرعة بعيدة عن أن تشفى لك غلة وتكفى نفسك التواقة لأرتشاف الكأس حتى الثمالة من ينبوع اللذات الدنيوية فبدأت وأنت لا زلت فى دور التثقيف بمعلم الرياضة بالمدرسة التوجيهية بمدينة جرونتج ولما تقدم بك السن وأضطرك أبوك لأن تلازميه بالمزرعة بعد وفاة أمك بدأت تتصيدين من يقع عليه أختيارك من الرجال بدافزايل فكان أمامك أولا الفقيد كونراد بوبنجا لأنه كان رجلا شجاعا إكتسب مرانا وخبرة بالحياة بسبب سياحاته التى جاب فيها الكثير من أقطار الدنيا ولأنه كان شغوفا بحب اللذات ولكن لم يمنعه من تحقيق رغبتك بالسرعة التى

ترينها سوى ماقام بنفسه من هواجس خلقتها طبيعة مركزه الإجتماعى وكلما رآى فى نفسه بسبب وظيفته ميلا للنكوص على عقبيه فلا يمضى معك فى الطريق الذى رسمتيه له كلما ازددت أصراراً على عزمك فى إن لا يفلت هذا الصيد من يديك لأن الأمل كان يداعبك دائماً بأنه سيرضخ فى النهاية لأرادتك فيحقق رغبتك .

— أرجوك مرة أخرى أن تترفق بى فلا زلت أراك تستعمل معى عبارات مريرة لأننى والله العظيم ما تعمدت كما تقول أسطياد بوبنجا .

— ربما كنت مغالياً فى قولى هذا ولكن الأمر عندك سيان فسواء تعمدت ذلك أو أنه وقع فريسة غرامك وارتمى تحت أقدام جمالك الشيطانى فبدأ يغازلك ثم مضى فى هذا السبيل شوطاً بعيداً ربما كان ينتهى بتحقيق غرضك لولا أن كونراد بوبنجا كان رجلا يخشى الفضيحة سواء كان سببها زوجته أو اختها الآنسة آنى وسواء من المدير العام لوظيفته أو من تلاميذ مدرسته .

— بل كان يخشى ذلك كثيراً من الآنسة آنى

— سأخبرك فيما بعد ما يتعلق بهذا الخصوص واعود لشرحى حالتك فأقول بأن غرام بوبنجا بك بدأ طبعاً بأختلاس القبلات فى زوايا الطرق أثناء سيركما سوياً وربما كنت مخطئاً إذا قلت أنه فى تلك المرحلة لم يكن ليفكر فى تجاوزها ولكنك قد تخيلت أنه قد وقع فى حبائل غرامك فبادرت إلى طرح شباكك حوله فكنت تعملين على مقابلته بأستمرار وكنت تقومين

من آن لآخر بأهدائه مختلف أصناف الفاكهة من مزرعة أبيك وعملت جاهدة على أن تندمجي فى أسرته بحيث كانت زيارتك له فى منزله إصبحت أمراً عادياً كما أن إستصحابه على دراجته لك إلى منزلك كانت شيئاً مألوفاً وبذلك تهيأت الفرص الطيبة لكما للأنزواء تحت جنح الليل فى تلك الغابة القريبة من منزل أبيك بالمزرعة كما آل الأمر لأن تتبادلا الرسائل الغرامية والتى كانت الوسيلة لكى تحيطيه علماً بمشروعك بشأن الفرار معه خارج هولندا .

— وهل قرأت هذه الرسائل ؟

— نعم .

— أظن أنك لا يمكن أن تنكر بأنه أمكنك بأطلاعك على هذه الرسائل أن تفهم بأن كونراد هو الذى بدأ يكتب لى وأتذكر أنه قال لى فى أول خطاب أرسله لى أنه تعيس حقا فى حياته الزوجية وأن زوجته لاتستطيع أن تفهم ميوله وتحقق أمانيه فى هذه الدنيا لأنها كانت دائماً تحت تأثير الخوف من أقاويل الناس ترده كاسفاً كلما حاول أن يرفه عن نفسه بشئ من الحرية فى الإجتماعات التى يرتادها فكانت حياته معها متسمة بطابع البهيمية دون أن يكون فيها معنى للروحانية .

— وهل صدقت هذا الكلام ؟

— طبعاً .

— يا آنستى أن ستين فى المائة من الرجال المتزوجين يلتمسون أمثال

هذه المعاذير ويلقون بمثل هذا الكلام فى أذن أول شابة يلتقون بها وهم يعلمون فى قرارة نفوسهم أنه كلام بعيد عن الحقيقة ولكن من سوء حظ الفقيد بوبنجا إنه لم ينتبه إن فاتنته قد صدقته لما قال لها هذا الكلام وإعتبرت إن ما قاله لها حقائق لا بأنيها الباطل ولا يحوطها الشك .

— ياسيدى لا زلت أرى أنك اليوم كثير القسوة لا تأخذك بى أية شفقة . وأغرورقت عينا الآنسة بيتشى عندما فاهت بهذه العبارة دون أن تسترسل فى البكاء ولكنها إظهاراً لألمها من كلام الضابط ضربت الأرض بقدمها بشدة وهى تفوه بهذه العبارة .

— ومجمل القول عندى يا آنستى أن كونراد بوبنجا كان يلح عليك أن تتركى مشروع الفرار خارج هولندا لأجل غير محدود ومن هنا بدأت ترين بأنه ان يكون الشخص الذى يستطيع تحقيق رغبتك اليس الأمر كذلك ؟

— كلا لم يخطر لى شىء من ذلك على بالى .

— أنى أؤكد لك إن ما أقوله لك هو الحق ودليلى ذلك أنك مع عدم قطع علاقتك نهائياً بكونراد بوبنجا بدأت تأخذين بالأحوط فى الأمور بأن استبقيت فى يدك خيطاً جديداً بأن فتحت الطريق للطالب كورنيليوس بارنز ليقدم نفسه قربانا على مذبح رغبتك دون أن تمكنيه من شىء لأنه على حد تعبيرك كان فتى لا يزال متعلقاً بأهداب التقاليد العائلية ويحسب حسابا للعواقب السيئة التى تنجم عن مخالفتها

— يا سيدى مرة إخرى أقولها لك بأنك لم تكتف بأن تكون قاسياً نحوى بل زدت فى قسوتك إلى حد أرى أنى أصبحت لا أطيق البقاء معك .

— أيرجو معـــذرة فأن للحقيقة لسانا حاداً لا يستطيع المرء أن يتحكم فيه

— هل أستطيع أن افهم الأن انك تكرهنى ؟

— كلا وألف كلا .

— نعم ياسيدى هذه هى الحقيقة التى أراها فيك الآن ومع أنك تكرهنى فلا يمكن أن تنكر أننى بنت بائسة فى حياتى أحبها كوزاد بوبنجا بكل جوارحها

— والطالب كورنيليوس بارنز معلم الرياضة البدنية ! ماذا ؟

فلم تتمكن هذه المرة الآنسة بيتشى من حبس عواطفها فأطلقت العنان لدموعها التى تدحرجت على خديها اللونين بلون من الورد القانى شأن الوجوه الهولندية بصفة عامة وقالت فى صوت يكاد تخنقه عباراتها : —

— إنى أمنعك يا سيدى من الأسترسال فى مثل هذا الكلام .

— نعم تريدين منى أن لا أقول بأنك كنت تظهرين الحب لهؤلاء الرجال — والحقيقة المرة أنك جعلت حبك لهم كالسلعة تقاس أو توزن بمقدار ما يمكن أن يؤديه كل منهم فى سبيل تحقيق أمنيتك الوحيدة فى

الحياة وهى الفرار خارج هولندا .

وازدادت الآنسة بيتشى وهى تسمع هذا الكلام القارص بكاءآ وهى تهتز تحت تأثير إلآم نفسانية شديدة وخرجت من أعماق قلبها صرخة مكبوتة قائلة :

— يا إلهى ليتنى ما حضرت اليك فقد كنت أظنك . .

— خفف عنك يا آنستى فسألبى طلبك وأتولى رعايتك فلا يمسك أحد بسوء فإن كان هذا ما سعيت إليه فتنى بأننى فاعله ولكن فى الوقت نفسه لا يغرب عن بالك أبداً أن تقديرى لسلوكك الشخصى لا يمكننى أن أقبل معه أن أضعك فى مصاف الضحية أو البطلة ولا أرى فيك إزاء تصرفاتك الحمقاء إلا فتاة دفعها الغرور بسبب احتضانها لنظريات فى الحياة لا تفيد ولا تنفع وبسبب حب الذات دون النظر إلى ما توجبه التقاليد والوسط الذى تعيش فيه شأنك فى ذلك شأن الكثيرات من بنات عصرنا الحاضر .

— ما ذنبى إن كان كل من كان حولى يكرهنى .

— من هم الذين تعنيهم بكلمة الكل ؟

— السيدة بوبنجا أولا لأننى لست على طرازها لأنها كانت تريد منى أن أعمل طول النهار فى حياكة اللابس التى يصير التبرع بها لسكان جزر الهند الهولندية المرآة إو الفقراء والمساكين هنا وكانت تقول جهرة لكثير من البنات اللاتى يعملن بالمبرة التى أنشأتها لهذا الغرض بأن

يتحاشين أن يتخذن منى مثالا يحتذى به فى حياتهن لأنها ترى إننى إذا قدر لى الزواج فحياتى الزوجية مآلها إلى الأنهيار ولا شك أنك تعلم أن البرة هى أشبه بخلية النحل تحوى أصناف السيدات والآنسات من كافة الطبقات سواء من كن من العائلات ذات الحيثية والمعتبرة عرفا بالطبقة الراقية او من العاملات اللاتى نشأن فى الأوساط العمالية الفقيرة وعلى ذلك تستطيع أن تتصور مقدار الإساءة التى كانت تنالنى من جراء أقوال السيدة بوبنجا كرئيسة لهذه البرة وهى تذيع عنى دعاباتها الضارة بسمعتى لأن ما كانت تقوله بالبرة فى الصباح ينتشر كالبرق فلا يمضى اليوم إلا وكافة أهل دلفزايل يتناقلونه فى أحاديثهم — ومهما يكن فالسيدة بوبنجا يمكن لى أن أعتبر كراهيتها لى من صنف خاص راجع إلى اختلاف المشارب فى الحياة وتقف هذه الكراهية عند حدود هذا التباين لا أكثر ولا أقل ولكن الحقيقة إن الشخص الذى يكن لى الكراهية بمعناها الصحيح والذى أشعر أن البغضاء لشخصى تأكل صدره هو إختها الآنسة آنى ولا أدرى على وجه الضبط ماهى الأسباب التى دفعت بها لذلك وقد وضح لى ذلك لما كنت أتردد على آل بوبنجا بالزيارة إذ لاحظت أن زيارتى كانت تثير نفسيتها فتتعمد الإساءة لى بأن تتركنى ولا تتواجد معى أثناء وجودى مع أفراد العائلة بالمنزل وتلتزم غرفتها طوال الوقت لحين خروجى من المنزل ويلوح لى أنها قد فطنت منذ زمن طويل مضى إلى العلاقة بينى وبين كونراد ومع ذلك لم تشأ أن تكشف الأمر وتجعله مضغة فى الأفواه لأنها

فى نظرى أشد مكراً من أختها السيدة بوبنجا التى مهما يكن من أنتقادها لسلوكى الشخصى ولعدم مجاراتى لها ولعدم سماعى نصحها لى بالأقلاع عن قراءة الروايات الغرامية فيمكننى أن أذكر أنها طيبة القلب وسليمة النية لدرجة أنها هى التى كانت تشير دائماً على زوجهـا كونراد فى كل مرة ليرافقنى فى طريق عودتى لمنزلى .

وهنا بدت ابتسامة المستهزىء على شفتى الضـابط ميجريه عند سماعه هذا الوصف عن سيدة أصبحت سليمة الطوية لا ترى الأشياء التى هى من صميم ما يثير الشبهة والغيرة أحياناً فى صدر المرأة ذات البعل أو الصديق ولا غرو فأن هذه الابتسامة ما كانت تظهر على شفتى الضابط لوأن الآنسة بيتشى أستعملت فى وصفها نفسية السيدة بوبنجا كلمة واحدة فقط تشير بأنها كانت شيدة من ذوات الغفلة فتقول بأحتقار أنها عبيطة — وتابعت الآنسة بيتشى كلامها قائلة : —

— نعم أن الأنسة آنى تختلف اختلافاً كلياً عن أختها فهى أولا دميمة الخلقة مما لا شك قد وقفت عليه لمـا قابلتها ورأيت كيف أن أسنانها الأمامية برزت بشكل مشوه لوجهها بحيث قلما تجد رجلاً واحداً يقدم على مغازلتها وهى تعلم ذلك فى قرارة نفسها وأصبحت متأكدة أنها ستبقى طول حياتها عذراء ولهـــذا أنصرفت إلى الدراسة بغية أن تجد لنفسها عملا فى المستقبل وهى لهذا السبب نفســه تتظاهر دائماً بكره الرجال وأنضوت فى عضوية كثير من الجمعيات النسوية وكان كرهها لى شخصياً وما طمعت

عليه نفسها من بغض الرجال لسبب اقتناعها بأنها ستظل تلك الحواء التى لن تقاسم آدم أية تفاحة ما دفع بها دائماً لتراقب كونراد وتتجسس عليه وأننى لواثقة أنه لما تبين لها ما بينى وبينه من حب وغرام حاولت أن تفسد ما بيننا بل وزجت أنفها أيضاً بينى وبين كورنيليوس وكل ذلك رد الفعل لما كان يأكل صدرها من غل وحقد كلما رأت جميع الناس يرمقوننى بعين الإعجاب والأفتتان حتى ذلك الرجل المتزن . « فيناند » الذى كان دائماً مضطرباً تعلو وجهه حمرة الخجل كلما رقصت معه وقد لاحظت ذلك أنتباه السيدة زوجته كما أعتقد ولست أدرى أن كانت الآنسة آنى قد سمت بالدس لدى أختها فكشفت لها عن سر العلاقة بينى وبين زوجها كونراد فقد يجوز أن تكون فعلت ذلك وقد يجوز أنها سكتت مؤقتاً ولكننى متأكدة الآن أنها هى التى بحثت عن الرسائل التى بعثت بها لكونراد وهى التى أحضرتها لأختها .

— هذا يجعلنى أعتقد أيضاً أنها ربما هى التى قتلت كونراد فما رأيك ؟

— إنى أقسم بالأيمان المغلظة أننى لا أعلم شيئاً قطعاً فى هذا الصدد ولا يمكن أن تأول كلامى بشكل يجعلك تظن أننى أتهمها بأرتكابها هذه الجريمة ولكننى لا أزيد شيئاً عما قلته بأن الآنسة آنى هى كالحية السامة وتالله لست أدرى ما ذنبى فى نظرها أذا كان الله قد خلقها قبيحة الوجه .

— هل يمكنك أن تؤكدى لى بصفة قاطعة بأن ليس للآنسة آنى أية علاقات غرامية مع الغير ؟

— لا أدرى ومن الجائز حصول ذلك وإنما على كل حال بعيداً عن بلدة دلفزايل .

— وهل يمكن أن تكون هذه العلاقة مع زوج أختها كونراد ؟

— لا أدرى شيئاً من ذلك ولا يمكن أن أفسر أسباب الرقابة والتجسس التى كانت تقوم به الآنسة آنى عليه إلا من ناحية واحدة وهو أنه نظراً لأنه من العائلة التى يمكن اعتبار أفرادها جميعاً كجزء منه فالمسألة تتطور فقط من كراهية إلى رقابة مشددة عليه .

— وهل تتطور هذه الرقابة إلى حدود قتله مثلا ؟

— لماذا تعود ألى هذه الظنون وما الذى تقصده ؟

— لا شىء ويمكنك أن تلتزمى حدود الرد على أسئلتى دون أى تعليق من جانبك ولأترك هذا الجانب من الموضوع وأسألك فى ناحية أخرى فهل يمكنك أن تؤكدى أن كان المقاول أوستنج يعلم سر العلاقة بينك وبين الفقيد بوبنجا ؟

— من الغريب أن تصل بتحرياتك إلى هذه المسألة أيضاً فما الذى يُلفت به ؟

— المسألة لا تحتاج لمجهود كبير فى سبيل الوقوف على كنهها فقد كنت تذهبين مع كونراد لجزيرة فيركوم فى ضيافة المقاول أوستنج فكان من الطبى أن يترك المقاول أوستنج الفرصة للفقيد لكى تختليا سوية

أليس الأمر كذلك ؟

— هذا صحيح إذ كان طبيعياً أن أكون فى خلوة مع كونراد بسفينة المقاول الذى كان يجلس بقمرة القيادة لأنه كان بنفسه يقود السفينة .

— وبعبارة أخرى كان المقاول يتركك مع كونراد بالقمرة التى بأسفل السفينة .

— قلت لك أن الأمر طبيعى إذ لا يمكن الجلوس على ظهر السفينة بسبب رطوبة الجو .

— هل تقابلت مع المقاول أوستنج بعد مقتل بونجا ؟

— كلا وأنى أقسم لك بذلك .

— وهل لم يحاول المقاول أوستنج مغازلتك ؟

— هو ! — لقد صرخت الآنسة بهذه الكلمة بما يحمل فى طياتها من الإزدراء وفى الوقت نفسه كادت تعود إلى بكائها وارتسمت على قسمات وجهها أمارات اليأس والقنوط وأخذت تميل ذات اليمين والشمال فى حركة عصبية وجميع أطراف جسمها ترتعش بصوت مسموع أدى بالسيدة فان هاسلت صاحبة الفندق أن تسرع فتدس رأسها بين ضلفتى الباب ولكنها ما عتمت أن تراجعت وهى تعتذر لما وجدت السكون والصمت قد عادا بين المتحدثين حيث عاد الضابط إلى أسئلته بعد أن هدأت نفس الآنسة بيتشى .

— هل أنت متأكدة أن أباك كان ينوى قتلك ؟

— نعم وهذا لا شك عندى فيه .

— إذن فمن المرجح أن يكون قد انتوى قتل حبيبك لنفس الأسباب ؟ ونزل هـذا الـكلام على قلب الآنسة بيتشى كالصـاعقة وحملقت بعينين مشدوهتين فى وجه الضابط صارخة : —

— كلا وألف كلا أنه لأفك وبهتان أن يكون أبى هو . . .

— ولـكن من الثابت أن أباك لم يكن بالمنزل لما عدت إليه فى ليـلة الحادثة .

— نعم وهذا أمر عجيب إذ لست أدرى كيف أمكنك معرفة ذلك .

— أنى أعلم أنه حضر بعد وصولك للمنزل أليس كذلك ؟ وكان هذا من الضابط رمية بغير رامى شأنه عند السير فى تحقيق جنائى إذ يضطر أحياناً أن يفترض عدة صـور للوقائع المتعلقة بالحادثة التى يقوم بتحقيقها فيختار منهـا بعد أستعراضها فى مخيلته ما يوجه فيهـا أسئلة تمـكنه من الأستيثاق من نقطة غامضة أو الـكشف عن حقيقة كانت خافية .

— نعم لقد حضر أبى مباشرة للمنزل عقب وصولى ثم . .

— لقد قلت فى خطابك الأخير الذى أرسـلتيه لـكونراد قبل مقتله أنك لا تستطعين صبراً وأنه يجب وضع حد لهـــذا الأنتظار غير المحدود الأجل فهل لى أفهم من ذلك أنك شعرت بأن الفقيد كونراد أخذ يتراجع عما

كان قد بدأ فيه معك وأن مخاوفه من ناحية فقد مركزه ووظيفته أخذت تطغى على عقليته بحيث صمم على عدم الفرار معك للخارج .

— ما الذى تقصده بهذا الكلام ؟

— لا شيء وانما أردت أن استوثق من فكرة جالت برأسى والآن يا آنستى أعتقد أن أباك لن يتأخر عن الحضور هنا فى بحثه عنك .

وما سمعت الآنسة بيتشى هذا الكلام حتى انتفضت وعلى وجهها علامات الخوف والأرتياع ولكن الضابط أسرع بتهدئة خاطرها وتطمينها وأخبرها بأنه يحتاج لحضورها معه بالفندق فى المساء فقالت له الآنسة :—

— لماذا تريد حضورى هنا هذا المساء ؟

— لأنى سأقوم بتمثيل الوقائع كما حصلت إلى أن انتهت بقتل كونراد .

— ولكن ماذا يكون الحال لو حضر أبى ؟ أنه سيقتلنى حتما .

— لا تخشى بأساً فأنى سأكون إلى جانبك دائماً .

وفى هذه اللحظة وقبل أن تبدأ الآنسة بما أرادت أن تفصله من أعتراضات على حضورها فى الموعد الذى أشار به الضابط دخل الأستاذ جان ديكاوس من الباب الذى حرص على أن يحكم غلقه وراءه وتقدم وهو يلوح على محياه فزع شديد قائلا :

— خذا حذركما فقد حضر المزارع ليفين وهو الآن بالفندق هنا .

— أرجوك أن تقصد الآن فوراً لغرفتك وتأخذ معك الآنسة بيتشى

— كيف يكون ذلك مقبولا فأدخل غرفتى بالآنسة ؟

— إذا وجدت فى ذلك مالا تستسيغه فأدخل معها فى غرفتى ودعها تنتظر بها — وبادر الضابط يقرن القول بالفعل وأخذ بيد الآنسة ودفعها بصحبة الأستاذ ديكلوس نحو الباب المؤدى للسلم الخلفى المعد لخدم الفندق وما كاد يغلق هذا الباب حتى سمع قرعا خفيفاً على باب دخول الأيوان فبادر يفتحه وما لبث حتى وجد نفسه وجهاً لوجه مع المزارع ليفين الذى ما لبث أن أخذ يجول بعينيه فوق منكبى الضابط باحثاً عن إبنته وصاح بالهولندية قائلا : —

— أين بيتشى ؟

ولم يستطيع الضابط أن يجيب بشىء طبعاً لجهله اللغة الهولندية وإنتظر قليلا فى فتحة الباب حتى رأى عن بعد الأستاذ ديكلوس قادما عليه مصطنعاً ابتسامة من الهدوء وعدم سابقة تواجده مع الضابط الذى ما لبث بدوره حتى تظاهر بأن ثمة فرصة قد هبطت عليه لم يكن يفكر فيها حيث سيكون الأستاذ ديكلوس هو من سيحل العقدة القائمة بينه وبين المزارع ليفين بشأن التحدث بلغة هذا الأخير وعلى ذلك طلب الضابط من الأستاذ ديكلوس أن يخطر المزارع بأنه مطلوب حضوره هذا المساء بالفندق ليكون فى عداد من سيقومون بتمثيل الوقائع التى أدت إلى الجريمة وهنا إعترض الأستاذ ديكلوس قائلا : —

— هل ترى أن ذلك أمراً ضرورياً ؟

— ترجم بالهولندية للمزارع ما قلته لك الآن وليس هنا محل للمناقشة .
فأنصاع الأستاذ ديكلوس لتنفيذ الأمر مستعملا لهجة تعمد فيها النعومة التامة ممزوجة بشيء من الأعتذار فى خفر واستحياء وما سمع ذلك المزارع ليفين حتى أخذ يحدق فى كل من الضابط والأستاذ ديكلوس الذى ترجم للمرة الثانية سؤالا إضافياً قاله الضابط : —

— قل له أيضاً أنه فى هذا المساء ربما تم القبض على الجانى .

وكان وقع ذلك على المزارع بشكل لم يكن ينتظره الضابط الذى هجم بكل قوة على المزارع يختطف منه مسدساً أخرجه وكاد يفرغ ما فيه من رصاص فى رأسه مؤثراً الأنتحار وكان صراعاً قصيراً بين الرجلين تغلب فى نهايته الضابط على المزارع وأدى الأمر إلى قلب بعض الكراسى التى وقعت من الركن الذى كانت مكدسة فيه ولم يلبث الضابط عقب ذلك حتى أحكم غلق باب الأيوان بالمفتاح ومنع دخول الناس الذين حضروا على الضوضاء يستجلون الخبر ولبثوا متجمهرين خارج الفندق لا يفقهون حقيقة ما حصل .

الفصل التاسع

تمثيل وقائع الحادثة

لقد صار إعداد أيوان المرقص بالفندق ليجتمع فيه الأشخاص الذين دعاهم الضابط ميجريه ليقوموا بتمثيل كل فى دوره الوقائع التى بدأت بأنتهاء الأستاذ جان ديكلوس من محاضرته فى ليلة الحادثة وكان آل فينانك أول من حضروا فى الساعة السابعة والنصف من مساء هذا اليوم ووقف آل فينانك بجانب الثلاثة أشخاص الذين كانوا قبلهم حاضرين بالأيوان وهم كل من الأستاذ جان ديكلوس وقد كان يذرع أرض الأيوان جيئة وذهاباً بشكل يدل على حالة عصبية قامت فى نفسه ثم الضابط ميجريه وقد وقف إلى جانب المزارع ليفين الذى جلس بأمر منه على كرسى لا يبدى حراكا .

وكان فينانك مرتديا السترة المخصصة للتريض والزيارات فى أيام الآحاد من كل أسبوع إذ أنه تمسك بحرفية الدعوة معتقداً أن الأمر يتعلق بأجتماع بالفندق لقضاء سهرة عائلية كما أحضرت زوجته معها طفليها ويظهر أن الدعوة كانت مفاجأة له كما يبدو من عدم أنتظام عقدة ربطة العنق المتدلية من ياقة قميصه العريضة المالية ومن المرجح أن آل فينانك تركوا المائدة التى كانوا حولها جلوساً بمنزلهم يتناولون طعام العشاء دون ترتيب

لما وصلت إليهم الدعوة وذلك توخيا منهم كما هى عادة أهل هوننداً مراعاة الحضور بالضبط فى المواعيد المحددة للدعوات التى يقبلون تلبيتها .

ولم يجد فينانڈ عند حضوره فى الثلاثة أشخاص الموجودين قبله من يستطيع أن يتحدث إليه قتلا للوقت حتى يكتمل عقد جميع الحضور سوى الأستاذ جان ديكاوس فرفع قبعته محييا وأنتحى به ناحية من أركان الأيوان الذى لم يتغير فيه شىء عما كان الحال عليه ليلة المحاضرة التى ألقاها الأستاذ جان ديكاوس سوى الكراسى التى كان قد صار تكديسها فوق بعضها فى أحد الأركان فصار إعادة جزء منها على هيئة صف لجلوس المدعوين فى هذا المساء كما صار وضع منضدة غطيت بستر من القماش الأخضر فى قبالة صف الكراسى لتهيئتها فى الوضع الذى كان فيه الأستاذ ديكاوس وهو يلقى المحاضرة وربما كان الفارق بين الليلتين أنه فى هذه الأخيرة لم يفكر أحد فى إضاءة اللمبات الكهربائية المثبتة بالحوائط اكتفاء بالنور المنبعث من لمبات النجفة التى تتوسط قاعة المرقص وكان لهذا أثره البادى فى خلق شىء من الرهبة والوحشة فى نفوس الحاضرين .

وحضر بعد ذلك الطالب كورنيليوس بارتز بادى الهلع والأضطراب ولون وجهه ذا صفرة واضحة كما كان زائغ البصر مفكراً كمن يعتزم النجاة بنفسه فراراً عند أول نذير ولما يئس من العثور على شخص يأنس إليه بالتحدث سوياً إنزوى فى ركن من أركان الأيوان مسنداً ظهره إلى أحد الكراسى .

ثم دخل بعد ذلك مفتش البوليس الهولندى ممسكا بذراع المقاول أوستنج الذى كان فى حراسته والذى لم يفته أن يلقى نظرة طويلة ذات مغزى نحو الضابط الفرنسى ثم توالى بعد ذلك حضور باقى المدعوين فجاءت السيدة بوبنجا مصحوبة بأختها الآنسة آنى التى سحبت أختها بسرعة نحو المقاعد المصفوفة بجوار بعضها فى قبالة المنصة وما لبثت حتى أجلستها على أحدها وقامت هى بدورها بالجلوس إلى جانبها .

فلما تكامل عقد جميع المدعوين التفت الضابط ميجريه لزميله الهولندى قائلا : —

— أرجوك إحضار الآنسة بيتشى هنا مع تكليف أحد رجال الشرطة بوضع كل من المزارع ليفين والمقاول أوستنج تحت مراقبته ويمكن أن يكون جلوس كل منهما بعيداً فى الركن الخلفى من الأيوان لأنهما لم يكونا حاضرين ليلة الحادثة المحاضرة .

وكان شعور الحاضرين مزيج من الخوف والكراهية وكان النور الضئيل فى الأيوان يضفى على وجوه الحاضرين لوناً داكناً جعلهم أشبه بالأشباح ولم يعد جمال الآنسة بيتشى فى هذا المكان شيئاً ملحوظاً لأن الصورة التى يمكن تخيلها لهذا الاجتماع تبعث فى النفس حقاً الشجن أو السخرية وكانت الإشاعات قد ترامت عن عقده بالفندق فأحتشد الناس خارجه وهم وقوف فى صمت واجمين أنتظاراً للنتيجة النهائية .

وبدأ الضابط ميجريه ينفذ خطته فطلب من السيدة بوبنجا أن تجلس بين الشخصين اللذين كانا يجلسان بجوارها فى ليلة المحاضرة بحيث لا يختلف وضعها الحالى عما كان فى السابق وكان حقاً عجيباً أن يتبين للضابط فى هذه اللحظة مقدار التغيير التام فى ملامح هذه السيدة اذ رآها وكأن السن قد تقدمت بها كثيراً فأصبحت فى عداد العجائز كما وضح النقص الظاهر بسبب عدم التناسق فى حياكة فستانها اذ برز أحد الكتفين بشكل مرتفع عن الآخر كما رأى فى خلفتها ما يعتبر فى محيط المجال النسائى غير مستساغ بسبب أذنيها الكبيرتين ووجود أثر التحام لجرح غائر فى رقبتها وأما الآنسة آنى أختها قد بدأ قبحها أشد ظهوراً بسبب ما إرتدته من ثياب من طراز رث وقماش غث ساعد على سليها كل مسحة من الجمال أو الذوق السليم .

وصار ترتيب جلوس الحاضرين بحيث أتخذت السيدة بوبنجا مكان الشرف بين كل من كرسى كان يجلس عليه زوجها الفقيد وفيناندو أما زوجة هذا الأخير فقد إضطرت للجلوس فى آخر الصف بسبب وجود طفليها معها وكان المفروض أن تجلس الآنسة بيتشى فى المقعد المجاور لمقعد الفقيد حيث تجاورها مباشرة الآنسة آنى ولكنها تركت مقعدها خالياً وجلست فى المقعد الذى كان يجلس عليه الفقيد .

وجلس الأستاذ جان ديكاوس على الكرسى المعد للمحاضرة بجوار المنضدة قبالة الحضور وكان الحق يقال أكثر الحاضرين رثاثة فى المجلس وأقلهم ذوقاً فى حسن الهندام وبدأ تحت الأضواء الداكنة بأيوان المرقص

أكثر نحافة ونحولا مما كان وسقطت عن هامته ما يمكن أن يراه الناس فيه من وقار بصفته أستاذاً وعالماً من العلماء المشار إليهم بالبنان وأما مفتش البوليس الهولندى باينكامب فقد وقف إلى ناحية على بعد قليل من هذه الكراسى التى جلس عليها المدعوون وكان يجول دائماً بعينين غير مستقرتين كأنما يشعر فى قرارة نفسه بأن ما صار إعداده سيؤول إلى النتيجة المحتومة التى يراها منذ البداية أى الفشل الذريع وأخذ الضابط ميجريه مجلسه بجوار كل من الآنستين بيتشى وآنى اللتين كانتا على جانبيه ونظر إلى الأستاذ ديكلوس وهو يقوم بدور المحاضر سائلا :

— كم من الوقت استغرقت محاضرتك ؟

— نحو من ثلاثة أرباع الساعة .

— هل كنت تقرأ محاضرتك من مذكرات مكتوبة ؟

— العفو يا سيدى لقد كانت هى المرة العشرين التى ألقيت فيها هذه المحاضرة بالذات وهذا يعنى أننى ما كنت فى حاجة للرجوع إلى مادونته من مذكرات وقت بإلقاء المحاضرة دون الأستعانة بأية أوراق مكتوبة .

— إذن كان فى مقدورك وأنت تقوم بمحاضرة المدعوين أن تراقبهم فى الوقت نفسه .

— طبعاً .

— متى انتهت المحاضرة وانصرف المدعوين ؟

— قبيل الساعة التاسعة أقامت أحدى الفتيات عقب انتهائى من المحاضرة بعزف قطعة موسيقية على البيانو وأنصرف بعدها المدعوون .

ونظر الضابط ميجريه إلى ركن بالأيوان فوجد البيانو لا يزال متروكا مفتوحاً كما ترك بعد العزف عليه ليلة الحادثة ورأى منشوراً على السبورة الموضوعة فى البيانو القطعة الموسيقية المعروفة باسم الأغانى البولونية للموسيقار المشهور « شوبان » وبعد هنيهة من الزمن ساد الحضور فيها صمت رائع ظهرت فيه على وجه السيدة بونجا علامات القلق وكان المقاول اوستنج أثناءها يفرج عن نفسه برفع أحدى رجليه ووضعها فوق الأخرى وهكذا دواليك وفى كل مرة ينزل قدمه بشدة على إرض الإيوان التى كانت مغطاة بخشب « الأرو » وبالرغم من أن طبقة سميكة من نشارة الخشب فوق الأرض فان صوت وقع أقدام المقاول كان مسموعاً مما يدل على ما كان به من حالة عصبية شديدة .

وما مضت بضعة دقائق على الساعة الثامنة مساء حتى ترك الضابط ميجريه كرسيه وقام يسير الهوينا جيئة وذهابا أمام الأستاذ جان ديكلوس والتفت إليه قائلا :

— هل لسيدى الأستاذ أن يشرح لنا بأختصار ما جاء بمحاضرته فى تلك الليلة ؟

وبدأ الأستاذ ديكلوس يتململ وصمت وهو يفكر قليلا ثم تنحنح قائلا : —

— لم يكن قصدى قط أن يكون فى محاضرتى ما يجرح إحساس أهل دلفزايل ذوى العقول الناضجة .

فقاطعه الضابط قائلا له أن يترك هـذا اللف والدوران فى كلامه وقال : —

— يا أستاذى أنك كنت تتكلم عن الأجرام فما هى الناحيـة التى قصدتها بمحاضراتك ؟

— ناحية مسئولية مرتكبى الجرائم .

— وما كان رأيك فى ذلك ؟

— رأيى أن المسئول فى الواقع عن الجرائم التى تقع فى أية أمة من الأمم هم أفراد هذه الأمة نفسها فقد صار سن التشريعات الأجتماعيـة الدقيقة لصالح المجتمع وسائر أفراده وتنظيم العلاقات بين سائر الطبقات تنظيما تسوده الفكرة فى أتاحة الفرصة لكل فرد ليكون حتما مواطناً صالحاً .

— كفى . كفى ياأستاذ . فأنى أراك تسترسل فى هذا الكلام النظرى الذى ستخرج منه بهذه النتيجة التى كثر الكلام عنها بلا فائدة عملية محسوسة والتى تقول بأنه بناء على النظرية التى تقولها يكون مرتكبو الجرائم الذين هم أعضاء فى المجتمع ذوى طبائع وميول شاذة تجعلهم فى حكم المرضى أو أنهم ذوو تكوين خلقى ناقص وتعوزهم التجارب بما يجعلهم مواطنين صالحين فإذا لم يعن المجتمع عناية خاصة بهؤلاء المواطنين من هـذه الأصناف والأنواع

سقطوا حتما فى الرذيلة وبالجملة ترى أن العلاج لهذه الأصناف من المواطنين لا يكون بطريقة إيداعهم السجون بل فى المراكز التدريبية والمستشفيات للأمراض العقلية والمصحات للأمراض العصبية ويدهشنى حقاً يا أستاذ أن تلبث نحواً من الساعة تتكلم فى هذه النظرية المعروفة والتى لاشك قد أستندت فيها إلى ما جاء فى أبحاث بعض العلماء الإحصائيين فى الشئون الجنائية أمثال لمبروزو وفرويد ولمضرابهما .

وكان يلوح فى الواقع أن الضابط قصد بهذه المحاورة مع الأستاذ ديكاوس شغل بال المدعوبين حتى لا يقلقوا من الإنتظار وبادر الضابط بنظر فى الساعة التى يحملها وقال للحاضرين : —

— أرجو حضراتكم أن تنتظروا قليلا فقد حان الموعد للتهيأ بالخروج من الفندق .

وكأنما شاءت المقادير مساعدة الضابط على تحقيق رغبته فقد استلفت نظر الحاضرين بكاء أحد طفلى آل فيفاند وعدم إمكان إسكاته بما اضطر الحال معه لأن يأخذه أبوه على ركبته مربتاً له وفى هذه الأثناء أسر الضابط ميجريه فى أذن زميله الهولندى لكى يقوم عند خروجه بأستصحاب المقاول أوستنج معه .

وشعر الحاضرون أن حدثاً غير عادى ينتظرهم ويتبين فى هذه اللحظة لمن يفحص وجوههم أن وقوع القتيل بوبنجا فى غرام الآنسة بيتشى لم يكن إلا شيئا طبيعيا لا سيما وكان معروفا عن الفقيد أنه كان قبل زواجه زير نساء وشتان مابين السيدة بوبنجا والآنسة فبينما هذه الأخيرة لها نضارة

الصبا وصدر وردى اللون يزينه نديان بارزان إلى الأعلى ويترجرجان تحت القميص كلما مشت أو تحركت بما يثير الشهوة فى الرجل من أضراب الفقيد وغيره ، كانت الأولى لا يتميز صدرها الأملس بشىء عدا نديين مترهلين يتدليان إلى الأسفل ويضاف إلى ذلك إنها كانت بعيدة عن حب المرح والسرور ملتزمة دائماً الجدية فى حركاتها وعباراتها إذا تكلمت وكل ذلك كان من الأسباب التى دعت الفقيد لأن يطعن عقد الزوجية عدة طعنات بالغة سواء بالوقوع فى غرام الآنسة بيتشى أو غيرها وربما كان انفراد الآنسة بيتشى بجمالها هو الدافع المهم لمروق الفقيد من تحمل أمانة الزوجية لأن من كان من النساء يغشى المجتمعات العائلية مع الفقيد لا يبز الآنسة بيتشى فى شىء سواء من هذه الناحية أومن ناحية خفة الروح والمغناطيسية المعنوية فالآنسة آنى أخت زوجة القتيل كانت ذميمة الخلقة دائمة الإنطواء على نفسها كأنها تخفى فى صدرها سراً رهيباً والسيدة حرم فيناند كانت مثال الزوجة الحقة والأمومة المحترمة المنصرفة لشئون منزلها كلية ولا تستلفت الأنظار فى المجتمعات بما يستهوى الرجال للتحدث معها سعياً وراء تبديد الكثير مما بهم من شجون الحياة أو رغبة فى تهوين ما يغشاهم فى أعمالهم اليومية من تعب ونصب وهكذا يتضح لكل ذى عينين فى تلك اللحظة كيف بدأت وبماذا انتهت الرواية التى هى عبارة عن مأساة من مآسى الحياة سببها عدم توافق قلبين واختلاف مشرب شخصين ويتبين بما لا شك فيه أن فى غرام الفقيد بوبنجا بالآنسة بيتشى تتركز أسباب الجريمة وفى علاقتهما وتطوراتها

ما أدى إلى النتائج التى أنتهت بمقتله لا سيما والفقيد قد سار فى مبدأ الأمر فى هذه العلاقة وما تمخض عنها شوطاً بعيداً قبل أن ينتبه فى آخر الأمر إلى الأغراض البعيدة التى كانت ترمى إليها الآنسة بيتشى بتوثيق أواصر العشق والهيام بينها وبين الفقيد الذى عميت عيناه منذ البداية فلم ير فى الآنسة بيتشى سوى نهديها البارزين إلى الأعلى وسوى جسمها الغض الذى كان يتلوى تحت ذراعيه فيسد عليه سبيل التفكير فى العواقب .

وبعد أن مرّ وقت غير قليل التفت الأستاذ جان ديكلوس إلى الضابط الفرنسى منهياً له إلى اقتراب موعد الإنصراف إذ حانت الساعة التى توافق فى ليلة الحادثة ذلك الوقت عقب الإنتهاء من محاضرته وسأله أن كان من الضرورى أستمرار تواجده مع باقى المدعوين فلم يزد الضابط فى رده عليه سوى أن أفهمه بعبارة مقتضبة بأن يبقى حتى يأذن له بالإنصراف ونهضت بعده الآنسة آنى مبدية أمعتاضها الشديد وهى تشرح للضابط وجهة نظرها فيما قام به حتى الآن بما أسمته بالمهزلة الرخيصة فى التحقيقات الجنائية والتى لا تقوم بأمثالها سوى إدارة الشرطة الفرنسية ولكن الضابط الفرنسى كان حصيفاً فكتم غيظه محاولا تهدئة بالها وأعلن فى كلمات واضحة إن الوقت قد حان للدخول فى إعادة تمثيل وقائع الحادثة «خطوة خطوة» ثم التفت مرة أخرى إلى الحاضرين فأستغرب أن لا يجد بينهم الطالب كورنيليوس الذى بعد بحث قصير وجده واقفاً على أنفراد فى ركن من الأيوان فسأله قائلا : —

— مالى أراك لم تأخذ مكانك فى الصف على كرسى مع باقى المدعوين ؟

— أنك لا بد وأن تذكر أنك قلت بأن يجلس كل واحد فى المكان الذى كان جالساً فيه ليلة الحادثة المشئومة والحقيقة أننى لم أكن في ذلك الوقت جالساً هنا بأيوان الفندق وأنما كنت جالساً بمقعد بأحد الملاهى السينمائية بدلفزايل مع نفر من أخوانى الطلبة ولم أكن حاضراً قط المحاضرة التى ألقاها الأستاذ جان ديكلوس فى تلك الليلة هنا .

فأكتفى الضابط بهذا الجواب ودعا الحاضرين للخروج وتقدمهم وهو يفتح باب أيوان المرقص النافذ إلى مقهي الفندق الذى كان مكتظاً بالزبائن من أهل دلفزايل حيث كان بعضهم يلعب البلياردو وبعضهم يدخن غليونه فى دعة وسكون أمام أقداح من مشروب الكحول الوطنى الهولندى ولم تفت النكتة الضابط فى هذه الآونة فألتفت للمدعوبين قائلا بعبارة لاذعة : —

— لا شك أنه فى تلك الليلة قبل الأنصراف نهائياً كان قد أجتمع حول المنصة التى كان يجلس عليها الأستاذ جان ديكلوس نفر غير قليل من وجوه وأعيان دلفزايل كأسقف الكنيسة والمدير العام للمدرسة البحرية وغيرهم يقدمون لأستاذنا العظيم فائق تهانيهم على محاضرته القيمة !! ولحسن الحظ أن جميع المدعوبين كانوا فى حالة من النعم والهم فمرت هذه اللاحظة الساخرة دون أن تحدث ما لا تحمد عقباه وما لبث أن تأبط الضابط ميجريه ذراع الأستاذ ديكلوس مبدياً لباقى المدعوبين رغبته فى السير وراءهم وقائلا على سبيل المباسطة : —

— سنتخذ الطريق إلى منزل الفقيد بوبنجا بنفس الترتيب الذى سبق أتباعه عقب انتهاء المحاضرة ولهذا أظن أن السيدة بوبنجا كانت فى المقدمة مصحوبة بالأستاذ ديكلوس وأما الآنسة بيتشى فكانت تسير برافقها الفقيد بوبنجا وراءهما ويمكنها الآن أن تسير وحدها فألحق بهما بعد قليل مكان الفقيد وأما آل فيفاند فيسيروا بعد ذلك مع طفليهما ويجىء بعدهم الطالب كورنيليوس مصحوباً بالآنسة آنى .

وما سمع الجميع ذلك حتى بادروا إلى اتخاذ هذا الترتيب والسير على مقتضاه ولاح على بعضهم علامات قلق زائد فبينما كان الطالب كورنيليوس فى حالة إنهيار تام يكاد يسقط من حوله لولا أنه وجد فى البكاء راحة إذ بالآنسة بيتشى تظهر تخوفها من سيرها منفردة خشية أن ينالها أذى من أبيها ولذلك بادر الضابط ميجربه وألتفت إلى الشرطى الذى كان يحراسته المزارع ليفين قائلا : —

— بما أن المزارع ليفين كان بمنزله فى تلك الليلة فيمكنك أستصحابه عائداً معه لمنزله حيث يقوم بإعادة ما فعله تماماً تلك الليلة .

وسار موكب المدعوين السالف ذكرهم صوب منزل الفقيد بشكل غير منتظم وكان بين كل جماعة منهم نحواً من المائة متر وكان الأستاذ ديكلوس يتكلم برقة وهو يطيب خاطر السيدة بوبنجا وتظاهرت الآنسة بيتشى وهى تمشي فى مقدمة الآنسة آنى بعدم الاهتمام وتمام الثقة بنفسها ولكن الحقيقة إنها كانت ترتعد خوفاً لسيرها وحدها غير مصحوبة بأحد فى هذا الليل البهيم الذى

كانت ذكرى الفقيد ومأساة قتله ترفرف فيه على أفكار الجميع ولهـــذا ظهر على بعض أفراد الموكب شيء من البلادة فنسوا ما قاموا به فى ليلة الحادثة وتوقفوا عن السير قليلا ليستوثقوا من سيرهم حتى يلحق بهم أفراد جماعة أخرى فيستأنفوا السير حين تعود إليهم الذاكرة عما كانوا ليلة الحادثة يفعلون وساد السكون الشامل شوارع بلدة دانفرايل لأستغراق أهلها جميعاً تقريباً فى النوم بعد أن أقفلت الحوانيت أبوابها فى الساعة التاسعة مساء وأطفأت أنوارها وكان منظر أفراد الموكب وهم يسيرون تحت أضواء فوانيس الشوارع المتباعدة والتى بسبب بعد المسافة فيما بينهما لم يكن الضوء كافياً إلا فى دائرة صغيرة تحت كل منها لا غير كمنظار الأشباح تظهر وتختفى فجأة كلما تلقى بعضها أثر البعض ضوء هذه الفوانيس .

ووصل الركب فى سيره إلى القرب من رصيف الميناء حيث ظهرت سفينة القاول أوستنج بلونها الأبيض البارز فى وسط اللون الأسود الداكن سواء ما كان للسفن الأخرى أو من صفحة ماء البحر . وفى هذه النقطة صاح فيهم الضابط ميجريه قائلا : —

— هل لكم جميعاً أن تقفوا فى أمكنتكم قليلا .

فسرت فى الجميع رعشة وجل وخوف وتسمروا فى أمكنتهم وكان النور المنبعث من المنارة يمر عليهم بين الفينة والأخرى فيظهرهم كالمفاريت التى تروح وتغدو فى بعض الألعاب أمام المتفرجين وعندئذ سأل الضابط ميجريه الآنسة آنى قائلا : —

— هل المكان الذى تقفين فيه الآن هو نفسه الذى وقفت فيه عند ما خرجت من الفندق فى طريقك للمنزل ليلة الحادثة ؟

— نعم .

— وأنت يا كورنيليوس بارنز ؟

— أرجح ذلك .

— لقد كنت بصحبة الآنسة آنى فى تلك الليلة التى حدثت فيها الحادثة فهل يمكنك أن تؤكد ما قلته الآن ؟

— نعم وأعتقد أن ما ذكرته هو الصحيح لأنه بعد عشرة أمتار من مكان وقوفى الآن استلفتت الآنسة آنى نظري إلى السترة الخارجية لأحد طفلى آل فيناند وقد سقطت عن كتفه وكان يجرها فى سيره وراءه على الأرض وكاد يفقدها لولا أنها كانت مربوطة إلى جسمه بأزار يلتف حول وسطه .

— وطبعاً بادرت لما سمعت ذلك فسبقت الآنسة آنى بضعة خطوات لتقترب من آل فيناند وتخطرهم بما رأيته بشأن طفلهم .

— نعم وبعد أن اتخذت السيدة فيناند اللازم نحو تثبيت السترة على جسم طفلها استأنفت السير مع زوجها واضطررت لأن أبقى فى مكاني قليلا حتى لحقت بى الآنسة آنى .

— وهل لم تلاحظ شيئاً غير عادى فى ذلك الوقت ؟

— كلا .

وبعدئذ التفت الضابط المدعوين وخاطبهم جميعاً قائلا : —

— والآن أرجوكم أن تستأنفوا سيركم لعشرة أمتار لا غير ثم تقفوا بعد ذلك .

ولما تم ذلك تبين أن مكان وقوف الآنسة آنى بصحبة الطالب كورنيليوس بارنز كان فى مواجهة سفينة المقاول أوستنج وطلب الضابط ميجريه من الطالب بارنز أن يسير نحو آل فيتاند ليقف إلى جانبهم والتفت إلى الآنسة آنى وقال لها بأن تلتقط كاسكيت كانت موضوعة على سلم السفينة وكان من السهل رؤيتها فى مكانها لأن الشعار المعدنى المثبت فيها كان يلمع من وقت لآخر تحت الضوء المنبعث من المنارة وقبل أن تفعل ما أمرت به قالت الآنسة آنى : —

— ولماذا تريد منى فعل ذلك ؟

— قلت لك أن تفعلى ما أقوله دون مناقشه .

— ولكننى لم أفعل ذلك فى تلك الليلة .

— هذا لا يهم . لسنا الآن كاملى العدد كما كنتم فى ليلة الحادثة فيقتضى أن يمثل أحدنا عدة أدوار بعضها قام به غيره علاوة على دوره هو شخصياً .

فلم تر الآنسة آنى إلا الرضوخ لما أمرها به الضابط ميجريه الذى طلب إليها فى الوقت نفسه أن تخفى الكاسكيت تحت طيات معطفها وبعد

ذلك قام الضابط ميجريه متجها صوب سلم السفينة صاعداً عليه وما وصل إلى قمته حتى نادى على زميله الهولندى باينكامب الذى ظهر فى شباك غرفه القيادة الكائنة فى مقدمة السفينة وما لبث إلا أن خرج منهـا ليعود مع الضابط إلى الغرفة ليستطيع أن يرى بنفسه كيف كان المقاول أوستنج ليلة الحادثة كما جاء فى أقواله حيث رأى من يختطف كاسكيتته من فوق سلم السفينة دون أن يراه أحد فى جلسته فى ذلك الوقت وكان المقاول موجوداً فى الغرفة بحراسة نفس مفتش البوليس الهولندى الذى طلب منه الضابط أن يكلف المقاول بأعادة تمثيل هذه الواقعة مرة أخرى وبعد أن تم ذلك بحضوره عاد الضابط الفرنسى ليلحق بموكب جماعة المدعوين وطلب إليهم أن يستأنفوا السير متخذاً لنفسه مكانه بجوار الآنسة بيتشى حيث كان يمثل دور الفقيد بوبنجا وقالت الآنسة بيتشى له : —

— أن عقلى ليقصر عن فهم كل ما يدور الآن .

— صه . لا تتكلمى إذ يسمعنا بدون شك من يتقدمنا أى السيدة بوبنجا والأستاذ ديكلوس ومن يأتى خلفنا وهم آل فيناند وأظن أن الفقيد كان يتعمد التحدث إليك فى تلك الليلة بصوت مسموع وفى شئون المحاضرة التى سمعتموها من باب إخفاء ما كان بينكما من تلاصق فى الجسم وتشابك بالأيدى ؟

— نعم هذا ما حصل .

— وأظن أنك بصوت خافت وجهت إليه بعض اللوم ؟

— كيف أمكنك أن تعرف ذلك ؟

— هذا شيء بسيط . ألم تحاول أثناء المحاضرة بالفندق وكنت جالسة إلى جواره أن تمس يديك يديه وكان أن نبهك إلى عدم فعل ذلك بشيء من الخشونة ؟

— نعم هـذا حصل — ولقد أجابت الآنسة بيتشي وهي تنظر إلى الضابط بعينين مشدوهتين من فرط استغرابها أن يقف الضابط على هذه الحقائق .

— ولـكنك بعد قليل عُدت إلى فعلك ؟

— نعم . واستغربت هذه المرة هذا الحذر الذي لم يكن يتخذه معي قط فيما مضى في مناسبات مشابهة حتى لأذكر أنه كان جريئاً معي وأنه كان يختلس مني القبـــلات وراء الأبواب بمنزله بالرغم من وجود زوجته على مسافة قريبة ولهذا كله لم أفقه أسباب حذره هذه المرة .

— ولهذا السبب قلت أثناء سيرك بتوجيه اللوم له على هذا المسلك الذي لم يكن قد اتخذه معك من قبل وكررت عليه طبعاً رغبتك الملحة في ضرورة الفرار سوياً إلى الخارج !

ولما اقترب من الموكب من منزل آل بوبنجا تكاثرت أصوات المتكلمين في المقدمة كان الأستاذ ديكلوس لا يفتأ ينتقد الأجراء الذي

قام به الضابط ميجريه مشيراً إلى ما فيه من مخالفة لجميع القواعد المتبعة فى التحقيقات الجنائية وفى المؤخرة كانت السيدة فريناند توالى الكلام بالهولندية مع طفلها موجهة لها عبارات التوبيخ والتأنيب وكان الظلام يخيم على منزل آل بوبنجا وتقدمت الجميع السيدة بوبنجا صوب باب الدخول استعدادا لفتحه ولكنها توقفت دون فتحة هنيهة قال عندئذ بمناسبتها الضابط ميجريه :

— لا شك أن هذا ما فعلتيه بالضبط ليلة الحادثة لأن مفتاح المنزل كان بطبيعة الحال مع زوجك الفقيد الذى كان يسير ورائك على بعد قليل .

— نعم .

— إذن أرجوك الآن فتح الباب وأظن ان الخادمة كانت مستغرقة فى نومها ؟

— نعم كما هو الحال الآن .

ولما فتحت السيدة بوبنجا الباب وأضاءت المدخل الموجود به مشجب الملابس دخل فى أثرها باقى المدعوين وقاموا بتعليق معاطفهم الخارجية وقبعاتهم بالمشجب وعندئذ قال الضابط ميجريه موجها كلامه للسيدة بوبنجا دائماً :—

— يلوح لى أن الفقيد زوجك كان مرحاً ومسرورا فى تلك الليلة .

— نعم كان مرحاً أكثر من المعتاد لأنه كان يكثر من الكلام

بصوت مسموع .

— وهل خلع جميع المدعوين أرديتهم الخارجية وعلقوها بالمشجب ؟

— نعم ماعدا أختى الآنسة آنى فقد صَعدتُ معها إلى الطابق الثانى لكى نصلح من زينتنا .

— وهل من صعدتما تواً لغرفة كل منكما بالطابق الثانى دون أن تدخلا أية غرفة بالطابق الأول الذى تواجد فى غرفة الأستقبال به باقى المدعوين ؟

— نعم .

— ومن الذى أضاء النور الكهربائى بغرفة الأستقبال ؟

— زوجى الفقيد كونراد .

— إذن تفضلى فقومى أمامى ومع شكرى سلفاً أرجوك إضاءة ردهة الأستقبال .

وبعد ذلك طلب منها الضابط أن تصعد معه إلى الطابق الثانى كما فعلت تلك الليلة وكان معهما أيضاً الآنسة آنى ثم قال لها : —

— ألم تلبث بعض الوقت الآنسة آنى بغرفتك التى لا بد لها أن تدخلها لتصل إلى غرفة مكتب زوجك الفقيد التى كانت مخصصة لها ؟

— كلا وهذا أرجحه .

— إذن أرجو من كل منكما أن يفعل تماما ما فعله تلك الليلة ويمكن

للآنسة آنى أن تضع جانباً معطفها وكذلك الكاسكيت التى أخذتها كما طلبته منها وقالت السيدة بومنجا : —

— كل ما فعلته إننى وضعت قليلا من المسحوق الأبيض على وجهى وصففت شعرى بعد تمشيطه قليـــلا — ثم ما لبثت أن ارتمت السيدة المذكورة على السرير تبكى وهى تقول — يا إلهى أن صورة زوجى الفقيد تتمثل أمامى الآن واسمع فى أذنى صرير آلة الراديو وهو يديرها ليسمع محطة باريس . أنه لشىء قاسى وفظيع !

وأنتظرت الآنسة آنى وهى واقفة فى وسط غرفة المكتب كالصنم وبعد إن خف الانفعال النفسانى بالسيدة بومنجا عاد الضابط يسألها : —

— وهل نزلت مع أختك سوياً بعد ذلك للطابق الأرضى ؟

— نعم وأظن يا إلهى أنى لا أتذكر بالضبط وربما نزلت آنى بعد أن نزلت وحدى بقليل ولقد كنت مهتمة بأن أسرع لأعداد الشاى للمدعوين

— إذن تفضلى فانزلى وحدك .

ثم ألتفت الضابط ميجريه للآنسة آنى التى وقفت إلى جانبه وحدها بالغرفة وأخذ من يدها الكاسكيت التى كانت ممسكة بها وألقى بها تحت الأريكة الموجودة بالغرفة والمستعملة كسرير للنوم أيضاً وبعد أن أدار ببصره فيما حوله قال لها :

— تعالى معى .

— هل تظن ...

— كلا تعالى معى وهل لم تضعى بدورك شيئاً من المحوق الأبيض على وجهك من باب إصلاح زينتك مثل أختك ؟

— لم أتعود استعمال هذه المساحيق قط .

قالت ذلك الآنسة آني وعيناها تلمعان لمعاناً غريباً إذ قد تلون الجلد فيما تحتهما بلون أزرق ونزلت مع الضابط بعد ذلك إلى الطابق الأسفل دون أن تنبس بكلمة واحدة ولم يسمع أحد لهما سوى صوت وقع أقدامهما على درجات السلم الخشبي حتى إذا استويا فى غرفة الإستقبال كان السكون مخيماً على الموجودين بشكل أقرب لتصويرهم فى وضع التماثيل المصنوعة من الشمع والموضوعة فى متاحف التماثيل الشمعيه التى تبرز للوجود فى صور شبه حيـــه بعض النواحى والأوضاع فى تاريخ بعض الشخصيات وكان الكل فى الغرفة وقوفا وكأن على رأسهم الطير ماعدا السيدة فيناند التى كانت تحاول تهدئة طفلها وتربت على رأســه وجسمه وخاطبهم الضابط ميجريه قائلا :—

— أرجوا من كل منكم أن يجلس بقدر الإمكان فى المكان الذى كان جالساً فيه بهذه الغرفة ليلة الحادثة .

وقام الضابط بعد ذلك صوب آلة الراديو يحرك أزرارها حيث إذاعت عزف بعض مقطوعات فرنسيه منها محاورة فى تمثيلية فرنسية تتألف من شخصية

كولونيل وضابط بالجيش الفرنسى وكان هذا الأخير مصوراً فى صورة الرجل الطيب القلب على نقيض الكولونيل ثم عاد الضابط يؤكد للحاضرين ضرورة جلوسهم ودعاهم للتكلم سوياً كما كانوا يفعلون ليلة الحادثة وطلب سرعة إحضار الشاى ثم توجه صوب أحدى النوافذ فوجدها جميعها مقفلة فخرج من الباب وهو يصيح بأعلى صوت : —

— بايفكامب .

— نعم ها أنذا — وكان الرد صادراً من مفتش البوليس الهولندى صوب الحديقة المحيطة بالنزل .

— هل هو موجود معك الآن ؟

— نعم أنه واقف وراء الشجرة الثانية خارج سور الحديقة وتجدنى بجواره وراء الشجرة الأولى .

وعاد الضابط بجوار آلة الراديو حيث أنتهت مقطوعة المحاورة التمثيلية إذ قال المذيع « هذه هى اسطوانة أوديون رقم ثمانية وعشرين ألف وستمائة وخمسين وسبعين » وبعدئذ عادت الأذاعة بعد قليل لسيرها بأن أذاعت قطعة من الموسيقى الراقصة المسماة « جاز » والتى أعتاد الناس على الرقص على أنغامها وعندئذ رأى الضابط ميجريه الآنسة بيشى وهى مسندة رأسها بين يديها إلى حافة الأريكة الجالسة عليها وهى تبكى بكاء مراً وتنوح بصوت خافت قائلة مسكين يا كونراد وكان الطالب كورنيليوس يجز على

شفتيه حتى لا تخرج من فمه الآهات التى تدل على ما بنفسه من ألام مبرحة أزاء ما يراه بعينيه ويسمعه بأذنيه من الآنسة بيتشى واعتدل الضابط متجها إلى الآنسة آنى قائلا : —

— أين الشاى ؟ — وأجابته الآنسة آنى قائلة .

— أظن أن الوقت فى ليلة الحادثة لم يكن قد حان لتقديم الشاى لأن الرقص كان قد بدأ فى هذه اللحظة حيث رفعت السجادة وقام كونراد يدعو الحاضرين ليراقصهم .

ونظر الضابط ميجريه إلى السجادة التى كانت إلى وقت قصير يمشى عليها كونراد الفقيد والتى رفعها ليراقص الآنسة بيتشى التى زاد إجهاشها فى البكاء وقد اختلط به أيضاً بكاء طفلى آل فيناند يريدان الإياب لمنزلهما حيث تغلبت عليهما رغبة النوم إذ لم يكن يهمهما ما يجرى حولهما .

الفصل العاشر

الفرصة السانحة

وقام الضابط ميجريه يمشى قليلا صوب باب الدخول لردهة الإستقبال وما عتم إن وقف فيه يسد مدخله بجسمه الضخم حيث ولاه ظهره وواجه الحاضرين وهو يقول بصوت يكاد يذوب رقة وأنسانية وأن كانت أمارات الجد قد بدت بوضوح تام على وجهه وكأنه فى الوقت نفسه لا يريد أن يشعر أحداً من الحاضرين أنه يوجه الكلام خصيصاً له : —

— فى تلك الليلة المشئومة كانت الموسيقى المنبعثة من آلة الراديو مستمرة فى العزف وتقدم الطالب كورنيليوس بارنز يساعد أستاذه كونراد بوبنجا الذى قام يطوى السجادة المفروشة فى أرض الغرفة إستعداداً للرقص وما لبث إن وقف قليلا يستمع إلى ما تتحدث به زوجته والآنسة آنى تمشيا منه مع قواعد اللياقة الإجتماعية وكان آل فينانت يتهامسان فيما بينهما للاتفاق على الاستئذان بالانصراف بحجة حالة طفليهما ثم تناول كونراد بوبنجا كأساً من الكونياك وكان هذا وحده كافياً ليستثير الشهوة فيه فكان يضحك ويطرب وأخذ يقترب من الآنسة بيتشى يدعوها للرقص معه وكل

ذلك يحدث والقاتل قد بيت النية على قتله فى هذه الليلة وكان هذا القاتل يرقب بوبنجا وهو يراقص الآنسة بيتشى وفى صدره فقط دون أحد غيره قبع ذلك السر الرهيب بأن هذا الرجل المرح المتهافت على ملذات الحياة وأطيابها ستخمد أنفاسه بعد ساعتين على الأكثر .

وما كاد الحضور يسمعون الضابط وهو يناجى نفسه بهذا الكلام حتى شعر الكل بأن الصاعقة التى كان يترقبها الجميع قد دنت فالسيدة بوبنجا التى كانت أثناء كلام الضابط قد سمرت بصرها أرضا قفزت واقفة دون أن تخرج كلمة من فمها والآنسة آنى استمرت فى تحريك جفونها بحركة عصبية فى وجه الضابط وأما الآنسة بيتشى فقد انفجرت الدموع من مآقيها . وتمثل أمام الجميع القتيل وهو يرقص ويمرح وسرى فيهم شعور بأن القاتل موجود بينهم يراقب بعينيه فريسته وهو يحصى عليها حركاتها وسكناتها ومالبث أن قال الأستاذ جان ديكلوس بصوت عالٍ إذ قصد أن يسمعه الضابط الفرنسى : —

— هذا كثير وكثير جداً . والآن قد فهمت الطريقة التى أستعملت وهى ليست بالطريقة الجديدة المبتكرة فى محيط التحقيقات الجنائية إذ من المعروف أنه يمكن دفع المجرم إلى الإعتراف بواسطة التأثيرات النفسانية المبنية على سريان الخوف فى قلبه بوضعه فى مثل الجو والوسط الذى ارتكب فيه جريمته وإعادة تمثيل الوقائع بشكل يوحى إليه بأن الأمر قد أصبح مكشوفاً ومعروفاً وبذلك يصير إستدراجه ببعض الأسئلة بما لا يلبث معه

إلا أن يقرر الحقائق كاملة وهذه الطريقة تؤدى أحياناً إلى كثير من الأخطاء إذ ثبت فى بعض الأحوال وهى ليست بقليلة إن من كانت تحوم حوله الشبهة يضطر من شدة فزعه للاعتراف بارتكاب جريمة هو برىء منها وبعبارة أخرى من المقرر أن استعمال هذه الطريقة محفوف دائماً بالشك لأن الإعتراف الذى يصير الحصول عليه فى مثل هذه الأحوال يعتبر إعترافاً إن لم يكن مزيفاً فعلى الأقل صار الحصول عليه تحت تأثير الإكراه الأدبى ولا يكون إعترافاً كاملا وسليما من الوجهة القانونية .

وذهب كلام الأستاذ أدراج الرياح إذ لم يعره أحد من الحاضرين أى إلتفات لا سيما وأن صوت الموسيقى التى كانت تصدر من آلة الراديو تضاعفت قوته بواسطة مكبر الصوت الموجود فى أحد أركان الغرفة وقام فيناند يهمس فى أذن زوجته ثم رفع بصره نحو الضابط ميجريه وقبل أن يبدأ كلامه فهم قصده الضابط فقال له : —

— نعم يمكنك يا سيدى أن تنصرف مع زوجتك وطفليك الآن .

ولما دقت الساعة الملقة بأحد حوائط غرفة الاستقبال العاشرة وخمس دقائق فى المساء قال الضابط للآنسة آنى : —

— هل يمكن الآن تقديم الشاى ؟

— نعم .

ولما قامت الآنسة آنى صوب المطبخ لتحضر الشاى سأل الضابط الفرنسى السيدة بوبنجا قائلا : —

— معذرة ألم تذهبي فى تلك الليلة مع أختك للمطبخ لأعداد الشاى ؟

— نعم .

— وهل كان ذهابكما سويا ؟

— كلا ذهبت لألحق بها بعد قليل من خروجها .

— وهل وجدت أختك بالمطبخ ؟

— لا أتذكر بالضبط وإنما متأكدة إنه عند دخولى المطبخ رأيت أختى قادمة من غرفة الطعام المجاورة للمطبخ إذ أن السكر موضوعا بدولاب الحاجيات الموجود بغرفة الطعام « البوفيه » .

— وهل كان النور بالمطبخ كافياً لتتميزى الأشياء ؟

— لا أتذكر وأعتقد أن النور لم يكن مضاءاً .

— وهل لم تقولى لأختك شيئاً لما رأيتها قادمة إلى المطبخ ؟

— نعم أذكر أنى قلت لها وقتئذ إنه يجب فى نظرى أن لا يكثر كونراد من شرب الخمر وإلا فأنه لن يراعى أدب الاجتماع فى حركاته وكلامه .

واتجه على ذلك الضابط الفرنسى إلى الممر المؤدى إلى المطبخ فى الوقت الذى أغلق فيه آل فينانديا باب المنزل عند خروجهم وكان مطبخ المنزل تحفة أو آية من آيات النظافة والترتيب ورأى الآنسة آني وهى مكبة على موقد الغاز لتحقق من غلى الماء داخل الآناء المعد للشاى فاقترب منها وقال لها بصوت خافت : —

— لا داعى لعمل الشاى أو تقديمه للمدعوين .

وأنتهزت الآنسة آنى فرصة وجودها على أنفراد مع الضابط وبدلا من أن تسأل عن السبب فى عدم تقديم الشاى للمدعوين سألته فى لهجة حازمة قائلة : —

— لماذا أجبرتنى أن آخذ الكاسكيت من سلم سفينة القاول أوستنج ؟

— هذه مسألة غير مهمة ولا تفكرى فيها كثيراً وتعالى معى نعود إلى المدعوين — وهنا تدخل الأستاذ جان ديكلوس قائلا : —

— هل عزمت على ترك هذه الموسيقى تدوى إلى ما لا نهاية ؟

— ربما أحتاج الحلال لتركها مدة طويلة أخرى إذ لابد من سؤال شخص آخر ليس بين الحاضرين وهذا الشخص هو خادمة المنزل فأرجو دعوتها — فنظرت السيدة بوبنجا إلى أختها آنى التى أجابت على الفور .

— أنها الآن نائمة إذ من المتبع أن تأوى يومياً لفراشها فى الساعة التاسعة مساء .

— معذرة فيجب أن أسألها الآن فى بعض الأمور الهامة ويمكن أن تحضر دون حاجة لأن تغير ملابس نومها — ثم عاد الضابط لتلك المناجاة التى كان بدأها قائلا : —

— وأما أنت يا آنستى بيتشى فكنت ترقصين مع الفقيد كونراد وفى ركن من أركان هذه الغرفة كان بعضهم يتكلم فى مسائل جدية وكان هناك

شخص واحد يعلم بأنه سيكون هناك بعد قليل من سيموت وأن هذه هى آخر ليلة فى حياة كونواد السعيدة .

* * *

وما لبث إن سمع الجميع وقع أقدام بالطابق الأعلى ظهر بعد قليل من سماعها شبح الأنسة آنى فى فتحة باب غرفة الاستقبال المؤدى للدور الأعلى كما ظهر وراءها شبح خادمة المنزل وقال الضابط موجها كلامه للآنسة آنى : —

— أرجو أن تدعيها تدخل علينا هنا وقولى لها بأن لا تخشى شيئاً .

ودخلت الخادمة وكانت عيناها لا يزال يبدو ما كان لسلطان النوم من أثر فيهما وكانت متشحة برداء خارجى طويل يستر قميص نومها الذى يتدثر به عادة عند الاستلقاء فى السرير ، ثم التفت الضابط إلى الأستاذ ديكلوس قائلا :—

— أرجوك أن تكون المترجم بينى وبينها وقل لها أولا عما إذا كانت محظية الفقيد بوبنجا ؟

فظهرت على وجه السيدة بوبنجا ومضة اشمئزاز شديدة وصرخت الخادمة دليلا على ما يحز فى نفسها من ألم بأن تهاجم فى أخص شئون حياتها الخاصة علناً أمام أهل البيت الذى تعمل كخادمة فيه ولم تقبل أن تتفوه بكلمة وإنما اكتفت بأن هزت رأسها علامة النفى فأضطر الضابط لأن يعيد نفس سؤاله ملحاً فى طلب الجواب صراحة عنه ولكن الرد فى المرة الثانية

لم يكن ليختلف عن المرة الأولى ولهذا اتخذ الضابط لهجة شديدة قائلا للأستاذ ديكلوس لكى يترجم السؤال حرفياً :—

— قل لها بأنه من الخير لها أن تدلى بالحقيقة فتوفر على نفسها دخول السجن عقاباً لها على شهادة الزور ويمكن لتسهيل الحصول منها على جواب شاف إن نقسم السؤال إلى قسمين فتبدأ بالشطر الأول بأن تسألها عما إذا كان الفقيد قد اختطف منها القبلات من وقت لآخر ، ثم تنتهى بالشطر الثانى بأن تسألها عما أنه كان الفقيد قد انتهز فرصة وجودها أحياناً وحدها طبعاً بغرفتها المخصصة لها فوق الطابق الأعلى المعروفة بكلمة المخزن « Grenier » ولبث معها فيها .

فلما ترجم الأستاذ ديكلوس هذه العبارة أخذت الخادمة تبكى وتولول قائلة : —

— إننى لم آت أمراً إداً ولم أفعل شيئاً منكرا .

ولاشك إن مسلك تلك الخادمة كان يدينها أكثر مما يبرئها لأنها سقطة منها أن تتردى فى هاوية البكاء والنحيب للرد على سؤال كان يكفى فيه إن كان الأمر على خلاف ما اتجهت إليه الشبهات مجرد النفى بكل ثبات ورباطة جأش ولهذا السبب نظرت إليها الآنسة آنى نظرة احتقار وهى تقول : —

— لاشك عندى أن الفقيد قد اتخذ منها عظية وهذه هى الحقيقة مائة فى المائة — وهنا عارضها الأستاذ جان ديكلوس فى هذا القول وإن كان

قد سلم بأن هناك ولا شك بين الفقيد والخادمة علاقة أقتصر الأمر فيها على مجرد تبادل القبلات والتواجد بغرفتها على أنفراد فى وقت كانت فيه الخادمة فى ثيابها الداخلية لاغير .

واستمع الضابط فى صمت إلى هذا النقاش ثم أشار إلى الخادمة بالانصراف لتأوى إلى مخدعها ولكنها لم تلبث أن اختفت عن نظر الحاضرين حتى سمعت حركة وقع أقدامها بالسقف بشكل غير منتظم ومتلاحق الأمر الذى أثار الريبة فى نفس الضابط ميجريه فأشار على الآنسة آنى لتصعد إلى حيث الخادمة وترى ما تصنع وصدعت الآنسة للأمر وغابت قليلا ثم عادت تقول بأن الخادمة قدحزمت حقائبها وأصرت على ترك المنزل فوراً معللة بانتهاء خدمتها وترجو من السيدة بوبنجا أن تغفر لها خطيئتها وأنها أصبحت مضطرة أن تبحث عن عمل آخر فى غير بلدة دلفزايل لاستحالة ظهورها فيها أمام الناس بعد أن افتضح ما كان مستوراً — ونظرت الآنسة آنى إلى الضابط ميجريه شذرا قائلة :—

— لعلك الآن مستريح البال إذا كان هذا هو كل ما قصدته وأقمت وأقعدت الدنيا من أجله .

ولكن الضابط تعمد عدم الرد بشىء ودقت عندئذ الساعة مؤذنة بأن الساعة بلغت الحادية عشر والدقيقة الأربعين وأعلن المذيع من المحطة الباريسية التى كانت آلة الراديو تذيع أثناءها إنتهاء برنامج الإذاعة فى هذه الليلة بتلك الجملة التقليدية « ليلة سعيدة ياسيداتى وآنساتى وسادتى » وساد

سكون عميق لم تتخلله سوى أنغام خفيفة لموسيق تنبعث من محطة أخرى على موجة بعيدة كانت تصاحب الموجة التى كانت آلة الراديو معدة لها لسماع محطة باريس فقام الضابط الفرنسى وأسرع نحو الراديو وحرك أزراره وأقفله نهائياً ثم عاد ليستأنف مناجاة نفسه بصوت مسموع قائلا :—

— « ولقد استمر الحضور بعد ذلك يتحدثون » .

ثم التفت فجأة للسيدة بوينجا قائلا :—

— إنى أطلب المعذرة فيما سببته لكم جميعاً هـــذه الليلة من الآلام ولكن إذكرى يا سيدتى أن زوجك كان بالأمس فى هذه الغرفة حياً تجرى فى عروقه مياه الحياة الفتية وكانت تبدو على محياه أمارات الشباب وكان يترع كؤوس الكنياك وهو فى غفلة من أمر نفسه ولا يعلم أن عينين فى هذه اللحظة كانتا ترقبانه لتنفيذ النية المبيتة على قتله ولا شك أن هذه الحقيقة أصبحت ظاهرة لكم جميعاً — ومع ذلك أرى إصراراً عجيباً من جميع الحاضرين على عدم الإفضاء بما فى صدورهم لتنكشف الحقيقة عارية عن كل ما يكتنفها من بعض الغموض كأن الجميع هنا شركاء لذلك القاتل الذى كان موجوداً بينهم يتحين فرصته .

ثم التفت إلى الطالب كورنيليوس بارنز وقال :—

— أليس الأمر كذلك يا بارنز ؟ .

— كلا وألف كلا فلست واحداً ممن قلت ووصفت — وذكر الطالب

هذه العبارة وقلبه يكاد ينخلع من الهلع وأطرافه ترتعش من الاضطراب -

— إذن لم أراك ترتعد خوفاً ورعباً ؟

— إننى . . . إننى — ولم يستطع الطالب أن يكمل كلامه لأنه كان على وشك أن يسقط مغشياً عليه كما فعل فى المرة الأولى التى تقابل فيها مع الضابط لما اقتفى أثره فى الطريق إلى الغابة القريبة من مزرعة ليفين ولكن الضابط لم يأبه لحالة الطالب النفسانية وتابع كلامه قائلا :—

— تذكر يا بارنز جيداً لقد كانت الساعة قد أزفت لخروج الآنسة بينشى مع الفقيد كونراد بوبنجا لتعود إلى منزلها وفى تلك الليلة خرجت أنت ورائهما واقتفيت أثرهما مسافة غير قليلة . ولقد أمكنك طبعاً أن ترى شيئاً ؟ .

— كلا . كلا . لم يحصل شىء من ذلك .

— لا تقاطعنى واصغ إلى ما أقوله للنهاية . بعد خروجك لم يبق بالمنزل سوى السيدة بوبنجا وأختها آنى والأستاذ ديكلوس الذين صعدوا بالتو إلى الطابق الأعلى حيث آوى كل منهم إلى غرفته المخصصة له فقل لى يا بارنز ماذا رأيت ؟ .

— كلا . كلا لم تقع عينى على شىء .

— ألم تر المقاول أوستنج مختبأ وراء أحد الأشجار خارج سور الحديقة المحيطة بالمنزل .

— كلا . كلا .

— ولكنك عند خروجك من المنزل فى تلك الليلة ، قمت وسرت حول المنزل من الخارج فلا بد مثلا من أنك رأيت شيئاً ؟ .

وما وصل الضابط فى كلامه وأسئلته التى انهال بها على الطالب الى هذا الحد حتى جمد الدم فى عروق هذا الأخير وأقفل فمه بأصرار عجيب ونفرت عيناه الغائرتين فى وجهه النحيف الذى انهار شحوباً ولم تمض برهة حتى كاد يسقط من طوله أرضاً لولا أن الضابط ميجربه أسرع فسنده ثم تأبطه من ذراعه برقة وعاد يتابع أسئلته إليه بدون شفقة .

— دعنى أساعدك على التذكر فلقد رأيت أولاً فى الطريق شيئاً أى الفقيد والآنسة يتشى حيث كانا يسيران جنباً إلى جنب على دراجتيهما وهذا لا شك فيه لأنه من السهل عليك أن تراهما كذلك على الأقل فى النقطة التى كان يقع فيها الضوء المنبعث من منارة البناء ولا شك أن النيرة كانت تأكل صدرك منذ البداية فازداد غلك لما وقع بصرك على هذا المنظر الأمر الذى جعلك تنتظر طويلا لأن الوقت الذى استغرقته منذ خروجك لحين عودتك للسفينة المدرسية لا يتفق ومسافة الطريق التى قطعتها .

ولم يلبث أن انهارت كل مقاومة لدى الطالب فقال بصوت خافت كمن يتكلم وهو فى حشرجة الروح :—

— نعم . نعم هذا صحيح .

واستأنف الضابط هجومه بأسئلته قائلا : —

— وبعبارة أخرى أن الفقيد بوبنجا والآنسة بيتشى خرجا يتحدثان سوية بعيداً عن الأنظار فى المكان المقام فيه مخزن الأخشاب وأصلاح السفن الواقع على قناة الأمستردیب وكان هذا المنظر وحده كافياً ليستثيرك أو يدخل اليأس فى قلبك الذى شعر بهزيمة فى ميدان الحب الذى كان قد خاضه ولكن لم يكن قط هذا ما يسبب هذه الهواجس التى استولت عليك فأصبحت ترتعد خوفاً وأصبحت منذ وقوع الحادثة كريشة فى مهب الريح فهناك منظر آخر هو الذى أدخل الرعب فى قلبك وتسمرت فى مكانك ولم تستأنف السير تواً لمدرستك وهذا الشيء قد رأيته أثناء سيرك فى الطريق المؤدى إلى مخزن الأخشاب وأصلاح السفن وفى هذه النقطة لا يوجد شيئاً يمكن أن يراه الإنسان سوى منزل الفقيد الذى كان الظلام يكتنفه من جميع النواحى عدا نافذة واحدة كانت أقل حلكة عن باقى المنزل بسبب بصيص النور المنبعث من داخل الغرفة التى بها هذه النافذة .

وما سمع الطالب هذا الكلام حتى انفجر كمن به مس من الجنون صائحاً : —

— يا إله السماء ! أنه لمن المستحيل أن يتصور أن ترى هذه التفصيلات بكل دقة كأنما كنت معى فى تلك الليلة !!

— لقد كان هناك فى تلك النافذة التى رأيتها شخصاً وقد فهمت طبعاً

أن هذا الشخص قد رأى بعينيه ما رأيته أنت من تسلل الفقيد والآنسة بيتشى وراء جدران مخزن الأخشاب وإصلاح السفن ليكونا فى خلوة بعيداً عن الأنظار .

وهنا تدخلت السيده بوبنجا قائلة إنها كانت هذا الشخص الذى وقف يرى ذلك فى النافذة — وغطت فى هذه الآونة الآنسة بيتشى وجهها بيديها بشكل يدعو للقول إنها مثلت ذلك أما حقاً أو رعبا وحسرة .

* * *

وخيم السكون مرة أخرى على الحضور بالغرفة لما توقف الضابط عن الكلام وكان الجو خارج المنزل ينذر بقرب هبوب عاصفة بينما أخذ شعور الحاضرين بالغرفة يتنبأ بوقوع كارثة أخرى بداخل المنزل وقد تكون آثار العاصفة الجوية فى مبانى المنزل مما يسهل أصلاحه ولكن لاسبيل إلى إصلاح ما تهدمه تلك الكارثة فى البنيان العائلى .

وقام الضابط الفرنسى نحو الباب الخارجى لغرفة الاستقبال يفتحه وينادى على مفتش البوليس الهولندى قائلا :—

— أرجوك أن تحضر عندى هنا بغرفة الأستقبال وتترك المقاول أوستنج وراء الشجرة مختـــورا بأحد من رجالك ولعلك قد رأيت النور ينبعث من إحدى نوافذ غرف منزل آل فيناند المجاور ثم انطفاء النور بعد قليل ولا شك أنك توافقنى على أن ذلك معناه وصول آل فيناند لمنزلهم ثم استلقاء كل منهم فى سريره ليغط فى نومه .

— هذا صحيح ومنطق — قال ذلك مفتش البوليس الهولندى وهو يكاد يكون مذهولا إزاء منظر الموجودين بغرفة الاستقبال لما دخل فيها

فإذ رآهم بوجوه شاحبة وأعين شاردة كأنهم لم يذوقوا طعم النوم منذ ليالٍ كثيرة .

— أرجوك أن تبقى هنا قليلا لأنني سأخرج مع الآنسة بيتشي لاعباً دور الفقيد وأرجو أن تعود السيدة بوبنجا إلى الطابق الأعلى وكذلك أختها الآنسة آني والأستاذ ديكلوس وليقم كل منهم بإعادة تمثيل ما قام به في تلك الليلة المشئومة .

وخرج الضابط ميجربه بعد ذلك مصحوبا بالآنسة بيتشي واتجها سويا صوب حظيرة الدراجات بالمنزل وأخذ كل واحد منهما دراجة كانت إحداهما تلك التي كان يستعملها الفقيد لنفسه والأخرى كانت بالمنزل مخصصة لركوب السيدات وقال الضابط الفرنسي للآنسة وهو يسير على دراجته إلى جانبها :—

— من منكما إقترح التوقف قليلا للتحدث سوياً ؟

— كونراد نفسه .

— هل كان مستمراً في مرحه وطربه كما كان معك أثناء الرقص بالمنزل؟

— كلا فإنه ما كاد يغادر معي المنزل حتى التزم الصمت وبدا مفكراً مهموماً وحزيناً مكتئباً .

— ها قد وصلنا الآن إلى مخزن الأحشاب وإصلاح السفن فلننزل ولنبق به قليلا كما فعلت مع كونراد تلك الليلة — وهل تعتقدين إن حالته

النفسانية قد تغيرت بالنسبة لك فى تلك اللحظة ؟

— لا يمكننى أن أقطع بشىء فى ذلك فقد أكون مخطئة إذا قلت نعم وقد أكون مصيبة إذا قلت لا. وكل ما لاحظته عليه فى تلك الليلة عقب مغادرتنا المنزل هو سكوته ووجومه وأعتقد أن ذلك سببه رد الفعل الذى نزل به لكثرة ما تناوله من الكونياك ثم أنه بمجرد ما وضعنا دراجتينا جانباً أستعداداً للجلوس سوياً أخذنى فجأة بين ذراعيه وقال لى بصوت متهدج أنه رجل تعس حقاً وأننى بنت طيبة القلب جاءت بعد فوات الأوان وأنه إذا لم يضع حداً لعلاقتى به فستقع به حتما مصيبة وينتهى الأمر بيننا إلى كارثة .

— وأين وضعتما الدراجتين ؟

— هنا إلى جوار حائط المخزن . ولقد رأيت الفقيد عندما كان يتكلم والدمع يترقرق فى عينيه وقد سبق لى رؤيته فى مثل هذه الحالة أحياناً لما كان يكثر من تناول الخمر . ثم مضى الفقيد يشرح وجهة نظره قائلا إن الأمر لا يضره كثيراً لأنه رجل ولكن الكارثة ستصيبنى وحدى لأننى لا زلت عذراء تلتمس مستقبلا زاهراً وأنه لشدة حبه لى لا يريد أن يكون هو السبب فى هدم هذا المستقبل وعلى ذلك تقدم لى بالنصح أن أتزوج بالطالب كورنيليوس بارنز إذ كان يرى فيه خير من يحقق أملى فى حياة زوجية سعيدة .

— وماذا قلت له رداً على ذلك ؟

— لقد تولانى فى تلك اللحظه شعور بخيبة الأمل فتملصت منه وصحت فى وجهه قائلة له بأنه وغد ولئيم وخائن للعهد الذى بينى وبينه وقمت مسرعة لدراجتى فحاول كونراد أن يوقفنى وقال لى وهو ممسك بدراجتى محاولا تهدأة روعى بأن أتريث قليلا ليشرح لى وجهة نظره شرحا قال بأننى سأرتاح له لأن الأمر كما قال يهمه كرجل .

— وما كان شرحه لنصيحته الأخيرة .

— لقد قطعت عليه كلامه لأننى كنت فى ثورة وهياج شديدين وصرخت قائلة له بأنه إذا لم يدعنى أسير بدراجتى فاضطر للاستغاثة . الأمر الذى إضطره وقتئذ على تركه زمام دراجتى فانطلقت بها لا ألوى على شىء وقام هو بعدى يقتفى أثرى ويكثر من ترديد عبارات لم أذكر منها سوى قوله « بيتشى . بيتشى إصغ إلى قليلا »

— وهل هذا كل ماحصل بينكما تلك الليلة ؟

— نعم وقد عاد الفقيد أدراجه لما وصلت إلى منزل أبى وهو كالطائر الحزين .

— وهل حاولت أن تعودى بدراجتك للحاق به لكى تسرى عن نفسه شيئا !

كلا لقد شعرت فى ذلك الوقت بمقت شديد له ليس لأنه أراد أن يتخلى عنى بل لأنه دبر فى نفسه أن أكون زوجة للطالب كورنيليوس بارنز

وحصل أنني بمجرد طرق باب الدخول لغرف منزلنا أفتقدت طريحتي الحريرية التي كنت أضعها على كتفي وتبينت أنني تركتها بمخزن الأخشاب أو في الطريق إليه فعدت سريعاً أدراجي ولم أبصر أحداً بالطريق ولما وصلت بالتالي لمنزلنا لم أجد أبي قد عاد بعد ولم ألبث قليلا حتى وجدته داخلا ولما رآني لم يوجه لي كلمة واحدة حتى ولا كلمة التحية التقليدية وكان وجهه شاحباً تعلوه صفرة شديدة وكان يجدجني بعينين تنمان عن القسوة والكراهية فتبادر إلى ذهني وقتئذ أن أبي ربما كان يراقبني عن كثب لما كنت مع الفقيد كونراد في مخزن الأخشاب وإصلاح السفن وزاد هذا الظن عندي وإضحى يقيناً لما تحققت أن أبي إنتهز فرصة غيابي لبضعة ساعات من النهار وقام بتفتيش غرفتي وأخذ منها الخطابات التي كان أرسلها لي كونراد لأنني لم أجدها لما حضرت وفي المساء حبستني في غرفتي أنتظاراً لما قد بيت النية عليه من قتلي كما تعلم .

— إذن تعالى معي الآن .

— إلى أين ؟

وأخذ الضابط الفرنسي الآنسة بيتشي من ذراعها دون أن يرد على سؤالها ببنت شفة وأتجه صوب منزل آل بوبنجا وكانت نافذة غرفة السيدة بوبنجا تلوح للناظر بكل وضوح حيث كان النور ينفذ من داخلها ولكن لم تكن السيدة بوبنجا مطلة منها — وقالت الآنسة بيتشي مخاطبة الضابط عما إذا كان يظن أن السيدة بوبنجا هي التي قتلت زوجها تحت تأثير عاطفة

الغيرة والأنتقام لخيانة عهود الزوجية فلم يرد عليهـا الضابط بشيء مباشرة غير أنه غمغم كأنه يناجي نفسه قائلا : —

— لقد عاد الفقيد فى تلك الليلة بنفس الطريق الذى أسلكه الآن وكانت نفسه قد طغى عليها الحزن والهم ولـكنه فى الوقت نفسه كان فريسة للخوف وما يترتب على الفضيحة إذا كشف أمره ولقد نزل عن دراجته بالقرب من المنزل فى هذا الموضع ودار حول المنزل دورة واحدة ومعه دارجته وكان يفـكر كثيراً ولا يلتفت لأى شيء حوله لأن هناءه أصبح مهدداً بالزوال ولا يستطيع وصل ما انقطع من علاقة مع حبيبته التى أصبح من المستحيل عليه أن يهرب معها إلى الخارج .

ثم انتفض الضابط فجأة وقال بصوت قاطع للآنسة بيتشى لما اقترب من المنزل : — قفى هنا ولا تتحركى حتى أعود إليك .

ثم مشى الضابط بعد ذلك وحده وهو يسحب دراجته إلى جانبه ميمماً شطر الحظيرة المخصصة لوضع الدراجات وكان النور يشع من النافذة الـكائنة بغرفة الأستاذ جان ديكلوس الذى كان جالساً على كرسى بالغرفة وأمامه منضدة صغيرة وعلى بعد مترين من هذه النافذة يظهر شباك غرفة الحمام مفتوحاً قليلا فى الظلام المخيم على المنزل .

وأخذ الضابط يجربه بمناجي نفسه وهو واقفاً لحظة بعد أن وضع الدراجة بالحظيرة قائلا فى نفسه : —

— ولا شك أن الفقيد بوبنجا لم يكن متلهفا على أن يأوى سريعاً لغرفته ولذلك كان متمهلا فى حركاته وإنحنى بكل بطىء لـكى يضع دراجتـه فى

محلها كما فعلت ذلك تماماً — ثم أعتدل الضابط كمن يترك ما كان يفكر فيه وأستعمل نفسه قليلا مرهفا السمع كمن يشعر بشيء منتظر حصوله وفعلا لم يلبث حتى سمع صوت إنطباق زناد مسدس عند أنطلاقه صادراً من شباك غرفة الحمام دون أن ننطلق الرصاصة كما لو كان المسدس فارغاً ثم تلى ذلك حركة تدل على حصول عراك وسقوط جسمين على أرض الحمام فأسرع الضابط الفرنسي بالدخول داخل المنزل من باب المطبخ المطل على حظيرة الدراجات وأنطلق صاعداً إلى الطابق الأعلى حيث دخل توا الغرفة الحمام وأضاء النور الكهربائي فرأى منظراً فريداً في بابه إذ رأى جسمين متلاصقين يتدحرجان فوق أرض الحمام وكان أحدهما مفتش البوليس الهولندي والآخر الطالب كورنيليوس بارنز وكان المفتش قابضاً على يد الطالب التي كانت ممسكة بمسدس وأضطر تحت ضغط يد المفتش لأن يفتح يده ليسقط منها المسدس على أرض الحمام .

الفصل الحادي عشر

النافذة المضيئة

— يالك من أبله أحمق .

كانت تلك هي الكلمة التي ألقى بها الضابط ميجريه في وجه الطالب كورنيليوس بارنز لما أمسك به يساعده على النهوض والوقوف على قدميه ولو لا ذلك لسقط مرة أخرى على الأرض أعياء ويأساً وصاح الضابط الفرنسي في الحاضرين إذ صعدوا أيضاً ليروا ما حصل وأمرهم بلهجة شديدة أن يعودوا إلى أماكنهم بغرفة الأستقبال وتقدمهم الضابط وهو يعبث في يده بالمسدس الذي ألتقطه من إرض الحمام دون أن يعير الأمر أي حذر أو أحتراس لأنه هو بنفسه كان قد سبق فوضع مكان الرصاصات السليمة أخريات خاليات من البارود ولهذا لم تنطلق لما حرك الطالب كورنيليوس زناد المسدس يريد قتله وما لبث أن قال الأستاذ ديكلوس مشيراً بأصبعه نحو الطالب : —

— إذن هذا هو القاتل .

وما سمع الطالب هذا الإتهام الصريح حتى أصبح كمن أصيب بصدمة عصبية فأطبق فكيه على بعضهما بشدة وإلتزم الصمت وكان منظر وجهه

يدعو حقاً إلى الشفقة . وأصرت السيدة بوبنجا على أن تستمر واقفة رغماً . عما لاحظه الضابط الفرنسى من أن ركبتيها كانتا تصطكان تحت ردائها وبعد أن جلس الضابط فى كرسى ذو مسندين اتكأ إليهما بذراعيه بعد أن أشعل غليونه قال : —

— لقد دعيت لكى اكتشف الحقيقة فى هذه الجريمة بسبب أن مواطناً فرنسياً كان متهماً فيها وما كنت أود فى الواقع أن أدس بأنفى فى موضوع لا شأن لبلادى ولا لى به — ثم توجه بالكلام لزميله مفتش البوليس الهولندى قائلا : —

— يمكن الآن أن نستبعد الآنسة بيتشى من قائمة المتهمين وكذلك أبيها والمقاول أوستنج وعلى ذلك يمكن أن نقول أنهم أحراراً ويمكن لهم أن ينصرفوا أو إذا أرادوا الوقوف على الحقيقة كاملة فلا مانع من حضورهم معنا هنا بالغرفة — فقام مفتش البوليس الهولندى بتنفيذ ذلك وعاد بعد قليل ووراءه الثلاثة المذكورين وكان وجه الآنسة بيتشى يفصح عما بها من يأس وقنوط وأما أبوها فكان منظره كالفريسة الهائجة التى لا تستطيع فكاكا وكان المقاول أوستنج وهو يدخل الغرفة مطأطأ الرأس يدل مخبره على شخص قد أضطرته الظروف لأن يستسلم نهائياً لما ستكتبه يد القدر فى صحيفة التاريخ .

وقام الضابط ميجربه إلى غرفة الطعام وأحضر منها زجاجة من الكونياك وكأساً أخذ يصب لنفسه فى الكأس ويرتشف الشراب فى

فترات متفاوتة دون أن يتكلم بشيء لمدة قصيرة وكان الكل وقوفاً حوله ينتظرون ما سيقوله وبعد هنيهة إعتدل الضابط فى جلسته وقال بصوت متزن : —

— تريد يازميلى باينكامب أن تعرف الحقيقة فليكن ذلك مهما آلت هذه الحقيقة الكثيرين هنا وبالأخص لو ظهرت لك مقدار البون الشاسع بين الأهداف التى سعيت إليها وبين الأهداف التى كنت يازميلى العزيز تريد الوصول إليها وهذا الفرق فى التصرف بيننا سببه فى نظرى اختلاف الجنسية وحكم البيئة فى بلدينا لأنك إذا ما شممت فى أية حادثة جنائية رائحة مسألة تمس فيها العلاقات العائلية مساساً بالغاً لا تتورع عن هضم ما يطبخ لك من أدلة زائفة تساعدك على تحقيق الأهداف التى يراد الوصول إليها وهو حفظ التحقيق فى الحادثة استبقاء لهذه العلاقات العائلية فلا تمتد لها الحقيقة ومعولها بالهدم لأن كيان العائلة وبقاؤه قائماً هو عندكم أسمى من كل هدف آخر ولو ضحيتم فى سبيله بالحقيقة المجردة وعلى هذا الأساس كان مقبولا لديك أن تتشبث فى حادثة بوبنجا بما صار طهيه وقدم للكل فى شكل أن الجريمة قد ارتكبها بحار أجنبى إذ فى ذلك وضع العلاقات العائلية بمنجاة من الهدم والانحلال لأنه فى سبيل الأخذ بهذا الافتراض المخترع من ألفه إلى يائه ما يسد على الطريق ما قد يستهدف له من نشر فضائح يختل معها كيان النظام العائلى إذا صار السير وراء الحقيقة لمجرد صالح الحقيقة والمبرر لهذا كله هو أن النظام العائلى لديكم هو النظام الذى تقوم عليه النظم الاجتماعية فى الدولة . والحجة القوية التى تقدم لتشجيع مثل هذا

التصرف أو المحافظة على هـذا التقليد أنه فى صون سمعة العائلات المعتبرة نموذجاً لغيرها ومنع نشر ما يقلل احترامها فى نظر عامة الناس أو ما يجعل سيرتها مضغة فى الأفواه هو توطيد المجتمع بهولندا بصيانته من تمكين أحد فرصة تتاح له ليعطى مثلا سيئاً لأفراد الطبقات من العـائلات الأخرى غير الراقية والواقع أن حرصكم فى أن تجعلوا من هذه العائلات الراقية دائما المثل العليا لباقى أفراد العائلات السفلى الأخرى قد يكون هناك ما يبرره لما ذكرت من الأسباب المتعلقة بالدوافع الاجتماعية بهولندا ولـكن رجلا مثلى عاش فى بلد يختلف فيه البناء الاجتماعى عما هو لديكم كما تختلف قواعـــد البيئة العـائلية عما تتمسكون به هنا لا يمكن أن يهتم متى كلف بتحقيق حادث جنائى إلا بناحية واحدة فقط وهى الـكشف عن الحقيقة والوصول لتحقيق هذا الغرض بقطع النظر عن أية ظروف أو ملابسات أخرى مهما كانت ولقـد دارت فى مخيلتى صورة الفقيد بوبنجا وهو يرقص على نغمات الموسيقى المنبعثة من آلة الراديو تحت سمع وبصر القاتل ولقد وجد المسدس الذى استعمل فى الجريمة بغرفة الحمام فإذا ربطت بين هاتين المسألتين فلا يمكن أن نقول بأن القاتل أجنبياً بل العـكس هو الواقع لأن الأمر واضحاً يشير إلى أن المسدس قد أطلقه الجانى وهو هنا بداخل المنزل وكان فى مقدوره أن يطلقه والفقيد يرقص ولـكن حرصه أن لا يكشف أمره دعاه لتنفيـذ خطته التى وضعها بأن يلقى الشبهة على أجنبى مجهول ولـكن القاتل فاته إنه من البلاهة أن نصدق بأن القاتل إذا كان ارتـكب جريمة قتل بوبنجا

وهو بانتظاره خارج المنزل فى تلك الليلة التى كان الظلام محيطاً بالمنزل فكر عقب إطلاق الرصاص ببرهة وجيزة جداً فى البحث عن شباك مفتوح بالطابق الأعلى لكى يلقى بداخله المسدس الذى أطلق منه الرصاص على المجنى عليه وكان الأولى بالجانى إذا كان قد أطلق الرصاص على الفقيد وهو خارج المنزل أن يلقى بالمسدس فى أى مكان بالحديقة التى كان واقفاً فيها فى أى بقعة منها على افتراض وجوده هناك يرقب عودة الفقيد بعد ذهابه لمرافقة الآنسة بيتشى لمنزل أبيها وقد يقال ولماذا لم يلق القاتل الذى دبر الجريمة من قبل ووضع خطتها بعد قتل الفقيد وهو بداخل المنزل المسدس فى الحديقة بدلا من تركه بشباك غرفة الحمام والرد على ذلك بسيط وهو أن القاتل وضع خطته على أساس أن تلقى الشبهة على شخص مجهول كان مختبأ فى غرفة الحمام وإختفى بعد أتمام جريمته تاركا كل ما يمكن أن يصح القول بسابقة وجوده بغرفة الحمام أو بداخل المنزل كالكاسكيت وعقب السيجار بل ومسدس الفقيد نفسه الذى كان موجوداً بدرج المنضدة الكائنة بجوار الأريكة بغرفة مكتبه وقد رأى القاتل لما وضع خطته على هذا الشكل أن يتفادى ما قد يكشف عنه التحقيق إذا وجد المسدس ملقياً بأرض الحديقة واستحالة إطلاق الرصاص على الفقيد من الخارج بسبب ما كان من الضروى الوقوف عليه عند تقدير المسافات التى أطلق منها النار طبقاً لما يكشف عنه التشريح الطبى للجثة وإذن فقد دبر القاتل الأمر على أن يكون تصوير الواقعة كأن أرتكبها مجهول اختبأ فى غرفة الحمام وجمع الأدلة على ذلك فكانت الكاسكيت وكان عقب

السيجار وهذا هو الوضع الذى قدم إليك ياعزيزى باينكامب لتتلقفه سريعاً لما إتضح أن الجناية التى وقعت تكتنفها عوامل وعناصر ستمس كثيراً علاقات بعض العائلات الراقية بدلفزايل ولكن القاتل إذا كان قد ظن أنه بذلك ينجح فى توجيه الشبهة بأن الجانى رجل أجنبى من الخارج فأن إحتياطه قد جاوز حدود المعقول فأحضر أدلة مادية زيادة عن اللزوم ولهذا لم ينجح فى تحويل فكرى بأن القاتل هو من داخل المنزل وليس أجنبياً عنه وكان ذلك سبباً فى إقتناعى بحصر التهمة فيه بدلا من أبعادها عنه وأن هذه الأدلة المادية التى ظن القاتل أنها تضللنى فتقصر يدى عن معرفة الحقيقة كانت بالعكس هى السبب فى إلباسه التهمة فلو فرضنا مثلا أن أوستنج هو صاحب عقب السيجار الذى وجد بغرفة الطعام فلا يمكن أن نفترض نسيانه كاسكيتته التى وجدت بحوض الحمام ولو تصورنا الأمر كما أراد تصويره القاتل بأن يكون الجانى رجلا من الخارج فأننى كرجل مارست زمناً طويلا التحقيقات الجنائية لم أقابل فى حياتى رجلا جانياً يترك وراءه هذا المدد الوفير من هذه الأدلة المادية بل ولا نصفها وبناء عليه أصبح من الأمور الواجب التسليم بها إن الفاعل فى هذه الجريمة لا بد وأن يكون قد بيت النية على قتل بوينجا من زمن طويل وكان الوقت الملائم للتنفيذ هو محل تفكيره وتدبيره الذى أقتضى هذا الزمن الطويل لأنه كان يدبر فى الوقت نفسه الأوضاع التى يمكن أدخالها على جهات البوليس القضائية للتخلص من الجريمة ويستتبع ذلك حتما أن القاتل لا يمكن والحالة هذه

أن يكون رجلا أجنبياً من الخارج بل هو واحد من ممن يلوذون بالفقيد والمجالس التى ينشاها وأصبح لزاماً إذن علينا أن نستعرض الأسماء لهذه الشخصيات إسماً إسماً لأستبعاد ما يمكن أستبعاده ولكى نركز فيمن يبقى تطبيق العناصر التى أسلفت لك شرحها . ولنبدأ بالمقاول أوستنج فليس هناك ما يدعوه لأن يدخل غرفة الطعام ليترك فيها عقب سيجاره ثم يصعد بعد ذلك للطابق الأعلى فيأخذ المسدس من غرفة مكتب الفقيد ثم يدخل غرفة الحمام ليترك كاسكيتته داخل حوض الأستحمام بها . وأما الآنسة بيتشى فلا يمكن أن تكون قد ألتقطت فى الطريق أثناء العودة من الفندق بعد انتهاء المحاضرة الكاسكيت لأنها كانت بصحبة الفقيد نفسه الذى لازمها طبعاً أثناء سيره جنباً إلى جنب ثم أنها بالتالى لم تصعد طول السهرة بغرفة الأستقبال لحين خروجها من المنزل إلى الطابق الأعلى — وأما المزارع ليفين فقد يكون هو أشد الناس حرصاً لكى يقتل كونراد بيده عقب ا كتشافه العلاقة التى كانت بينه وبين أبنته والتى لم يعلم بها إلا فى ليلة الحادثة لما كانت الآنسة بيتشى تعود لمنزلها عقب السهرة حيث رافقها القتيل وجاء علم المزارع ليفين بهذه العلاقة لما راقب ما دار بينهما صدفة عندما إنتحيا جانباً أثناء سيرهما وراء حائط مخزن الأخشاب وإصلاح السفن ولكن المزارع ليفين رأى لما عاد لمنزله وراء أبنته أن الوقت كان متأخراً جداً لكى يخرج من منزله ليذهب إلى منزل الفقيد ثم يضاف إلى ذلك أنه بطبيعة الحال لم يثبت قطعاً إن رآه أحد فى ذلك الوقت أنه

صعد إلى الطابق الأعلى ليطلق الرصاص على الفقيد الذى كان لا شك قد عاد إلى منزله ليلقى حتفه فى نفس الوقت الذى عاد فيه المزارع ليفين لمنزله وراء أبنته — ثم يأتى بعد ذلك الطالب كورنيليوس بارنز فأنه من الثابت أنه لم يصعد الى الطابق الأعلى كما ثبت أنه لم يأخذ السكاسكيت أثناء سيره فى الطريق عائداً مع الآنسة آنى من الفندق بعد أنتهاء المحاضرة وقد تكون هنالك دوافع نفسانية تدعوه للأنتقام من أستاذه كونراد ولكن لا شك أنه حتى الليلة المشئومة لم يكن الطالب بارنز متأكداً من مدى العلاقة بين أستاذه والآنسة بيتشى — وعلى هذا فقد أصبح الآن الأمر محصوراً فى واحد من الثلاثة أسماء الباقية من الشخصيات التى قلت بوضعها جميعاً أولا فى قائمة من تدور حولهم الشبهات وهذه الأسماء الثلاثة هى : السيدة بوينجا والآنسة آنى والأستاذ جان ديكلوس . وليس قبل كل واحد من هؤلاء الثلاثة أى دليل مادى ملموس ولكن ليس هناك أى مانع أن يكون كل واحد منهم هو القاتل فالأستاذ جان ديكلوس قد رؤى خارجاً من غرفة الحمام وفى يده المسدس الذى أستعمل فى الجريمة وقد يكون هذا الوضع فى ذاته ما يرجح براءته اذ لا يمكن تصور أن يقتل شخص آخر ويظهر أمام الناس بآلة القتل فى يده بما يدمغه بالجرم الذى فعله ما دام قد بيت النية على عدم الاعتراف بجرمه منذ البداية ولكن قد يقال من جهة أخرى أن هذه طريقة بارعة تدل على ذكاء ومهارة إذ ربما قصد الأستاذ بذلك أن يبعد الشبهة عن نفسه بتعمده أبقاء المسدس الذى استعمل فى الجريمة فى

يده فيصبح عدم قبول النظرية السالف شرحها سبباً وجيهاً لتبرأته ومهما يكن من نقاش قد يدور حول هـــذه النقطة فالأمر الثابت أن الأستاذ دبكاوس لم يأخذ الـكاسكيت أثناء سيره فى الطريق عقب الأنتهاء من المحاضرة لأنه كان يسير جنباً إلى جنب مع عقيلة الفقيد بوبنجا كما ثبت أيضا أن السيدة بوبنجا لم تأخذ هذه الـكاسكيت التى هى كما ترون القطب الذى تدور حوله فى استنتاجاتى أدلة الأتهام لأن الذى أعد هـذا الدليل ليكون سبيلا لأبعاد التهمة عنه هو الذى دبر خيوط الجريمة التى صمم على ارتكابها والتى تمت بالفعل كما تعلمون فالسؤال المهم إذن يدور حول هـذه النقطة وهى من الذى أخذ هذه الـكاسكيت ؟ ولا شك عندى أن هذه الـكاسكيت لا يمكن أن يأخذها إلا واحداً ممن كانوا يسيرون فى آخر الصف بموكب المعزين عقب انصرافهم من الفندق بعد انتهاء المحاضرة وقد ثبت إن هؤلاء كما كانوا اثنين وهما الآنسة آنى والطالب كورنيليوس بارنز وقد ثبت إن هذا الأخير لما وصل مع الآنسة آنى أمام سلم سفينة أوستنج الذى كانت كاسكيت المقاول أوستنج متروكة عليه فى متناول يد من يتقدم لالتقاطها استلفتت الآنسة آنى نظره للدثار الخارجى الذى كان قد سقط عن جسم أحد طفلى آل فيناند الذين كانوا يسيرون على بعد عشرة أمتار أمامها مما جعل الطالب كورنيليوس يسرع الخطى لتنبيه آل فيناند وعلى ذلك ثبت أن الآنسة كانت وحدها فى النقطة التى كانت فيها الـكاسكيت ملقاة — وأما عقب السيجار الذى وجد بغرفة الطعام فهـذا الدليل

وجدت أنه عديم الأهمية ولا يمكن السير وراء تمحيصه إذ كما يمكن أن يكون متروكا من زمن بعيد دون أن تنتبه الخادمة عند تنظيفها الغرفة إليه يمكن أن يقال إن من دبر دليل الكاسكيت قام بالتقاطه أيضا من أى مكان وقام بوضعه فى غرفة الطعام من باب التمويه كما أسلفت ذكره.

وأضيف إلى ما قلته الآن بأنه قد ثبت إن من بين جميع الحاضرين بغرفة الاستقبال فى تلك الليلة قبل الانصراف منها كانت الآنسة آنى هى الوحيدة التى لبثت بعض الوقت فى الطابق الأعلى وحدها وهى الوحيدة التى دخلت غرفة الطعام لأحضار السكر للشاى ولكن قد تعارض الآنسة آنى فيما قدمته من استنتاجات ضدها بأن تتمسك بأنه إذا أصبح من المسلم به أن القاتل قد ارتكب جريمته بإطلاق الرصاص من غرفة الحمام فلا يمكن أن تكون هى القاتلة لأنه من المستحيل عليها أن تدخل غرفة الحمام دون أن تمر اما بغرفة أختها السيدة بوينجا أو غرفة الأستاذ جان ديكاوس ولكن هذا أمر من اليسير تفسيره إذا دققنا البحث فى مدى الربع ساعة بالضبط السابقة على وقوع الجريمة وقبل أن أسير فى تفصيل ما حدث فى مدى هذا الربع من الساعة يهمنى كثيراً أن أقول لكم بأن الآنسة آنى قد درست القانون وطالعت الكثير من الروايات البوليسية والمؤلفات الجنائية وقد سبق لها أن تناقشت مع الأستاذ جان ديكاوس فى موضوع الجريمة المستحيلة وأحتمال وقوعها وإذن فالمسألة التى كانت أمامها هى كيف يمكنها أن تصل إلى غرفة الحمام دون أن يلتفت أحد إليها سواء فى غرفة أختها أو فى

غرفة الاستاذجان ديكاوس إثناء مرورها كما يهمنى قبل أن أصل إلى شرح حل هذه المعضلة كما اهتدت إليه الآنسة آنى أن أشير الى أشياء تمس مسلك الفقيد كوزاد وحياته الخاصة ومن الأمور المسلم بها أننى هنا الشخص الوحيد الذى لم تسبق له معرفة الفقيد أو الأتصال به ولكن من دراستى لتاريخ حياته ومن بحثى فى كثير من الشواهد التى وقفت عليها أمكننى معرفة ما طبع عليه الفقيد من حب للحياة المرحة وما جبل عليه من الانصياع لشهواته الجنسية مع ما يساوره فى الوقت نفسه من حرص على على مركزه الاجتماعى والتوظيفى فلقد غازل لأول مرة عرضاً الآنسة بيتشى فى يوم كان فيه كثير المرح والسرور وانتهى الحال به لأن يصبح خليلا لها لأنها هى من جانبها أرادت ذلك لأغراض فى نفسها ولقد سمعتم بأنفسكم ما دار بينى وبين خادمة المنزل من أسئلة أدت إلى كشف الغطاء عما حدث بينها وبين الفقيد الذى دفعته شهوته الجنسية إلى مغازلة النساء دون نظر أو تمييز لمركزهن الاجتماعى ولكن الأمر وقف مع الخادمة عند حدود المغازلة فقط لأنها لم تجد سبيلا للمضى معه إلى حدود أبعد من ذلك حتى اختطفته يد المنون ـ وبعبارة أخرى يمكن ان أقول بأن الفقيد كان زئر نساء وكان فى سبيل إشباع نهمه من هذه الناحية يرتكب بعض الشطط ولكن سرعان ما تستولى عليه مخاوفه فيبادر إلى التقهقر فلا يتابع المضى فى سبيل ما بدأ به رغبة منه دائماً فى المحافظة على مركزه وسمعته المتصلة طبعاً اتصالا وثيقاً بمركزه ولقد كان الفقيد فيما مضى ضابطاً بالبحرية الهولندية

مما أتاح له الفرصة لزيارة الكثير من الموانى بأقطار العالم المختلفة حيث وجد فيها ملذاته ومغامراته النسائية التى كان من المؤكد ستؤدى به إلى الهاوية لولا أنه كان يقف فى منتصف الطريق تحت تأثير الخوف من فقد مركزه بصفته ضابطاً فى خدمة بحرية حضرة صاحب الجلالة الملكة ولما تزوج ازداد تقديره للأمور فاضطر تحت تأثير الخوف على سمعته الاجتماعية كرب عائلة إن يكون أكثر تحرزاً وحرصاً على كتمان ثوارته الشهوانية والوقوف بها دائماً عند الحدود التى لا تمس مركزه الاجتماعى ووظيفته ويمكننى باختصار أن ألخص طبائع الفقيد بعبارة موجزة وهى أنها كانت مزيجاً من حب اللذات وتقدير المسئولية وهذا الوضع لم تفهمه جيداً الآنسة بيتشى وربما عذرها فى ذلك صغر سنها وأنها لم تزل فى عنفوان شبابها فغابت عن عقلها حقيقة الأسباب التى أدت بالفقيد لأن ينكص على عقبيه فى علاقته معها وأن لا يوافقها على مشروعها بشأن الهرب معها إلى الخارج .

ولقد عاشت الآنسة آنى إلى جانب الفقيد سنوات عديدة واختلطت به ولازمته فى كثير من النواحى الخاصة ولم يكن يهمها كثيراً أن لا تكون على قسط وافر من الجمال لأنها قبل كل شىء امرأة على كل حال — نعم ياسادتى هذا هو السر الرهيب الذى بقى مكتوماً عنكم حتى الآن ولا أقول أنها كانت خليلة الفقيد بالمعنى المتعارف عليه وكل ما فى الأمر أن الفقيد يدافع غرائزه البهيمية التى وصفتها لكم لم يكن ليمتنع عن مغازلتها فى بادىء الأمر ولكنها من جانبها رأت فى هذه المغازلة فتح الصمام لما كان يتأجج فى نفسها من

شهوة طبيعية انقلبت فى النهاية إلى حب دفين تأصل فى قلبها — ذلك الحب الذى كانت له عينان يقظتان لا تحب زوجته الذى يتغاضى عن كثير من الهفوات لمجرد الثقة المفروض وجودها بين شخصين أرتبطا بميثاق الزوجية — ولقد عاش هؤلاء الأشخاص الثلاثة — كونراد بونجا والسيدة زوجته وأختها الآنسة آنى — سوياً تحت سقف واحد وكان الفارق كبيراً بين الزوجة وأختها فالأولى كانت منقادة انقياداً أعمى تحت تأثير رابطة الثقة التى ظنت أنها متبادلة بينها وبين زوجها وأما الثانية فكانت تشتعل حبا وأخذت نار هذا الحب المكبوت تزيد مع مرور الزمن وكان مما يزيدها اضطراماً أنها كانت مضطرة لكبت هذا الحب مراعاة للظروف العائلية التى أرغمتها أن تعيش تتلوى من الألم النفسانى فزهدت المجالس التى قد كانت تجد فيها ما يفرج عن نفسها كما نشأت بجانب هذه العواطف العنيفة ما زرعته هذه الأخيرة من جرثومة الغيرة التى ترعرعت فى جو الكبت الذى التزمت به الآنسة آنى لما سلف ذكره من الأسباب العائلية ولا شك أنكم تعلمون أن الغيرة تأخذ على صاحبها كل سبل العقل والتبصر دون أن تنزع من نفس الآنسة آنى شيئاً مما جبلت عليه من مكر أصبح أمراً طبيعياً فى حياتها التى كرستها لدراسة العلوم القانونية والجنائية فأكسبتها هذه الدراسات المزيد من الدهاء والصبر على ما يقع فى طريقها من صعاب للتمكن من التغلب عليها فى النهاية والظفر بما تريده . ولقد أكتشفت الآنسة آنى العلاقة التى كانت بين الفقيد كونراد والانسة بيتشى التى رأت

رأت فيها بلا ريب العدوة اللدودة ومن المحتمل كثيراً أنها فتشت الأدراج بغرفة مكتب الفقيد بوبنجا حتى عثرت على المكاتبات التى كان يتبادلها مع الآنسة وبدأت جرثومة الغيرة تلعب دورها وأشتدت عليها حتى أكلت صدرها فلم تعد تطيق صبراً إذ أنها وأن سلمت لأختها السيدة بوبنجا إن تشاركها حب كونراد لأنها كانت الزوجة الرسمية السابقة عليها فى الأتصال به والأرتباط معه بميثاق الزوجية فأنها لم تستطع احتمال مشاركة بيتشى فى هذا الحب أيضاً لا سيما وللغيرة فى النفس صور ومظاهر غريبة منها ما يكون مجرد الدافع إليه هو الحال بالنسبة لمركز الآنستين آنى وبيتشى أى جمال الأخيرة وصغر سنها بينما الأولى تكبرها سنا وتكاد تكون دميمة الخلقة وأزدادت نار الغيرة لهيباً لما وصلت المكاتبات بين الفقيد والآنسة بيتشى إلى حدود التفكير فى هربهما سوياً للخارج ومنذ هذه اللحظة شعرت الآنسة آنى بأن كأس آلامها قد طفح ومنذ هذه اللحظة بيتت نيتها على قتل حبيبها كونراد — ! وهذا هو كل السر فى المسألة — حب إنقلب إلى كره أو كره طرد حبا بعد أن صاحبه مدة طويلة وهذه مسألة نفسانية غريبة الأطوار تدفع صاحبهـــا إلى حدود بعيدة تجاوز كل ما هو معقول ولما صممت الآنسة آنى على قتل كونراد قدرت فى الوقت نفسه جميع الملابسات فوضعت الخطة المثلى حتى لاتؤخذ بأية شبهة وأنها لمصادفة عجيبة حقاً أن يتكلم الأستاذ ديكلوس فى محاضرته تلك الليلة عن الجريمة المستحيلة وبمعنى آخر عن الجريمة التى لا يمكن أن ينزل فيها أى عقاب

بسبب عدم إمكان الكشف عن الفاعل فيها ، بمعنى أصح بسبب عدم إمكان تحديد التهمة تحديداً يمكن معه حصرها فى شخص أو أشخاص معينين يتيسر توجيه التهمة إليهم أو إليه حتى ولو بقي إلى وقت ما مجهولا أو ظلوا حينا من الزمن غير معروفة لهم شخصية أو محل إقامة . ولا شك أن مثل هذه الجريمة هى جريمة المجرمين الفطاحل الملمين بملابسات التحقيقات الجنائية إلماما يمكنهم من التخلص دون قيام أى دليل ملموس يدل على جريمتهم ولهذا كم كانت الآنسة آنى مخورة بما دبرته لقتل بوبنجا فقد خيل لها من الوجهة العلمية البحتة أنها قد حققت نظرية الأستاذ ديكاوس السالف ذكرها بارتكابها هـــذه الجريمة المستحيلة التى ظنت أن التحقيق فيها سينتهى حتما إلى إلصاقها بأحد الأجانب الذى سيظل إلى الأبد مجهولا وكانت طبعا تعتمد فى تدبير هذه الخطة على ثلاثة أدلة مادية — الأول عقب السيجار والثانى الكاسكيت والثالث أستحالة دخولها غرفة الحمام دون مرورها بأختها فى غرفتها أو بالأستاذ ديكاوس فى غرفته .

ولقد تهيأت كافة الأسباب والظروف المؤدية لتنفيذ خطتها وارتكابها الجريمة فى تلك الليلة فمن الناحية النفسانية قد أثارت الغيرة كوامن حفيظتها بمالاحظته من تشابك أيدى الفقيد والآنسة بيتشى فى خفية أثناء المحاضرة ثم مراقصة الفقيد لهذه الآنسة بغرفة الأستقبال بالمنزل بعد أن أخرجه شىء من الخمر عن طوره وأتزانه وإصراره وهو فى هذه الحالة من الخفة وعدم المبالاة بالموجودين وهى من بينهم طبعا على مصاحبة الآنسة بيتشى لمنزلها فى الليل

يسيران وحدهما حيث يجدان فى جنح الظلام ما كانا يشتهيانه وأمتنع عليهما أثناء الرقص ، وكانت هذه الحالة النفسانية هى التى لعبت الدور الأول لإخراج الخطة التى دبرت من الوجهة المادية . وأول شىء فكرت فيه كان أن تجعل السيدة بوينحا تدير ظهرها إليها فى غدوها ورواحها بالغرفة بأن تجعلها تطل من النافذة باستمرار حتى يعود الفقيد من أستصحابه الآنسة بيتشى عند أنصرافهما سويا ، وبذلك يسهل عليها فى اللحظة المرتقبة عند عودة كونراد صوب منزله أن تخرج لغرفة الحمام مارة بأختها دون أن تشعر هذه الأخيرة بها وللوصول إلى هذا الهدف كان من السهل عليها أن تثير الشبهات فى صدر أختها التى كانت فيما مضى كالأعمى الذى أصبح يرى فجأة ما كان لا يراه طول الزمن فتسمرت أختها فى النافذة وهى ترقب بعينها زوجها مصطحبا الآنسة بيتشى وظلت بالنافذة ترقب عودته حتى وافته تحت أبصارها منيته ، ولقد نجحت الآنسة آنى فى تنفيذ هذه الخطة نجاحا باهراً وأستطاعت بعد أن نفثت هذه الظنون السامة فى عقل أختها أن تتظاهر أمامها بدخولها لغرفة المكتب المخصصة لنومها ولم تطفأ النور بالغرفة حتى أشعرت أختها أنها خلعت ثيابها الخارجية وتدثرت بملابس النوم إمعاناً منها فى التأكيد بأنها دخلت لتأوى لفراشها مع أنها فى هذه الأثناء وقبل أن تطفأ النور كانت قد أخذت المسدس من درج النضدة المجاورة للأريكة المعدة كسرير للنوم ثم ما لبثت بعد إطفاء النور أن تسللت وراء ظهر أختها التى كانت لا تفكر فى شىء سوى ما كانت عيناها تراقبانه

وهو وزوجها مصطحباً الآنسة بيتشى ودخلت الآنسة آنى والحالة هذه دون أن تشعر بمرورها أختها غرفة الحمام منتظرة بها عودة كونراد الذى لما عاد ووضع دراجته بالحظيرة وتأهب لدخول المنزل أطلقت عليه الرصاص من المسدس وكانت معها الكاسكيت التى أخذتها أثناء سيرها عائدة من الفندق عقب إنتهاء محاضرة الأستاذ ديكلوس كما سبق لى ذكره وكان من السهل عليها أن تلقى بها فى حوض الأستحمام لأن غطاءه كان مرفوعا وقتئذ وما أتمت ذلك حتى اختبأت هنيهة وجيزة فى الظلام بأحد أركان غرفة الحمام إذ كان فى حسبانها طبعا أن أختها التى كانت تراقب زوجها من النافذة ستهرع عندما تراه يخر صريعاً على الأرض للنزول للطابق الأسفل لترى ما يمكن أن تفعله إلى جواره وقد تحقق ما جاء بحسابها إلا فى شىء واحد وهو دخول الأستاذ ديكلوس غرفة الحمام دون أن ينتبه لإضاءة النور لأنه دخل غرفة الحمام مرجحا صدور صوت إنطلاق الرصاص منه وهو فى حالة ذعر ، وكان أول شىء فعله ان اتجه صوب النافذة بغرفة الحمام ليطل منها على الحديقة بغية أن يرى ماذا كان من أمر هذا الطلق الناري ويظهر أن حالته العصبية كانت شديدة بحيث نسى أبسط البسائط فى الجرائم والجنايات ، وهو العالم النحرير فى المسائل الجنائية وتلك الأوليات هى التى تقضى بعدم مساس الآلة التى أستعملت فى الجريمة لكى تتاح الفرصة لمضاهاة بصمات المجرم عليها ، ولكنه بكل أسف بسبب حالته العصبية الشديدة لم يلبث أن وجد المسدس على حافة نافذة الحمام حتى أخذه فى يده

وضيع علينا بذلك فرصة طيبة لدمغ الآنسة آنى بما قدمته يداها ، وما عتم أن قبض على المسدس حتى خرج من غرفة الحمام بفكرة النزول للطابق الأسفل طبعاً وكان أن تقابل مع السيدة يوبنجا على رأس السلم بعد خروجها من غرفتها متهيأة للنزول بسرعة أيضا إلى الطابق الأسفل وهكذا تحقق فى النهاية ما حسبته الآنسة آنى لمجرد صدفة سببها عدم قيام الأستاذ ديكلوس بإضاءة نور الحمام عند دخوله عقب إطلاق الرصاص إذ لو فعل ذلك فمن المحتمل أن تقع جريمة أخرى إما على نفس الأستاذ من الآنسة آنى أو يؤدى الأمر لانتحار الآنسة آنى عند ما ترى أمرها قد إنكشف وأن كنت أميل إلى أن مثلها لا يتورع عن أرتكاب جريمة ثانية فى سبيل إنقاذ نفسها وكان بعد ذلك من السهل على الآنسة آنى أن تخرج من مخبأها بغرفة الحمام لتلحق بأختها والأستاذ ديكلوس وهما ينزلان السلم متجهين إلى الطابق الأسفل وتظاهرت طبعاً أمامهما بما يضفى عليها سمات الهلع والفزع وكانت إحدى هذه المظاهر وجودها أمام الأستاذ ديكلوس بملابسها الداخلية المعدة للنوم فقط مع ما هو معلوم للجميع من شدة محافظتها على التقاليد وتمسكها بأهداب الحشمة الدقيقه وذلك لكى يعتقد الكل أنها لم تغادر غرفتها قط إلا بعد سماع إطلاق الرصاص حيث هبت مذعورة من نومها وقفزت كما هى من سريرها .

وقد يبدو حقا غريبا أن يتهم بهذه الجريمة وبالكيفية الدقيقة التى شرحتها أحد أفراد الجنس اللطيف ولكن يجب علينا أن لا ننسى تلك

الحالة النفسانية التى أستولت على الآنسة آني وهى حالة الحب الذى أنقلب إلى كره ومقت وهذه الحالة كما ذكرت تدفع صاحبها أيا كان إلى كل شيء وتمحو من قلبه كل عاطفة بحيث يغيب عن بصره كل تقدير للعواقب ويصبح ويمسى وهو لا يصغى سوى إلى صوت الكراهية التى تشتعل فى قلبه ولا تقوم له قائمة حتى يظفر بما بيت عليه النية ولا ترتاح نفسه إلا بإحراز النجاح لما دبره برؤية غريمة مهزوما طبقا للخطة التى أملاها عليه ضميره المتسمم بالبغض والكره وعندئذ يهدأ باله لما نفسه سولته — ولقد رأى المقاول أوستنج بعينى رأسه الآنسة آنى وهى تلتقط الكاسكيت التى كان يهم بالنزول من سفينته لأخذها لما وقعت منه قبيل أوبته لمخدعه على سلم السفينة ولم يشعر بفقدها عند سقوطها توا بسبب أنه كان مخموراً شيئا ما لكثرة ما يكون قد تناوله من شراب الكحول الوطنى Bols ولما لم يكن من المستساغ أن ينادى على سيدة فى مثل هذا الوقت من الليل وفى الظروف التى كان هو فيها شخصيا فقد آثر أن يتبع طريقا أكثر تأدبا فى نظره لأسترداد كاسكيتته وكان فكره متجها إلى أن الآنسة آني ربما التقطتها باعتبارها شيئاً مفقوداً ستسلمه فى الصباح أما لمركز البوليس أو تعطيه لزوج أختها ليتخذ ما يلزم فى ذلك ولهذا هداه تفكيره أن يطلب الكاسكيت من صديقه الحميم بوبنجا نفسه بعد إنصراف المدعوين وعلى ذلك خرج من السفينة لاحقا بموكب المدعوين أثناء إنصرافهم من الفندق عقب انتهاء المحاضرة وسيرهم صوب منزل آل بوبنجا وهناك وقف وراء إحدى الأشجار

خارج حديقة المنزل مختفيا فى جنح الظلام عن الأنظار ومترقبا أنصراف المدعوين وأوبة كل إلى مخدعه ولكن الأمور جرت على غير ما كان يتوقعه لأن كونراد بوبنجا الذى دبر المقاول فى نفسه أن يتحدث إليه فى شأن أسترداد كاسكيتته أطبق فمه لما عاد للمنزل إلى الأبد !

وكان خليقا بالمقاول أوستنج أن يتقدم للبوليس الهولندى ليدلى بهذه المعلومات ولكنه آثر السكوت بل ورأى فى سير الحوادث المتعلقة بالتحقيق فى أول مراحله ما حفزه لكى يملى على الطالب كونيليوس بارنز تلك الشهادة المزورة التى ترمى إلى الصاق تهمة القتل بأحد البحارة الأجانب المجهولين وكان الدافع له لذلك نوع من التقدير فى إظهار الوفاء لصديقه كونراد الراحل وكان أساس هذا التقدير طبيعة كل هولندى فى الحرص على إلتزام قدسية وحرمة الأسرار العائلية .

وأما المزارع ليفين فقد إكتشف فى ليلة الحادثة ما كان بين إبنته جيتشى والفقيد كونراد من علاقات غرام ، وقف على كنهه ومداه لما إطلع على فحوى الرسائل التى بعث بها الفقيد لإبنته وكان أن اعتقد لما وقع مقتل كونراد أن ابنته هى التى إرتكبت هذه الجريمة تحت تأثير الغضب والأنتقام من حبيبها لخيانة عهده معها ولهذا قام بحبس إبنته فى غرفتها حتى ينجلى الأمر ولهذا لم يكن مستغرباً أن يبادر إلى محاولة الأنتحار أمام لما ظن أننى سأقوم بإلقاء القبض عليها مضحياً بنفسه من أجل أبنته وأما الطالب بارنز فكان فى حلقة لا بداية ولا نهاية لها من التفكير وبلبلة البال

وكان يسيء الظن بالجميع وكان يخشى فى الوقت نفسه أن يكون هو محل سوء الظن من الجميع ولقد تبادر إلى ذهنه لما رأى السيدة بوبنجا بنافذة غرفتها تلك الليلة ، أنها هى التى أطلقت الرصاص على زوجها تحت تأثير ما رأته بعينيها من خيانته لها مع الآنسة بيتشى ولما كانت السيدة بوبنجا تحتل فى قلبه مكان الأم الرؤوم لأنها هى التى فتحت بيتها له لما تركه والداه بهولندا وسافرا للخارج ولم يجد سواها أمامه كأمه بعد أن اختطف الموت أمه من الوجود وتزوج أباه بأخرى فأن ضميره أبى إلا أن يقابل المعروف بمثله وصمم فى قرارة نفسه أن يعمل ما فى وسعه لإنقاذها من براثن التهمة التى قد يكشف عنها التحقيق وقد انتهز فرصة إنشغالى مع الآنسة بيتشى لتمثيل دور الفقيد معها ليلة الحادثة وصعد إلى الطابق الأعلى حيث أخذ المسدس الذى ترك فى مكانه الأصلى منذ استعماله فى الجريمة حتى تتم العملية التى بدأت بها فى إعادة تمثيل الوقائع ودخل به غرفة الحمام ليقتل الرجل الوحيد الذى هو فى نظره يعلم الحقيقة — وبعبارة أوضح أراد أن يقتلنى لأنه بذلك يصل إلى تحقيق غرضه من تخليص ربيبة نعمته والصدر الحنون فى دنياه وهى السيدة بوبنجا ثم كان طبعاً فى نيته بعد ذلك أن ينتحر بنفس المسدس إذ قد أظلمت الدنيا فى عينيه لما تكشفت له خيبة آماله فى حبه للآنسة بيتشى ولو لم أكن قد احتطت عندما صار استحضار المسدس من إدارة التحقيق الهولندية لأتمام تمثيل الوقائع فغيرت الرصاصات بأخرى نزع منها

البارود من باب الوقاية التى تمليها على مثلى مجرد واجبات وظيفته لكنا الآن أمام مأساة أخرى يروح ضحيتها بريئان بينما القاتل الحقيق يظل باقياً حراً طليقاً ، هذا هو كل ما يتعلق بالطالب كورنيليوس بارنز الذى يمكن تلخيص قصته بكونها مثل رائع فى إنكار الذات والتضحية الكريمة التى قلما تظهر فى الناس اللهم لدى الشباب فى مقتبل العمر مثل هذا الطالب الذى لم يتجاوز بعد الثامنة عشر ربيعاً .

وبعد أن وصل إلى هذه النقطة من حديثه وقف الضابط ميجريه وانحنى برأسه محيياً الجميع وقائلا — والآن أيها السادة قد انتهت مهمتى وسأعود لبلادى بأول قطار — ومن ثم خرج لا يلوى على شىء صوب فندق فان هاسلت الذى كان نازلا به .

* * *

وما خرج الضابط من باب النزل حتى خيم سكون مخيف على الحاضرين بغرفة الاستقبال وكان وقع كلام الضابط الفرنسى عليهم مختلف الأثر فبعضهم كان فى حالة ذهول كمن يجرفه تيار قوى من الدهشة ولا يدرى ماذا يكون المصير والبعض كان مستولياً عليه رعب وفزع كمن يشتشعر بهول النتائج التى تمخضت عنها هذه الجناية .

ولم يلبث الأستاذ جان ديكلوس ان قطع هذا السكون قائلا بصوته الجهورى وموجها الكلام إلى مفتش البوليس الهولندى: —

— أظن أنك الآن قد أصبحت قابضا على جميع الخيوط فى هذه الجريمة .

وعلى أثر ذلك أسرعت السيدة بوبنجا بالصعود إلى الطابق الأعلى وسارت دون أن تتكلم بشىء وجحظت عيناها كالمذعورة أو كمن يكون وسيطاً فى عملية التنويم المغناطيسى وذهبت توا إلى غرفتها حيث ألقت بنفسها فورا وهى بملابسها على سرير نومها إذ غشيتها نوبة قلبية حادة وأسرعت الآنسة آنى باللحاق بها وتمكن مفتش البوليس الهولندى قبل أن تغادر الغرفة من سؤالها قائلا :—

— هل لديك ما تدافعين به عن نفسك ؟

— سأتكلم فقط أمام قاضى التحقيق .

ولقد قالت الآنسه آنى بتلك العبارة وهى تكاد تكون أشبه بالميتة منها بإمرأة لازالت فى الوجود فتغيرت ملامح وجهها كل التغيير وأزدادت خلقتها قبحا فشحب لونها وظهرت تجعدات زرقاء اللون تحت عينيها واكتسى جسمها بلون فاقع الأصفرار بدلا من اللون الوردى بما ينبأ عن كثرة الافرازات من الكبد والمرارة لديها نتيجة الصدمة التى تلقتها بكشف القناع الذى كان يستر وجه الحقيقة سواء فيما يتعلق بسيرتها الشخصية وسواء فيما يتعلق بما ارتكبته يداها ولم يكن بين الحضور من كانت تلوح عليه بعض أمارات الهدوء والسكينة سوى المقاول أوستنج الذى لم يفته عند خروج الضابط الفرنسى أن ودعه بنظرة ملؤها العتاب

لأنه فى نظره ما كان يجوز إن تنتهك حرمة الأسرار العائلية كما حصل من الضابط .

ولقد مرت على هذه الجناية سنتان وشاءت الظروف أن يلتقى الضابط ميجريه فى باريس صدفة بالآنسة بيتشى التى أصبحت زوجة لأحد الهولنديين المقيم بباريس كمدير لفرع الفرنسى التابع لاحدى الشركات الهولندية الشهيرة بصنع وإنتاج اللمبات الكهربائية وقد اخبرته الآنسة بيتشى أنها أصبحت أما لطفلين من زواجها الذى قد صورته فى كلامها بأنه لم يكن ليحقق أحلامها كاملة فى حياة زوجية سعيدة وتجاذب معها فى هذه المقابلة الضابط الفرنسى أطراف الأحاديث فى شتى الشئون الهولندية قائلا لها : —

— وماذا حدث للآنسة آنى ؟

— ماذا ! ألا تعلم ماذا حدث ! لقد نشرت منذ أكثر من سنة جميع الجرائد الهولندية ماحصل فلقد انتحرت الآنسة آنى وهى فى سجنها بأن اتخذت من الشوكه التى كانت تقدم اليها مع الملعقة وأطباق الطعام آلة لقطع شريان من شرايينها بأن طعنت معصم يدها بالشوكة بقوة وضغطت على الشوكة بشدة حتى انفجر الدم من الشريان وتركت بعد ذلك الدم ينزف منها رويداً رويداً طول الليل بعد أن آوت لفراشها بالسجن الى أن حضر رجال السجن فى الصباح ووجدوها جثة هامدة وقد

فارقتها الحياة وكان رجال السجن قد حضروا فى الصباح الباكر ليخطروها بأن تستعد للظهور أمام منصة القضاء حيث بدأت محاكمتها وهكذا إسدل الستار نهائيا على هذه المأساة .

وبعد قليل استأذنت الآنسة بيتشى من الضابط الفرنسى فى الأنصراف تحييه وهى تقول : —

— لاتنسى أن تزورنى وزوجى بمحل سكننا الكائن بشارع فيكتور هيجو رقم ٢٨ وأرجو أن لاتتأخر فى أداء هذه الزيارة إذ من المحتمل كثيراً أن أسافر مع زوجى لسويسرا للأستمتاع بالتزحلق على الجليد وقضاء فسحة من الشتاء فى الألعاب الرياضية هناك فإلى اللقاء قريباً وقريباً جداً إن شاء الله